علي الجارم بك

ديوان الجارم

الجزء الثالث

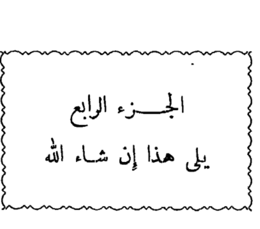
مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

علي الجارم بك

ديوان الجارم

الجزء الثالث

ملتزم طبعه ونشره
مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر


الجـــزء الرابع
يلي هذا إن شاء الله

فهرست

للقصـــــــــائد

فهرست

مرتب على حروف الهجاء

يشتمل على أهم الموضوعات التى بالديوان وقد رمز فيه للصفحة بحرف ص وللبيت بحرف س

*
* *

*
* *

فهرست

للأعـــــــــــلام

على حسب الحروف الهجائية

وقد رمز للصفحة بحرف ص

فهرست

للقـــــــوافى

على حسب الحروف الهجائية وعلى حسب تاريخ نظمها

تهنئة الملك بالعيد

عيد الفطر المبارك سنة ١٣٥٧ هـ

أسمعت شَدْوَ الطائر الغـرِّيدِ	هَزِجًا يُناغى فجرَ يومَ العيدِ ؟[١]
وبدا عمودُ الصبح أبيضَ ناصعاً	كالسَّلْسَلِ الضحضاحِ فوقَ جليدِ[٢]
أو كاليدِ البيضاء تنضحُ بالنَّـدى	والغيث ، أو جيدِ العذارى الغيدِ[٣]
أو كاقتبالِ الحُسْنِ بعد تحجّبٍ	أو كابتسام الدَّلّ بعد صُدُودِ[٤]
وإذا لمحْتَ الشرقَ خِلْتَ عرائسًا	ماستْ بثوبٍ كالشباب جديدِ[٥]

---

(١) الشدو : الغناء . الغرّيد : الذى يطرب بصوته . هزجا : مترنما . يناغى : يداعب — يقول : هل سمعت سجع الطائر الصدّاح طلع عليه فجر العيد فترنم بصوته الساحر مداعبا صباح هذا اليوم السعيد يحييه ويبشر السكون به ؟

(٢) السّلسل : الماء العذب أو البارد . الضحضاح : الماء اليسير لا غرق فيه . الناصع : الخالص من كل ما يشوبه — يقول : إن صبح هـذا اليوم الجميل بدا ضوءه ناصع البياض كأنه فى صفائه وإشراقه وانتشاره فى الأفق ماء عذب يترقرق فوق الجليد .

(٣) تنضح : المراد تفيض . الندى : الجود . الجيد : العنق . الغيث : المطر . — يشبه الشاعر صبح العيد فى إشراقه وبهجته بيد منعمة لا يشوب إحسانها منٌّ ولا أذًى . وبجيد الغوانى الحسان يبهرك جماله ويسرك مرآه .

(٤) الدَّلّ : دل المرأة ودلالها . تدللها على من يهواها . الصدود : الاعراض — ويشبه الشاعر : صباح هذا العيد الجميل وقد أقبل بعد غيابه الطويل بحسناء وصلت بعد اباء . وابتسمت بسمة الرضا بعد الجفاء .

(٥) لمحَ الشىء : نظر إليه بنظر خفيف . ماست : تبخترت فى عجب — يقول : إذا نظرت إلى الشرق عند تنفس فجر العيد رأيت أنوارا تشبه العرائس التى تميس فى نضارة الشباب .

يَرْفُلْنَ فى ضَافِى الضِّيَاءِ نَوَاعِمًا   فى سِحْرِ أنغامٍ، وَلِينِ قُدُودِ(٦)

وَدَمُ الشّبابِ له روائعُ نَشْـوَةٍ   ما نَالَهـا يوماً دَمُ المُنْقُـودِ(٧)

ما بين طَرْفٍ بالخديعـة ناعِسٍ   ثَمِلٍ، وآخَرَ فى الهوى عِرْبِيـدِ(٨)

***

وَدّعْتُ أيام الشباب حَوَافِلًا   من بعدما عَصَفَ المَشِيبُ بعُودِى(٩)

فإذا خَطَرْنَ، فَهُنَّ رُؤْيَا نَائِمٍ   وإذا هَمَسْنَ، فَهُنَّ رَجْعُ نَشِيدِ(١٠)

أَرْنُو إلى عَهْدٍ لَهُنَّ كأنّمَا   أَرْنُو لِنَجْمٍ فى السَّماءِ بَعِيـدِ(١١)

وأَرَى الحياة بلا شَبَابٍ مِثْلَمَا   لَمَعَ السَّرابُ بمُقْفِرَاتِ البيـدِ(١٢)

---

(٦) رفل فى ثيابه : أطالها وجـرها متبخترا . والثوب الضافى : السابغ الوافى من الثياب . القدود : جمع قد . وهو القامة — لما شبه أضواء الفجر بالعرائس أخذ فى وصفهن فقال : إنهن يجررن أذيالا من ضياء ناعمات شاديات بأنغام ساحرة متهاديات بقدود لدنة متثنية .

(٧) النشوة : أول السكر . روائع : جمع رائعة وهى ما يروعك ويعجبك من جمال — يقول : إن هذه العرائس قد أعلتهن نضرة الصبا ونشوة الشباب وللشباب نشوة دونها نشوة الخمر .

(٨) بالخديعة : خدعه أراد به المكروه من حيث لا يعـلم . ناعس : ضعيف منكسر ثمِـل : سكران . عربيد : يؤذى جاره بسكره . يقول : إن الشباب يغزو القلوب بجماله بين طرف فاتر ساحر منطو على الخديعة والختل . وآخر يرمى بسهامه لا يبالى أين تقع .

(٩) عصفت الريح : اشتدت . والمراد ذهاب المشيب بنضرة شبابه — ذكر الشاعر فى حسرة ولوعة أيام شبابه الراحلة المملوءة بالبشر والسرور التى ذهب بها المشيب وأودت بها الأيام .

(١٠) يقول : تمر بخلدى ذكريات الشباب الجميله كأنها أحلام النائم تسر ولا تنال . وتتسمعها أذنى فى لذة وشغف كصدى النشيد الجميل .

(١١) أرنو : رنا . أدام النظر . يحن الشاعر إلى عهد الشباب الذاهب ، ويتطلع إليه فى لهفة وشغف فيراه كالنجم المشرق البعيد يفتن جماله ويؤلم بعده .

(١٢) لمع السراب : أضاء وظهر . السراب : ما يرى فى البيد ماء وليس بماء . مقفرات البيد : الصحارى المجدبة يقول : إن الحياة بعد ذهاب الشباب حياة مجدبة لا لذة فيها ولا خير . تحسبها شيئا وليست بشىء . كأنها سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

*
* *

أَنَّ الشَّبَابَ رَحِيقُ أَزْهَارِ الرُّبا وَحَفِيفُ غُصْنِ الْبَانَةِ الأُمْلُودِ (١٣)

ومَطِيَّةُ الآمالِ فى رَيْعَانِهَا وسِرَاجُ لَيْلِ السَّاهِدِ المَجْهُودِ (١٤)

وبَشَاشَةُ الدُّنيا إذا ما أَقْبَلَتْ ونَجاةُ وَعْدٍ مِنْ أَكُفِّ وَعِيدِ (١٥)

هو فى كتاب العمرِ أَوَّلُ صَفْحَةٍ بُدِئَتْ بِبِسْمِ اللهِ وَالتَّحْمِيدِ (١٦)

وربيعُ أيَّام الحياةِ تَبَسَّمَتْ رَوْضَاتُهُ عن ضَاحِكَاتِ وُرُودِ (١٧)

أَهْدَى لها الوَسْمِيُّ نَسْجَ غَلَائِلٍ وَأَتَى الوَلِيُّ لها بوَشْيِ بُرُودِ (١٨)

وسَرَى النَّسِيم بها يُغَازِلُ أَعْيُنًا من نَرْجِسٍ ويَشَمُّ وَرْدَ خُدُودِ (١٩)

---

(١٣) الرحيق : صفوة الخمر . والمراد هنا خلاصة الأزهار الأرجة . الرُّبا جمع ربوة وهى ما ارتفع عن الأرض — الأملود : اللين الناعم — يقول : ليس عجبا أن يكون الشباب عندى بهذه المنزلة فهو صفوة العمر كما أن الرحيق صفوة الزهر . وتحس فيه الجمال والمرح كما تحسه فى حفيف غصن البانة اللدن الناضر .

(١٤) الساهد : من أصيب بأرق . المجهود : المتعب — يقول : الشباب مطية الآمال الفتية وسفينة الأمانى العذاب ، وهو صبح فى ليل المؤرق المكدود .

(١٥) البشاشة طلاقة الوجه . الوعد . يستعمل فى الخير . الوعيد : فى الشر لاغير . يقول : الشباب كبسمة الحياة السعيدة ونعيم الدنيا المقبلة ، وهو الخير ينجو من يد الشر، والسعادة تشرق فى ليل الشقاء .

(١٦) جعل الشاعر العمر كتاباً والشباب أول صفحة مباركة فيه حليت باسم الله وحده .

(١٧) يقول : الشباب فى الحياة ربيعها البهج • الباسمة رياضه بالورد العبق والزهر الناضر .

(١٨) الوسمى : مطر الربيع الأول . والولى : مطر الربيع الثانى . الغلائل : جمع غلالة وهى شعار رقيق يلبس تحت الثياب . وشى برود : برود جمع برد وهو الثوب . والوشى : النقش . يشبه الشاعر أثر الوسمى فى هاتيك الرياض من أزهار وورود بالثوب الرقيق على جسم الغانية • كما يشبه أيضا أثر ما أسدى إليها الولى من الأزهار الكثيرة المختلفة الألوان بالبرود الموشاة بما يجملها ويحسنها من بديع الألوان والنقوش •

(١٩) يقول : مشى النسيم بين أفنان تلك الرياض كأنه عاشق يغازل نرجسها ويشم عبير ورودها

إنَّ الشباب . ومَا أُحَيْلَى عَهْـدَه ! كالواحَةِ الْخَضْرَاءِ فى الصَّيْهُودِ(٢٠)

تَلْقَى بهـا ماءً وظِلاًّ حَـوْلَهُ جَدْبُ الْجَفَافِ وقَسْوَةُ الْجُلْمُودِ(٢١)

* * *

إنّى طَرَحْتُ مِنَ الشباب رِدَاءَهُ وثَنَيْتُ عَنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ جِيدِى(٢٢)

وَاخْتَرْتُ من صُحُفِ الأَوائِلِ صَاحِبِي وجَعَلْتُ مأْثُورَ البَيَانِ عَقِيدِى(٢٣)

ومَرَرْتُ بالتاريخِ أُمَـلاُّ نَاظِرِى منه وأُحْيِي بالفنـاء وُجُـودِى(٢٤)

كَمْ عَالِمٍ قابَلْتُ فى صَفَحَاتِهِ ولَـكَمْ ظَفَرْتُ بفاتِحٍ صِنْدِيدِ !(٢٥)

وإذا الْتَمَسْتَ مِنَ الدُّهورِ رِسَالَةً فصَحَائِفُ التَّارِيخِ خَيْرُ بَرِيدِ(٢٦)

أَحْنُـو إلى قَلَمِى كأَنَّ صَرِيرَه فى مِسْمَعِى المَـكْدُودِ رَنَّةُ عُودِ(٢٧)

---

(٢٠) أحيلى : تصغير أحلى . الصيهود : الصحراء لا ماء فيها ولا نبات . يشبه الشاعر الشباب فى العمر بالواحة المرعة فى الصحراء المقفرة .

(٢١) الجلمود : الصخر الأصم — يذكر الشاعر أن هذا الشباب المرح السعيد يذهب بنضرته ونعيمه جفاف الشيخوخة وقسوة الـكهولة .

(٢٢) ثنيت : حوّلت . الجيد : العنق . الصبابة : رقة الشوق وحرارته . يذكر الشاعر : أنه خلع رداء الشباب وانصرفت نفسه بالهرم عن لهو الصبا ولذات الهوى .

(٢٣) عقيدى : حليفى ومعاهدى — يقول الشاعر : إنه بعد اطراحه رداء الشباب قد أكب على كتب الأوائل وما فيها من عذب القول وسحر البيان . واتخذ منها صديقا يؤنسه وخليلا يسليه .

(٢٤) يقول : قرأت تاريخ الشعوب وأنباء الأمم أروى بذلك غلة النفس الصادية وأحيا بما أستجليه من عبر الفناء وعظات السابقين .

(٢٥) الصنديد : السيد الشجاع — يقول : إننى بقراءتى فى هذه الـكتب كأنى أتحدث إلى كثير من العلماء الخالين وألقى كثيراً من الغزاة الفاتحين الذين عنت لهم الوجوه وذلت لجبروتهم الرقاب .

(٢٦) يقول : إن التاريخ هو الصلة التى تربط الأجيال الحاضرة بالأجيال الغابرة . فاذا أردت معرفة أخبار السابقين فاقرأ التاريخ فصفحاته خير الرسائل التى يرسلها الماضى للحاضر .

(٢٧) أحنو : أميل . صريره : صرير القلم . صوته عنـد الـكتابة . المـكدود : المتعب . رنة عود : صوته . يقول : إننى أتسلى بالـكتابة كما أتسلى بالمطالعة . فأحن إلى قلمى مستجما به من الـكد ، وكأن صريره فى مسمعى رنات المزاهر والأعواد .

وأَعيشُ فى دُنْيَا الْخَيـالِ لأَنَّنِى أَحْظَى بهـا بالفائت المفْقُودِ[٢٨]

كَمْ لَيْلَةٍ سامَرْتُ شِعْرِىَ لَاهِيًا وَالنَّجمُ يَلْحَظُنَا بعَيْن حَسُودِ[٢٩]

حِينًا يُراوِغُنِى فأَنْظُــرُ ضَارِعًا فَيَلِينُ بعد تَنَــكُّرٍ وجُحُودِ[٣٠]

ولقــد أُغَرِّدُ بالقرِيضِ فَيَنْثَنِى فأَنَالُ قَادِمَتَيْــهِ بالتَّغْــرِيدِ[٣١]

طَهَّرْتُه من كلِّ مَا تأْبى النُّهَى ويَعافُـهُ سَمْعُ الحِسَانِ الْخُـودِ[٣٢]

وَبَعَثْتُ فِيــهِ تَجَارِبًا مَذْخُورَةً هِىَ كلُّ أَمْوَالِى وكلُّ رَصِيدِى[٣٣]

وَجعلْتُ تَشْبِيبِى بِمِصْرَ وَمَجْدِهَا وشَمَائِلَ « الفَارُوقِ » بَيْتَ قَصِيدِى[٣٤]

*
* *

(٢٨) يذكر الشاعر أنه يعيش عيشة شعرية يسبغ عليها الخيال ثوب الجمال وأنه سعيد بهذه الدنيا الساحرة لأنه يسعد فيها بلقاء آماله وأحلامه التى ضنت بها عليه دنيا الحقيقة .

(٢٩) يقول كم سهرت الليل يسامرنى شعرى وأسامره سعيداً به مطمئنا إليه ، يلحظنا النجم فى عليائه فيحسدنا على ما نحن فيه من سعادة غالية وسمر رفيع .

(٣٠) يقول : يماطلنى الشعر حينا فأنظر إليه فى ضراعة وتوسل واستعطاف حتى يسلس قياده ويلين عصيه .

(٣١) ينثنى : ينعطف ويميل . قادمتيه : القادمتان . ريشتان فى مقدم جناح الطائر — يصف الشاعر حاله حين يقرض الشعر فيذكر أنه يغرد به ويطرب وكأن الشعر طائر ينصت لتغريده وشدوه فينعطف إليه فيقع فى شركه .

(٣٢) تأبى : تكره . النُّهَى : العقول . يعافه : يكرهه . الخود : جمع خوداء وهى الشابة الجميلة الناعمة — يقول : إن شعرى لكريم عفيف قد طهرته من كل ما ينفر منه أولو النهى وأكرمته عما تمجه آذان الحسان من فاحش القول وهجر الكلام .

(٣٣) يقول : وشعرى مع ذلك زاخر بالحكم البليغة والتجارب الغالية التى هى كل ما أملكه من غال وما أدخره من نفيس .

(٣٤) تشبيبى : التشبيب الغزل بالنساء . القصيد : جمع قصيدة وقد يقصد به المفرد . شمائل : جمع شمال وهى الخلق الكريم . يقول : لست كالشعراء ألهو وأعبث ولكننى أتعشق مجد مصر وأغرد بشمائل الفاروق وأخلاقه التى ملكت القلوب وسحرت النفوس .

مَلِكٌ زَهَا الإسلامُ تَحْتَ لِوَائِهِ وَأَوَى لِرُكْنٍ من حِمَاهُ شَدِيدِ(٣٥)

إنْ فَاتَ عَهْدُ الراشدينَ فَقَدْ رَأَى فى دَوْلَةِ «الفَارُوق» خَيْرَ رَشِيدِ(٣٦)

قَرَنَتْ مَنَابِرُه جَلَائِلَ سَعْيِهِ وَجِهَادِهِ بِشَهَادَةِ التَّوْحِيدِ(٣٧)

وصَغَتْ مَسَاجِدُه لتَرْدِيدِ اسْمِهِ فكأنما يَحْلُو عَلَى التَّرْدِيدِ(٣٨)

مَنْ يَجْعَلِ الإيمَانَ صَخْرَةَ مُلْكِهِ رَفَعَ البِنَاءَ عَلَى أَشَمَّ وَطِيدِ(٣٩)

كَمْ وقفةٍ لك فى المَحَارِبِ جَمَّلَتْ عِزَّ الملُوكِ بخَشْيَةِ المَعْبُودِ(٤٠)

سَجَدَتْ لك الأيَّامُ حِينَ تَلَفَّتَتْ فرأتك بينَ تَشَهُّدٍ وسُجُودِ(٤١)

وتَطَلَّعَ الإسْلَامُ فى أَمْصَارِهِ يَهْفُو لظلٍّ لِوَائِكَ المَعْقُودِ(٤٢)

* * *

(٣٥) أوى : سكن ولجأ . زها : الزهو العجب والفخر . لوائه : اللواء العلم — يقول : قد استعاد الاسلام بالفاروق شبابه وسار تحت رايته مزهواً فخوراً وأوى لحصن حصين من حماه الذى لا يستباح .

(٣٦) رشيد : الرشيد . الكامل العقل — يقول : إن الفاروق انتهج نهج الخلفاء الراشدين فلئن مضت دولتهم إن الإسلام ليرى فى الفاروق خير ملك رشيد يعيد له مجده الخالد التليد .

(٣٧) يقول : إن سعى الفاروق وعظيم جهاده فى سبيل الإسلام وإعلاء كلمته يردد على المنابر مقرونا بشهادة التوحيد .

(٣٨) صغت : مالت — يقول : إذا ذكر اسم الفاروق فى بيوت الله اهتزت هزة الفرح والبشر وصغت لترديد اسمه كأنما يزيده الترديد حلاوة فى الأسماع .

(٣٩) أشم : مكان عال . وطيد ثابت — يقول : من يجعل الإيمان أساس ملكه ودعامة دولته فقد شيد صروح الملك وطيدة الأركان ثابتة الدعائم .

(٤٠) المحراب : صدر المجلس . والمراد محراب المسجد — يقال . للفاروق وقفات كثيرة بين يدى الله فى صدور المساجد اجتمعت فيها عزة الملك بجلال العبادة وخشية الله فسمت الروعة وعز الجلال

(٤١) يقول : خشعت لله ، فخشعت لك الأيام وأذعنت ، فأذعن لك الدهر .

(٤٢) يهفو : يميل — يقول : ود الإسلام فى شتى الأمصار أن يستظل بظلك الممدود .

سَعِدَ الصِّيَامُ وشَهْرُهُ بمُجَاهِدٍ عَبِقَ الوُجُودُ بِذِكْرِهِ المَحْمُودِ [٤٣]

فَنَهَارُه للصَّالحاتِ ، ولَيْـلُهُ لِلْبَاقِيَاتِ وللنَّدَى وأُلْجُودِ [٤٤]

حَيَّيْتَ فى المِذْيَاعِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْهُ بقولٍ مُحْكَمِ التَّسْدِيدِ [٤٥]

جَمَعَ السِّيَاسَةَ كُلَّهَا فى أَحْرُفٍ كالعِقْدِ أَلَّفَ بَيْنَ كُلِّ فَرِيدِ [٤٦]

وكَقَطْرَةِ العِطْرِ الّتى كَمْ جَمَّعَتْ من نَوْرِ أَغْوَارٍ وَزَهْرِ نُجُودِ [٤٧]

قَوْلٌ بِهِ الحِكَمُ الغَوَالِى نُسِّقَتْ ما بينَ مَنْثُورٍ وَبَيْنَ نَضِيدِ [٤٨]

أَصْغَى إليه الشَّرْقُ يَسْمَعُ دَعْوَةً قُدْسِيَّةً للبَعْثِ والتَّجْدِيدِ [٤٩]

وَزهَتْ بِهِ العَزَمَاتُ بَعْدَ ذُبُولِهَا وَصَحَتْ به الآمالُ بَعْدَ رُقُودِ [٥٠]

---

(٤٣) عبق الطيب : انتشر شذاه : يقول : قد سعد شهر الصيام بملك مجاهد عظيم ذاع ذكره المحمود فى الدنيا وتعطر بالثناء عليه الوجود .

(٤٤) الندى : العطاء والجود — يقول : نهاره وليله عامران بالصالحات الباقيات يبتغى بها وجه الله والدار الآخرة وسعادة البائسين والعافين .

(٤٥) يقول : قد حلى الفاروق جيد رمضان بكلمة جلالته الكريمة التى ألقاها على شعبه فى مستهله .

(٤٦) الفريد : الجوهر النفيس أو الدر إذا نظم وفصل بغيره — يقول : إن رسالة جلالته البليغة جمعت سياسة الدنيا والدين فكأنها عقد ثمين حوى من الجواهر أكرمها وأغلاها .

(٤٧) نور . النور ، الزهر. أغوار : جمع غور وهو المطمئن من الأرض. نجود : جمع نجد ما ارتفع منها . يشبه الشاعر تلك الرسالة الكريمة بما حوت من الحكم والعظات بقطرة عطر هى خلاصة الأزهار والرياحين .

(٤٨) نضيد : من نضد المتاع وضع بعضه على بعض : يقول : إن هذه الكلمة جمعت من آيات الحكمة والرشاد فى الدين والدنيا جمال المنثور وسحر المنظوم .

(٤٩) قدسية : طاهرة . البعث : الإيقاظ والتنبية — يقول : قد أنصت الشرق إلى المليك الكريم يسمع دعوته المقدسة الطاهرة لبعث الشرق من رقاده وإيقاظه من سباته .

(٥٠) العزمات : جمع عزمة . صحت : نهضت . رقود : نوم — يقول : لقد نشطت بكلمات المليك العزائم بعد فتورها . واستيقظت الآمال بعد هجودها .

لِلّهِ صَوْتُكَ فى الأَثِيرِ فَإِنَّه أَخَذَ الهُدَى وَالْحُسْنَ عَنْ دَاوُدِ![٥١]

لَبَّيْكَ يا مَلِكَ القلوب ! فَمُرْ نَكُنْ لَكَ طاعَةً ، واللّهُ خَيْرُ شَهِيدِ[٥٢]

* * *

إِنَّا بدَرْسِ الدِّينِ أَبْصَرْنَا الْهُدَى نُورًا يُشِعُّ بِجَمْعِهِ المَحْشُودِ[٥٣]

وَبدَا الْمَلِيكُ بِهِ يُمَجِّــدُ رَبَّهُ لِلّهِ مِن نُسْكٍ وَمِنْ تَمْجِيــدِ ![٥٤]

أَبْصَرْتُه والشَّعْبُ حَوْلَ بِسَاطِهِ كَالطَّيْرِ رَفَّ لِوِرْدِهِ المَوْرُودِ[٥٥]

مَا أَسْمَحَ الإِسْلامَ ! يَجْمَعُ رَحْبُهُ فى اللهِ بَيْنَ مُسَوَّدٍ ومَسُودِ[٥٦]

حَرَسَتْهُ أَفْئِدَةٌ تُفَــدِّى عَرْشَهُ وَالْحُبُّ أَقْوَى عُــدَّةٍ وعَدِيدِ[٥٧]

---

(٥١) الأثير : مادة فرضية لانتقال الأمواج الضوئية والكهربية — يتعجب الشاعر من صوت جلالة المليك ويذكر أنه قد قبس من النبي داود جلال الهدى وجمال الصوت .

(٥٢) لبيك : نجيبك إجابة بعد إجابة — يقول : سمعا وطاعة لك يامن ملكت القلوب واستوليت على الأرواح فأصبحت مذعنة مطيعة ، وهى تشهد ربها على ذلك وتعاهده على دوام الولاء ، والله على طاعتها وولائها خير الشاهدين .

(٥٣) يشع : ينتشر . المحشود : المجموع فى مكان واحد — يقول : قد رأينا نور الهدى وضياء التقوى يشرق ويشع على الجمع الحاشد لسماع دروس الدين التى ألقاها الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر فى حضرة المليك أيام شهر رمضان الكريم فى بعض مساجد القاهرة والإسكندرية .

(٥٤) يمجد : يعظم . النسك : العبادة — يقول : قد ظهر جلالة الملك فى هذه الدروس خاشعاً لله مقدساً له ، فما أعظم أن تتجمل عزة الملك بجلال النسك وجمال التقوى .

(٥٥) رف الطائر : بسط جناحيه . ورف الماء . سعى إليه . الورد : ضد الصدر . المورود الذى يرده الناس — يقول : شاهدت الملك والشعب محيط به مفعم قلبه بالولاء لجلالته . كأنه الطير على الماء العذب ينهل من موارده الصافية فى مرح وبشر .

(٥٦) يقول ما أجل هذا الدين السمح الكريم دين الاسلام . فهو بسمو تعاليمه وعظمة تشريعه يجمع بين الصغير والكبير والراعى والرعية فى صف واحد لأداء فروضه والقيام بشعائره .

(٥٧) يقول : قامت أفئدة الشعب مقام الحرس والجنود تطيف بالمليك وتفديه . فهو بهذا الحب والولاء الذى لا تكافئه عدة أو عديد فى غير حاجة إلى الحراس المدججين والأجناد المسلحين .

إنَّ الْجُنُودَ بِهِ تَلُوذُ وَتَحْتَمِي ... وَلَكَمْ عُرُوشٌ تَحْتَمِي بِجُنُودِ![٥٨]

يُصْغِي وَيُنْصِتُ لِلْكِتَابِ وَآيِهِ ... فِي سَمْتِ مَوْفُورِ الْجَلَالِ حَمِيدِ[٥٩]

يا قُدْوَةَ الْجِيلِ الْجَدِيدِ وَذُخْرَهُ ... عِشْ لِلْمُنَى فَرْدًا بِغَيْرِ نَدِيدِ[٦٠]

*
* *

حَارَ الْقَرِيضُ وكيفَ أَبْلُغُ غَايَةً ... هِيَ فَوْقَ طَوْقِ يَرَاعَتِي وَجُهُودِي؟[٦١]

أَعْدَدْتُ أَلْوَانِي لأَرْسُمَ صُورَةً ... أَيْنَ السُّهَا مِنْ سَاعِدِي الْمَكْدُودِ؟[٦٢]

حِلْمٌ كَمَا تُغْضِي الأُسُودُ تَكَرُّمًا ... وَعَزَائِمٌ فِيهَا نِجَارُ أُسُودِ[٦٣]

وَفِرَاسَةٌ سَبَقَتْ حَوادِثَ دَهْرِهَا ... حَتَّى كَأَنَّ الْغَيْبَ كَالْمَشْهُودِ[٦٤]

---

(٥٨) تلوذ : تلجأ وتعتصم — يقول : إذا اعتز الملوك بالجيوش واحتمت العروش فى الأزمات بالجنود . فالفاروق يلوذ به الجيش وتحتمى بحماه الجنود، فقد اتخذ من أفئدة الشعب كتائبه وحصونه .

(٥٩) الكتاب : القرآن الكريم . يصغى : يسمع فى انتباه — يقول : إن الفاروق يستمع إلى كتاب الله وينصت له فى خشية ووقار ، شأن المصطفين الأخيار من عباد الله المؤمنين .

(٦٠) نديد : النديد والند . المثل والنظير . المنى : جمع منية . ما يتمناه الانسان : يدعو الله أن يبقى الفاروق لتحقيق ما تصبو إليه البلاد من سؤدد ورفعة ، فهو المثل الأعلى لشبابها ، وذخرها لبلوغ أمانيها ونيل آمالها .

(٦١) أعجزت صفات الفاروق وشمائله قريض الشاعر وحيرته ، فهو عن بلوغ مداها عاجز مكدود ، لم تواته يراعته ولم يسعفه بيانه .

(٦٢) السهى : كوكب خفى يمتحن الناس به أبصارهم . المكدود : المتعب — يقول : شمرت عن ساعدى وأعددت عدتى لأصور الفاروق فجلت صفاته عن تصويرى وأعيت ريشتى . وأنى لمكدود مثلى أن يبلغ بقريضه أسمى نجوم السماء .

(٦٣) تغضى : الإغضاء كف البصر عن النظر . نجار . النجار . الأصل — يقول : للفاروق مع القدرة حلم واسع وعزم قوى . فهو يغضى عن الهفوات نبلا وكرما كما تغضى الأسود ، وإذا هم بأمر أمضاه كما يمضى الأسد هومه لا يثنيه عن غايته شىء .

(٦٤) فراسة : هى المعرفة ببواطن الأمور . المشهود . الحاضر المعروف — يصف الفاروق بحدة الذكاء وبعد النظر وصدق الفراسة ، وأنه ينفذ بفكره إلى الغيب فيجليه حتى يصير كأنه حاضر مشهود .

وإرَادَةٌ تَفرِى الصِّعَابَ شَبَاتُهَا وَتَهُدُّ عَزْمَ الصَّخْرَةِ الصَّيْخُودِ (٦٥)

وَذَكَاءُ قَلْبٍ لَوْ رَمَى حَلَكَ الدُّجَى لَمَضَى يُهَرْوِلُ فى المُسُوحِ السُّودِ (٦٦)

* * *

مَوْلَاى ! إنَّ الشِّعْرَ يَشْهَدُ أَنَّهُ بَلَغَ المَدَى فى ظِلِّكَ المَمْدُودِ (٦٧)

أَلْفَى خِلَالًا لَقَّنَتْهُ بَيَانَهُ فَأَعَادَهَا كَالصَّادِحِ الغِرِّيدِ (٦٨)

فَلَكَمْ بَعَثْتُ مَعَ الأَثِيرِ وَحِيدَةً فى فَنِّهَا تَشْدُو بِمُلْكٍ وَحِيدِ (٦٩)

فَاهْنَأْ بِمِيلَادِ الأَمِيرَةِ إِنَّهَا عُنْوَانُ مَجْدٍ طَارِفٍ وَتَلِيدِ (٧٠)

وانْعَمْ بِعِيدِ الفِطْرِ واسْعَدْ بالمُنَى فى طَالِعٍ ضَافِى النَّعِيمِ سَعِيدِ (٧١)

---

(٦٥) تفرى : تمزق . الشباة : الحدّ . الصخرة الصيخود : الشديدة — يقول للمليك إرادة تفرى الصعاب كما يفرى السيف المرهف الرقاب . وتحطم أقوى العزم ولو كانت صخوراً .

(٦٦) حلك الدجى : سواد الظلمة . يهرول : يمشى مسرعاً . المسوح : جمع مسح ثوب من الشعر غليظ — يقول : إن حدة ذكاء الفاروق لو رمت ليلا مظلماً لعاد نهاراً مضيئاً .

(٦٧) المدى : الغاية . الممدود : الدائم . يقول : قد بلغ الشعر غايته المنشودة فى ظلك الوارف وعصرك الزاهر ودولتك العظيمة ورعايتك الكريمة .

(٦٨) ألفى : وجد . الخلال : جمع خلة وهى الخصلة . يقول أوحت خلالك إلى الشعر روائع آياته ، وألهمته بدائع ألحانه وأناشيده . فمن خلالك استمد شدوه . ومن جلالك قبس تغريده .

(٦٩) يقول : طالما أرسلت الشعر على لسان المذياع قصائد مقطوعة النظير تتغنى بمآثر ملك ليس له فى الملوك من نظير .

(٧٠) الطارف : الجديد . التليد : القديم . يقول : فليهنك يا مولاى ميلاد الأميرة الكريمة « فريال » فهى عنوان مجدك الطريف والتليد .

(٧١) ضافى : سابغ . فى طالع : فى نجم طالع . اختتم الشاعر قصيدته بدعائه للمليك أن ينعم بعيد الفطر ويسعد ببلوغ الأمانى فى يمن أيامه السعيدة وعهده المجيد الميمون .

الزِّفَافُ المَلَكِيّ

أنشدت بدار الأبرا الملكية فى الحفل الذى أقامه الأدباء والشعراء لتهنئة حضرة صاحب الجلالة الملك بزفافه السعيد — يناير سنة ١٩٣٨

صَفَا وِرْدُهُ عَذْبًا وَطابَتْ مَنَاهِلُهْ ... وَجَلَّتْ يَدُ الدَّهْرِ الَّذِى عَزَّ نَائِلُهْ(١)

وأقبلَ مُنْقاد العنَــانِ مُذَلَّلا ... تَطَامَنَ مَتْنَاهُ، وَدَانَتْ صَوَائِلُهْ(٢)

يُطَأْطِئُ للفاروقِ رَأْسًا، وتَنحنِى ... أمامَ سَنَا المُلْكِ المَهيبِ كَوَاهِلُهْ(٣)

تَلفَّتَ فى الآفاقِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا ... فلَمْ يرَ فى أنحائِهَا مَن يُمَاثلُهْ(٤)

رَأى مَا رَأى! لَمْ يلْقَ عَزْمًا كعَزْمِهِ ... تَقُدُّ مَوَاضِيهِ، وتَفْرِى مَنَاصِلُهْ(٥)

---

(١) ورده : المراد ماؤه ، والضمير للدهر . المناهل : موارد الماء ، جمع مَنهل . يد الدهر : نعمته : عز نائله : قل عطاؤه — صفا الزمان وعظمت نعمته بزفاف الفاروق ، مع أن طبعه تكدير العيش وقلة العطاء .

(٢) مذللا : طيِّعاً . تطامن : ذل وسكن . المتنان : جانبا الظهر . دانت : خضعت . الصوائل : جمع صائل ، الحيوان يهجم على الناس ويؤذيهم — الدهر فى انقياده للفاروق كأنه جواد ذل لراكبه بعد جموح .

(٣) سنا الملك : ضياؤه . الكواهل : جمع كاهل ، الظهر مما يلى العنق — رأى الدهر عظمة الممدوح وجلال ملكه ، فأقبل إليه خاضعاً ، يطاطىء رأسه ويطامن ظهره .

(٤) أجال الدهر طرْفه : فى أنحاء العالم ، فما وجد للفاروق شبيهاً .

(٥) رأى ما رأى : رأى الدهر كثيراً . تقد : تقطع ، وأصل القد القطع طولا . المواضى : جمع ماض ، السيف الحاد . تفرى : تقطع . المناصل : السيوف ، جمع مُنصُل — رأى الدهر كثيراً من الناس ، وعرف طباعهم ، فما رأى فيهم كالفاروق همة ومضاء عزيمة .

يذوبُ مضَاءُ السيفِ عِنْدَ مَضَائِهِ   فَمَا هو إلا غِمْدُهُ وحَمائِلُهْ(٦)

إذا ما انْتضَاهُ ، فالسعودُ أعِنَّةٌ   إلى ما يُرَجّى ، واللَّيالِي رَوَاحِلُهْ(٧)

رَأَى طَلْعةً ، لوْ أنَّ للبَدْرِ مِثْلَهَا   لَمَا انحدرتْ دونَ النجومِ مَنَازِلُهْ(٨)

عَلَيْهَا شُعَاعٌ ، لَوْ رَمَى حَائِلَ الدُّجَى   لَفَاخَرَ وَجْهَ الصبحِ فى الحُسْنِ حائِلُهْ(٩)

تَرَاهَا ، فَتُغْضِى للجلالِ ، ورُبَّمَا   تشَوَّفَ لَحْظُ العَيْنِ لَوْ جَالَ جَائِلُهْ!(١٠)

هُوَ الشمْسُ يدنُو فى الظَّهِيرةِ ضَوْءُهَا   ويَصْعُبُ مَرْآهَا على مَن يُحَاوِلُهْ(١١)

هُوَ الروضُ أو أزْهَى مَن الروضِ نَضْرَةً   إذا داعبَتْ وَجْهَ الربيعِ خَمائِلُهْ(١٢)

هُوَ الأمَلُ البَسَّامُ ، رَفَّ جناحُهُ   فطارتْ به من كلِّ قلبٍ بَلابِلُهْ(١٣)

---

(٦) يذوب : يَفنى . غمد السيف : قرابه : الحمائل : جمع حمالة ، علاقة السيف — أمام عزمة الممدوح تتضاءل حدة السيف ، بل يذهب جوهره ويفنى ، فلا تجد منه إلا الغمد والحمالة .

(٧) انتضى السيف : سله من غمده . السعود : نجوم عشرة مختلفة المطالع يتيمن العرب بها ، جمع سَعْد . الرواحل : جمع راحلة الناقة الكريمة يسافر عليها . إذا اعتزم الفاروق أمراً أدركه ، وكان له من الزمان فى بلوغ غايته مطية ذلول ، عنانها اليمن والإقبال .

(٨) رأى الدهر للممدوح إشراقة دونها إشراقة البدر ، ولو أن له مثلها لكان أعظم الكواكب قدراً ، وأرفعها منزلة .

(٩) عليها شعاع : لها ضياء . حائل الدجى : حالك الظلام . وجه الصبح : أوله — لطلعة الفاروق نور باهر ، لو سطع فى حالك الظلام ، لكان أعظم من الصباح ضياء ، وأبهى جمالا .

(١٠) تراها : أى طلعة الفاروق . تغضى : تغمض العين حياء . تشوف : تشوق . جال جائله : تردد نظره — إذا رأيت طلعة الفاروق ، أغضيت إجلالا ومهابة ، مع شدة تشوفك إلى رؤيته.

(١١) هو فى ذلك كالشمس وقت الظهيرة تدنو أشعتها وتشق رؤيتها .

(١٢) نضرة : حسناً . داعبت : لامست . وجه الربيع : نبته ورهره الذى يغطى الأرض . الخمائل : جمع خميلة ، الشجر الملتف المتدلى الأغصان — هو أنضر من الروض فى شباب الربيع ، حين يخضر وجه الأرض ، ويورق الشجر ، وتتمايل الأغصان كأنها تداعب العشب والريحان .

(١٣) الأمل البسام : المقبل المرجّى . رف جناحه : تحرك وانبسط . طارت : ذهبت . البلابل : جمع بَلبلة ، الهم واضطراب القلب . شبه المليك بالأمل الضاحك إذا بسط جناحيه اطمأنت القلوب ؛ وزايلتها الهموم .

هُوَ الكوكبُ اللمَّاحُ، يَسْطَعُ بالمُنَى ... وتَنْطِقُ بالغيثِ العَميمِ مَخَايِلُه (١٤)

تَرَى بَسْمَةَ الآمالِ فى بَسَماتِهِ ... وتَلْمَحُ سِرَّ النُّبْلِ حِينَ تُقَابِلُه (١٥)

شَبَابٌ كمَا يَصْفُو اللُّجَيْنُ كأنَّمَا ... تَمَلَّأَ مِنْ مَاءِ الفَرَادِيسِ نَاهِلُه (١٦)

يُفَدِّيهِ غُصْنُ الدَّوحِ رَيَّانَ نَاضِرًا ... إذَا اهْتَزَّ فى كَفِّ النَّسَائِمِ مَائِلُه (١٧)

تَطَلَّعَ رُمْحُ الخطِّ يَبْغِى اعْتِدَالَهُ ... فعَادَ حَسِيرًا يَنْكُتُ الأَرْضَ ذَابِلُه (١٨)

وَمِنْ أَيْنَ لِلرُّمْحِ المُثَقَّفِ عَزْمُهُ ... وَمِنْ أَيْنَ لِلرُّمْحِ الطَّوِيلِ طَوَائِلُه؟ (١٩)

إِذَا حَفَزَتْهُ الحادثاتُ رَأَيْتَهُ ... وَقَدْ شَكَّ أَحْشَاءَ الحوادثِ عَامِلُه (٢٠)

---

(١٤) اللماح : اللماع . المخايل : دلائل الخير ، جمع مَخِيلة — كأن الفاروق نجم السعد لاح للناس ، إذا ظهر بَشَّرَ بالغيث والخير العميم .

(١٥) ترى الممدوح باسم الثغر طلق المحيا ، فلا يخيب مؤمله ؛ ولو حظيت برؤيته ، لقرأت آية النبل فى أسارير وجهه ، وعرفت السر فى سمو خلائقه .

(١٦) اللجين : الفضة . تملأ : ارتوى . الفراديس : الجنان ، جمع فردوس . الناهل : الراوى — شبابه كأنه الفضة المصفاة ، لا تشوبها شائبة ، بل هو شباب لا عهد للناس به ، فكأنه من شباب أهل الجنة .

(١٧) يفديه : يقول له : « جعلت فداك » . الدوح : جمع دوحة ، الشجرة العظيمة . ريان : راوياً . ناضراً : حسنا . النسائم : جمع نسيم ، الريح اللينة — إن الغصن أحسنَ ما يكون ، يرى نفسه دون الفاروق نضارة وبهاء فيفديه .

(١٨) تطلع : رفع بصره . الخط : مرفأ السفن بالبحرين ، وتنسب إليه الرماح ، لأنها تباع فيه . حسيراً : كليلا ضعيفاً . ينكت الأرض : يبحث فيها بعود أو نحوه . ذابل الرمح : قناته . تصور الشاعر الخطىَّ إنساناً رأى الممدوح ، فراعه قوامه ، فتمنى أن يكون له اعتداله . ولكن بصره انقلب خاسئاً ، فجعل ينكت الأرض لخيبته وإخفاقه .

(١٩) المثقف : المقوَّم المهذب . الطوائل : الأعمال العظيمة ، جمع طائل أو طائلة — مهما عظم شأن الرمح وجل نفعه ، فعزم الفاروق أشد منه نفاذاً ، وأكثر آثاراً .

(٢٠) حفزته الحادثات : أثارته لدفعها . شكَّ : أصاب . الأحشاء : الأمعاء ، جمع حَشاً . عامل الرمح : صدره — الحوادث تثير الممدوح لصدها ، فيهزمها ، وينال رأيه الصائب ، وعزمه الصارم منها المقاتل .

علاءٌ تحدَّى الدهرَ فى بُعْدِ شأوِهِ — فمَنْ ذا يُدانيهِ، ومَنْ ذا يُفاضِلُهْ؟[٢١]

ورأىٌ كأنفاسِ الصَّباحِ وقدْ بدَا — تَشِفُّ مَجاليهِ، وتَهفُو غَلائِلُهْ[٢٢]

وَخُلْقٌ كَمُخْضَلِّ النَّسيمِ بِرَوْضَةٍ — ذَوائِبُهُ نفَّاحَةٌ وَجَـداثِلُهْ[٢٣]

يَمَسُّ جَبينَ النيلِ فى رِفْقِ عاشقٍ — وتَفْتَحُ أكمامَ الزهورِ مَساحِلُهْ[٢٤]

* * *

دَعَوْتُ إليكَ الشِّعْرَ فانقادَ صَعْبُهُ — وقَدْ كانَ قبلَ اليومِ شُمْسًا جَوافِلُهْ[٢٥]

وَمَا كِدْتُ أدعُو الوحْيَ حتى سَمِعْتُه — تُبادِهُنى آياتُهُ ورَسَـائِلُهْ[٢٦]

---

(٢١) تحدى الدهر : طلب أن يأتى بمثل فَعاله . الشأو : الغاية — الدهر يعجز عن بلوغ غايته فى المحامد ، فكيف بالناس ، فهيهات أن يماثله أو يقرب منه أحد .

(٢٢) أنفاس الصباح . أضواؤه . مجاليه : أشعته ، جمع مَجْلى . تهفو : تهتز وتنتشر . غلائله : أول ما يبدو من أنوار النهار ، جمع غلالة ، وأصلها الثوب الرقيق يلامس الجسم — الممدوح فى صواب رأيه ، واهتداء الناس به ، كالصبح إذا تنفس ، وأشعة أنواره تملأ الفضاء .

(٢٣) المخضل : الرطب الندىّ . ذوائب النسيم : أوائله ، وجدائله : أواخره ، وأصل الذوائب جمع ذؤابه . شعر الناصية ، وأصل الجدائل جمع جديلة : الشعر المضفور خلف الرأس ففى كلتيهما استعارة . نفاحة : فواحة — للممدوح خلق سمح ، تفتن الناسَ دماثته . وما أشبهه بنسيم ندىّ يمر بروضة مزهرة ، فيعطر الجوّ بأريجها .

(٢٤) جبين النيل : صفحة مائه ، الأكمام : جمع كِمّ ، غلاف الزهرة . المساحل : جمع مِسْحل ، الثوب النقى من القطن استعارها لخطرات النسيم . يقول : إن النسيم الذى يحكيه خلق الممدوح ، لين ندىّ ، إذا مر بالنيل لمسه فى رفق كلمسة العاشق معشوقه ، وإذا خطر بروض جر أذياله على أكمامه ، فتفتقت عن أزهارها .

(٢٥) الشمس : أصله ضم الميم ، وسكنت ، جمع شموس ، الحصان يستعصى على راكبه . الجوافل : جمع جافل ، الشارد الجموح . شبه الشعر فى امتناعه وعسر لظمه بجواد شموس يجفل ولا يمكن أحداً من ظهره ، ولكن الشاعر حين دعاه للقول فى الممدوح . انقاد صعبه وذل .

(٢٦) الوحى : هنا الإلهام . تبادهنى : تفاجئنى وتأتينى على البديهة — لم أكد أطلب الشعر وأستلهم وحيه . حتى تدفقت علىّ خواطره ، وتزاحمت لدى روائعه .

خَيَالٌ ، إِذَا أَرْسَلْتَهُ إِثْرَ نَافِرٍ أَتَتْ بِأَعَزِّ الآبداتِ حَبَائِلُهُ (٢٧)

ولَفظٌ كَوَجْهِ الرَّوْضِ فى مَيْعَةِ الضُّحَى وقَدْ صَدَحَتْ فوقَ الغُصونِ عَنَادِلُهْ (٢٨)

إذا قُلْتَه أَلْقَى عُطارِدُ سَمْعَهُ وسَاءَلَ شمسَ الأُفقِ مَنْ هو قائِلُه! (٢٩)

وإن سارتِ الريحُ الهَبُوبُ بِجَرْسِهِ فآخِرُ أَكنافِ الوُجُودِ مَرَاحِلُهْ (٣٠)

إذا ذُكِرَ الفاروقُ فاضَ مَعِينُهُ وثَجَّتْ قوافيهِ، وعَبَّتْ حَوَافِلُهْ (٣١)

يقولُ ، وَمَالِى حِينَ أَكتُبُ قَوْلَهُ مِنَ الفَضْلِ شَىْءٌ ، غَيْرَ أَنِّى نَاقِلُهْ (٣٢)

رَأَى مَلِكاً يَحْيَا القَرِيضُ بِوَصْفِهِ فضائِلُهُ جَلَّتْ، وعَمَّتْ فَوَاضِلُهْ (٣٣)

رَأَى مَلِكاً يُزْهَى بِهِ الدِّينُ والتُّقَى شمائِلُ أملاكِ السماءِ شمائِلُهْ (٣٤)

---

(٢٧) النافر والآبد : الشارد . الحبائل : شباك الصيد ، جمع حِبالة — للشاعر فى الفاروق خيال قوى بعيد المدى ، لا تفلت منه شوارد المعانى التى يعز على غيره من الشعراء اقتناصها .

(٢٨) ميعة الضحى : أوله . العنادل : جمع عندليب ، طائر صغير غرد . يشبه ألفاظ قصيدته فى جلائها وطرب الناس لها بأغصان روضة جلتها الشمس فى الإبكار ، وغنت فوقها الأطيار .

(٢٩) عطارد : كوكب الفن والشعر . يقصد أن شعره لا يبارى فى بلاغته ورقته ، حتى إن عطارد . وهو ملهم الشعراء لا عهد له بمثل شعره ، فإذا سمعه بُهر ، وسأل الشمس : من صاحبه؟

(٣٠) الهبوب : السريعة . الجرس : الصوت والنغمة . الأكناف : النواحى ، جمع كنَفٍ — لشعره رنة فى الأسماع . وهزة فى القلوب ، إذا قاله سارت به الرواة إلى أقاصى الأرض.

(٣١) فاض . كثر . معينه : مادته ، وأصل المعين الماء الجارى . ثجت : تدفقت . عبَّت حوافله : غزرت معانيه ، والحوافل : جمع حافل الكثير المتجمع من كل شىء — للممدوح من جليل الصفات ، وجميل المناقب ما يسهل على الشاعر الاغتراف من بحور الشعر ، فالألفاظ فائضة والقوافى دافقة ، والمعانى حافلة .

(٣٢) الشعر على وأنا أكتب .

(٣٣) القريض : الشعر . الفواضل : النعم ، جمع فاضل أو فاضلة — للممدوح من شريف السجايا ، وجليل العطايا ما يلهم الشاعر الإجادة فيما يريد .

(٣٤) يزهى ، يفخر . الشمائل . الخصال ، جمع شِمال . أملاك السماء : الملائكة جمع مَلاك — رأى الشعر ملكا أعز الدين حتى زها به . وما من خلق كريم إلا طبع عليه ، حتى كأن خلائق الملائكة خلائقه .

رَأى مَلِكاً كَالنِّيلِ : أما عَطاؤُهُ فغَمْرٌ ، وأما المكرماتُ فساحِلُهُ(٣٥)

فَغَرَّدَ فى الأجواءِ باسْمِكَ طيرُهُ وردَّدَ فى الآفاقِ ذِكْرَكَ هادِلُهُ(٣٦)

وصَاغَتْ لكَ التِّبْرَ المُصفَّى فنُونُهُ وحَاكَتْ لكَ البُرْدَ المُوَشَّى أنامِلُهُ(٣٧)

ولم يَبْقَ من نَسْجِ السَّحائبِ زَهرةٌ تَرِفُّ نَدًى إلا حَوَتْهَا فَوَاصِلُهُ(٣٨)

وَصَبَّ شُعَاعَ الشَّمسِ تاجَ مَهابةٍ لِمَنْ تَوَّجَتْهُ بالفَخَارِ فَضَائِلُهُ(٣٩)

وَفَكَّ رُموزَ السحرِ من أرضِ بابلٍ لأجلكَ ، حتى استنجَدَتْ بكَ بَابِلُهُ(٤٠)

أَعَدْتَ له عهدَ الرَّشيدِ فأسْرَعَتْ إلى سُدَّةِ الفاروقِ تَشْدُو بَلابِلُهُ(٤١)

---

(٣٥) الغمر : الماء الكثير — الفاروق مثل النيل خيراً وبركة : فجوده عميم يحيى الآمال كمائه ، ومكرماته تنبت الحمد كواديه .

(٣٦) الأجواء : جمع جو . الهادل : المغرد من الحمام : جعل الشعر طيراً يحلق فى السماء ، وينشر اسم الممدوح فى سائر الجواء .

(٣٧) البرد الموشى : الثوب المنقوش بألوان شتى — أبدع الشعر فى وصف خلالك ، واستقصاء آثارك ، حتى كأنه صاغ لك من الذهب حلية ، وكساك من الإبريسم حلة .

(٣٨) نسج السحائب : ما ينبته ماؤها . ترف : تهتز . فواصل الشعر : جمله — ما من لفظ أنيق ، ولا معنى رقيق كأنهما الزهرة طلها الندى إلا اشتمل عليهما الشعر فى مدحك والثناء عليك .

(٣٩) يقول : ان شعره صاغ تاجاً من أشعة الشمس للممدوح الذى توجته الفضائل بتاج المجد والفخار ، فله من النور تاج ، ومن الفضل تاج ، ومن الملك تاج .

(٤٠) فك رموز السحر : عرف أسراره . بابل : مدينة بالعراق عرفت بالسحر قديما ، كما ورد فى القرآن — أبدع الشعر فيك ما أبدع ، حتى سحر العيون وحير العقول ، وكأنه أغار على بابل ، فسلبها سحرها وخلب الناس به فى الاشادة بذكرك ، فاستغاثت بك لترد منه إليها سحرها .

(٤١) سدة الفاروق : بابه . تشدو بلابله : يريد إنشاد الشعراء المدائح — شجعت الشعراء ، وغمرتهم بعطفك وبرك ، فولوا وجوههم شطرك ، يتفننون بمفاخرك ، حتى عادت إلى الشعر مكانته فى عصر الرشيد ، وقد كان أعظم الخلفاء جاهاً ، وأبعدهم صيتا ، وأكثرهم للعلماء والشعراء تقريبا ، وهو نفسه كان شاعراً راوية .

وما أنتَ فى الأَمْلاكِ إلا قصيدةٌ ... تفاعيلُها البرُّ الَّذى أنتَ فاعِلُهْ (٤٢)

يَهُبُّ طَرِيحُ الشِّعْرِ فِى دَوْلَةِ النُّهَى ... وتُلْهِمُ أَسْرَارَ البيانِ مَقاوِلُهْ (٤٣)

حَمَلْتُ لَهُ الرَّيْحَانَ يومَ زِفافِهِ ... نَضِيرَ الحَوَاشِى يَنْشُرُ المِسْكَ خاضِلُهْ (٤٤)

أَزَاحِمُ للفاروقِ حَشْدًا كأنَّهُ ... خِضَمٌّ مِنَ الأَمواجِ ضاقتْ سَبَائِلُهْ (٤٥)

يُغَطِّى أَدِيمَ الأرضِ عَزَّ اختراقُهُ ... وسُدَّتْ عَلَى أَقْوَى الرجالِ مَدَاخِلُهْ (٤٦)

إذا أنتَ لَمْ تَعْرِفْ مَدَى أُخْرَيَاتِهِ ... فَسَلْ طَرْفَكَ المَمْدُودَ أَيْنَ أَوَائِلُهْ ؟ (٤٧)

حَمَلْتُ لَهُ الرَّيْحَانَ أَرْفَعُ مِعْصَمِى ... إِلَى المَلِكِ الفَرْدِ الذى فازَ آمِلُهْ (٤٨)

---

(٤٢) الأملاك : الملوك ، جمع ملك . تفاعيل القصيدة : الأجزاء التى توزن بها ، جمع تفعيلة ، وهى تختلف باختلاف بحور الشعر ؛ فهى مثلا فى بحر الطويل الذى منه هذه القصيدة ، فعولن مفاعيلن مكررين أربع مرات . المعنى : سموت على كل الملوك ، إذ قوام حياتك البر والاحسان ، وما أشبهك فى ذلك بالقصيدة قوامها تفاعيلها .

(٤٣) يهب : ينهض . طريح الشعر : عليله وضعيفه . النهى : العقول ، جمع نهية ، ويريد بدولة النهى دولة العلم والثقافة . مقاوله : قائلوه ، جمع مقول ، ويسمى اللسان أيضا مقولا .
نشر الممدوح ألوية العلم فى البلاد ، فاستنارت العقول ، وفاض معين الأفكار ، وللشعر المريض من ذلك أنجع دواء ، وأصح غذاء ، فلا غرو أن انتعش الشعر فى عصره .

(٤٤) نضير : حسن . الحواشى : الأطراف ، جمع حاشية . خاضله : نديه ورطبه . يقول : أهديت الى الفاروق يوم زفافه شعرا ، ملك السمع لفظه ، وهز النفس نغمه ، وكأنه الريحان نسقت أوراقه ، وسطع فى الآفاق طيبه .

(٤٥) الحشد : الجمع . الخضم : البحر ، أو الجمع الكثير . السبائل : الطرق ، جمع سبيلة . يقول : أقبل الناس من كل صوب يحتفون بزفافك ، فكانوا كالأمواج المتراكمة ، ولم تعقنى كثرتهم عن المزاحمة بشعرى أرفعه إليك .

(٤٦) أديم الأرض : وجهها . عز اختراقه : شق السير فيه ، والجملة حال من المفعول . مداخله : منافذه وطرقه جمع مدخل . يقول : غصت القاهرة بالجموع التى وفدت اليها من الأقاليم ، حتى ضاقت بهم على اتساع أرجائها ، وصعب على أقوى الناس اختراق شوارعها .

(٤٧) ذلك الحشد تبهرك كثرته ، ولو سألت عينك عنه ما درت أوله ، ولا عرفت آخره .

(٤٨) معصمى : يدى ، وأصل المعصم موضع السوار من الساعد . يقول : على الرغم من تدافع تلك الجموع ، وتزاحمهم حول الفاروق ، تقدمت أشق صفوفهم ، لأرفع إليه تهنئتى ، فهو أهل الثناء ومحقق الرجاء .

وقد مَلأَ الأُنْسُ الوجوهَ فأشْرَقتْ | من البِشْرِ حتى كادَ يَقطُرُ سائلُهْ(٤٩)
طَلَعْتَ على الجمعِ الحَفيلِ بِمَوْكِبٍ | يُبادِلُكَ الشَّعْبُ المُنَى وتُبادِلُهْ(٥٠)
مَوَاكِبُ لمْ يُعْرَفْ لرمسيسَ مِثْلُها | وَلاَ خَطَرَتْ في مِثْلِهِنَّ قَنابِلُهْ(٥١)
يُحيطُ بِهَا عِزُّ المَليكِ ومَجْدُهُ | وتَزْحَمُهَا فُرْسَانُهُ وصَوَاهِلُهْ(٥٢)
إذَا امْتَلَكَ الحبُّ النفوسَ هَفَتْ لَهُ | سِراعًا وأَعْطتْ فوقَ ما هُوَ سائلُهْ(٥٣)
رَأَوْكَ فعَالَوْا بالهُتَافِ كأنَّمَا | يُنافِسُ نِدٌّ نِدَّهُ ويُساجِلُهْ(٥٤)
كأنهمُ جَيْشُ الغمائمِ أَرَّقَتْ | رَوَاعِدُهُ جَفْنَ الدُّجَى وزَواجِلُهْ(٥٥)

---

(٤٩) أين سار الانسان لا يجد إلا أنسا وسرورا ، فالكل مبتهج بزفاف الفاروق ، وجوههم يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ، تفيض بشرا وطلاقة .

(٥٠) الحفيل : الكثير . أشرقت على شعبك بموكب الجلال والجمال ، فشغفه حبك ، وشمله عطفك ، فتبادلتما آيات الوفاء .

(٥١) رمسيس : يريد رمسيس الثانى ، أحد ملوك الفراعنة ، وكان من أشد ملوك مصر قوة وأكثرهم جيشا ، وأوسعهم ملكا ، وأعظمهم أبهة . القنابل : طوائف الناس أو الخيل جمع قنبل أو قنبلة . المعنى : جلت مواكب الفاروق عن الشبيه ، وأين منها فى كثرة خيلها ورجلها ، مواكب رمسيس وما روى عنها التاريخ من هيبة وجلال .

(٥٢) فاقت تلك المواكب أيضاً غيرها ، بما خلع عليها المليك من عزه ومجده ، وما عرضه فيها من أجناد وخيول زادتها ازدحاما ، وملأتها جلالا .

(٥٣) هفت : دانت . المعنى : لا عجب أن يكون لهذه المواكب ما ذكر من أبهة وعظمة ، فقد ملك حب الفاروق قلوب شعبه ، فأقبل بهم إليه ، وقد تنافسوا فى حبه والتعلق بذاته ، والحب إذا صدق أسر النفس وكانت له عبدا .

(٥٤) عالوا : رفعوا أصواتهم . الند : المثل والنظير كالنديد . يساجل : يبارى وينافس . يقول: حين تجلى للناس موكب زفافك ، وشهدوا بهاء طلعتك ، أخذت العيون ، وخفقت القلوب ، وتعالت الأصوات لك بالدعاء ، تشق عنان السماء ، وتجوب فسيح الفضاء ، وتنافُس الخلق فى ذلك برهانُ الحب والولاء .

(٥٥) الغمائم : جمع غمامة . أرقت : أسهرت . الرواعد : جمع راعد وهو السحاب ذو الرعد ، الزواجل : جمع زاجل من الزجل وهو الصوت ، ويقال : سحاب زجل أى ذو رعد . يقول : إن الناس فى كثرتهم وتدافعهم نحو الممدوح ، وتأريقهم ليل زفافه بالسهر والتهاليل ، كغمام توالت فى ليل سحائبه ، وقصفت رواعده ، فحرم هدوءه وسكونه .

فلا عَيْنَ إلاَّ وَهْىَ تَرْتَقِبُ المُنَى ... وَلاَصَدْرَ إلافارِحُ القلبِ جَاذِلُه (٥٦)

وقَدْ رُفِعَتْ أعلامُ مِصْرَ خَوافِقاً ... يُغَازِلُهَا مَسُّ الصَّبَا وتُغَازِلُه (٥٧)

فإنْ كانَ مِنْ عَيْنٍ فإنَّكَ نُورُهَا ... وإنْ كانَ مِنْ قَلْبٍ فإنَّكَ آهِلُه (٥٨)

وإنْ كانَ مِنْ دَهْرٍ فأنتَ نَعيمُهُ ... وإنْ كانَ مِنْ فَضْلٍ فإنَّكَ بَاذِلُه (٥٩)

رَأى فِيكَ هَذَا الشَّعْبُ آمَالَهُ الّتى ... تَمَنَّى عَلَى الأيامِ وَهْىَ تُمَاطِلُه (٦٠)

أَحَبَّكَ حَتَّى صَارَ حُبُّكَ رُوحَهُ ... ونُورَ أمَانِيهِ الّذِى لاَ يُزَايِلُه (٦١)

فَمَنْ شَاءَ بُرهاناً عَلَى صَادِقِ الهَوَى ... فهذِى الْجُمُوعُ الزاخراتُ دَلاَئِلُه (٦٢)

نَثَرْتَ بُذُورَ الْحُبِّ فِى كُلِ مُهْجَةٍ ... وَتِلْكَ التى تَهْفُو إليكَ سَنَابِلُه (٦٣)

---

(٥٦) الجاذل : الفرحان. يقول : لا ترى فى موكب الزفاف إلا عيوناً ترقب الأمانى والآمال ، وقلوباً تفيض بالبشر والابتهال .

(٥٧) خوافق : متحركات . يغازلها : يلاعبها . الصبا : ريح طيبة تهب من الشمال الشرقى . إن راعك ما رأيت فى الشوارع والميادين ، فانظر إلى المنازل والقصور تزدك روعة أعلامها التى نشرت هنا وهناك ، وقد لمستها يد الصبا فاهتزت سروراً ، كأنها تشارك المحتفلين .

(٥٨) آهله : ساكنه. يقول: الممدوح خليق بكل هذه الحفاوة، فهو أحداق العيون، وحبات القلوب

(٥٩) أنت نعمة الدهر جاد بها ، وهو البخيل بالرجال ؛ وكل فضل على الناس أنت واهبه ، أو منسوب إليك صاحبه .

(٦٠) طالما تمنى الشعب المصرى على الأيام ملكا يبز الملوك جاها وعزا ، فكانت تضن ، حتى لبت دعوته ، وحققت بك أمنيته .

(٦١) يزايل : يفارق المعنى : امتزجت محبتك بقلوب شعبك ، حتى صرت منه بمثابة الروح من الجسد ، والأمل المبتسم من النفس لا تسعد إلا به .

(٦٢) صادق الهوى : خالص الحب . الزاخرات : الكثيرة المنتشرة ، جمع زاخر . يقول : من طلب برهانا على محبة الشعب فى حب الفاروق فلينظر إلى طبقاته وقد هرعت من الأقاليم ، واكتظت بها القاهرة ، احتفاء بزفافه .

(٦٣) نثرت : بذرت . المهجة : القلب أو دمه . تهفو : تميل وتقبل . السنابل : جمع سنبلة وهى سبلة الزرع كالقمح والأرز . يقول: ألقيت بذور الحب فى قلوب شعبك ، فصادفت تربة خصبة ، تخرج شطؤها ، ونضر ورقها ، وزها زرعها ، فما هذا الذى تراه منهم إلا ثمار ما زرعت فى القلوب

حَياتُكَ يَا فَاروقُ لِلدِّينِ عِصْمَةٌ وأَعْمَالُكَ الغُرُّ الجِسَامُ مَعاقِلُه(٦٤)

مَنَابِرُهُ تَهْتَزُّ بِاسْمِكَ فَوقَهَا وَتَلْتَفُّ مِنْ شَوْقٍ عَلَيْكَ مَحَافِلُه(٦٥)

تُعَفَّرُ بِالتُّرْبِ الجَبِينَ الَّذِى عنَا لَهُ الشَّرْقُ وَانْقَادَتْ إِلَيْهِ جَحَافِلُه(٦٦)

لَهُ لَمَعَاتُ المَشْرَفِيِّ ازْدَهَتْ بِهِ عَلَى كُلِّ أَبْنَاءِ الغُمُودِ صَيَاقِلُه(٦٧)

لَيَالِيكَ أَقْمَارُ الزَّمَانِ وَسَعْدُهُ وأَيَّامُكَ البِيضُ الحِسَانُ أَصَائِلُه(٦٨)

قَدِ اخْتَارَكَ الرَّحْمَنُ مَوْضِعَ فَضْلِهِ إِذَا عَزَّ مَوْصُولٌ فَقَدْ جَلَّ وَاصِلُه(٦٩)

هَنِيئًا لكَ اليومُ السَّعِيدُ الَّذِى زَهَا عَلَى الدَّهْرِ لَمَّا لَمْ يَجِدْ مَا يُشَاكِلُه(٧٠)

---

(٦٤) العصمة : الوقاية . الغر : المعروفة المشهورة ، جمع أغر ، وأصله الحيوان فى جبهته بقعة بيضاء تسمى الغرة ، يشتهر بها . المعاقل : الحصون ، جمع معقل . يقول : حياتك حياة للدين ، فتمسكك بأهدابه ذياد عن حياضه ، وأعمالك الجليلة تشييد لبنيانه .

(٦٥) المحافل : المجتمعات ، جمع محفل . يشير إلى دعاء الخطباء لجلالة الملك فوق المنابر ، والتفاف الناس واجتماعهم حوله وهو يؤدى الفرائض فى المساجد ، يوحى سنة الخلفاء .

(٦٦) عنا : خضع . الشرق : يقصد به الممالك الإسلامية . الجحافل : جمع جحفل الجيش الكثير ، والمراد الأمم الشرقية . يقول : لم تزهك عظمة المُلك ، ولم تبطرك زعامة الشرق ، فتنسى حقوق الله عليك . بل زادك هذا إقبالا عليه ، وخشية لجلاله ، فوقفت بين يديه ، يعنو له وجهك ، وينحنى بالركوع رأسك ، ويعفر بالسجود جبينك .

(٦٧) المشرفى : السيف نسبة إلى مشارف الشام لصنعه بها . أبناء الغمود : السيوف . الصياقل : جمع صيقل ، وهو من يجلو السيوف ويشحذها . ذلك الجبين الذى خشع للرحمن يسطع نوراً ، كأنه بريق سيف ثمين أبدعت يد الصاقل جلاءه ، ففاق كل السيوف لمعانا ، ففخر عليها ، وازدهى بحسن روائه

(٦٨) الحسان : جمع حسن أو حسناء . الأصائل : جمع أصيل ، الوقت من بعد العصر إلى المغرب وهو خير أوقات النهار لينا وأكثرها جمالا . عهدك كله بر وإحسان ، فهو غرة فى جبين الزمان ، فلياليه مشرقة بأنوارك ، وأيامه سعيدة بجليل أعمالك .

(٦٩) عز : عظم . ويريد بالموصول الفاروق ، وبالواصل الله سبحانه . علم الله أنك مثابة الفضل ، فوصلك بفيض نعمته ، فنعمت الصلة ، ونعم الواصل والموصول

(٧٠) الهنىء : ما أتاك بلا مشقة . يشاكله : يشابهه . أمن يوم زفافك أن يكون له مثيل فى حياة الزمان ، فتاه بك على الأيام ، فلتهنأ به ، وليهنأ بك .

يُذَكِّرُنَا المأمونَ يومَ زِفافِهِ	وَقَدْ مَشَتْ الدُّنْيَا إِلَيْهِ تُجَامِلُهْ (٧١)
وَسَالَ بِهِ سَيْلُ النُّضَارِ كأَنَّمَا	تَفَجَّرَ مِنْ بَيْنِ السَّحَائِبِ وَابِلُهْ (٧٢)
وَأَيْنَ مِنَ المأمونِ أَوْ مِنْ زِفَافِهِ	جَلالَةُ مَلْكٍ أَعْجَزَتْ مَنْ يُطَاوِلُهْ (٧٣)
أَبَى الدهرُ أَنْ يَلْقَى ليومِكَ ثَانِيًا	يُقَارِبُهُ فى نُبْلِهِ أَوْ يُعَادِلُهْ (٧٤)
تَخَيَّرْتَ مِنْ وَادِى الكنانةِ زهرةً	تَتِيهُ بِهَا جَنَّاتُهُ وَظَلائِلُهْ (٧٥)
فَرِيدَةُ مَجْدٍ يَعْرِفُ المَجْدُ قَدْرَهَا	وتُزْهَى بِهَا يَوْمَ الفَخَارِ عَقَائِلُهْ (٧٦)

---

(٧١) مشت الدنيا : أقبلت . تجامله : تشاركه فى سروره .

(٧٢) النضار : الذهب . تفجر : انهمر . الوابل المطر الغزير .

(٧٣) يطاوله : ينافسه فى طول باعه ، وبعد غايته فى المكرمات . يريد بهذا البيت وسابقيه أن زفاف الفاروق فوق ما كان له من روعة ، أنفق فيه جلالته آلاف الجنيهات ، على الفقراء والجمعيات الخيرية ، ومدت موائد فاخر الطعام فى أنحاء البلاد ، وتزاحمت على أبوابه هدايا العظماء وتهانى الملوك ، مما ذكر الشاعر بزفاف المأمون إلى بوران بنت وزيره الحسن بن سهل ، فقد ضرب به المثل ، وأطنب المؤرخون والأدباء فى وصفه : ذكروا أنه كانت تنثر فى موكبه على الناس الدراهم والدنانير ، وفى ليل زفافه أوقدت شموع من العنبر ، وفرشت بسط سداها خيوط الذهب الإبريز ، ونثرت على الخاصة رقاع بما وهب من الضياع ، وامتلأت دجلة بالزوارق تضىء بأنوار البشر ، وتبسط أشرعة السرور الخ ، وهو مع هذا دون زفاف الفاروق .

(٧٤) لن يلقى الدهر ليومك فى أنسه وبهجته مثيلا ، ولن يكون من الأيام ما يساويه أو يقاربه فى فضله وشرفه .

(٧٥) وادى الكنانة : وادى النيل ، وأصل الكنانة جعبة السهام . زهرة : يريد جلالة الملكة فريدة . تتيه : تدل . الظلائل : جمع ظليلة ، وهى الروضة الكثيرة الحرجات ، والحرجات : جمع حرج وهو المكان الضيق الكثير الشجر . لله صواب رأيك وحسن اختيارك ، حين قطفت من صميم شعبك زهرة تزهى بها جناته .

(٧٦) العقائل : كرائم النساء المخدرات ، جمع عقيلة . عرف المجد قدر جلالة الملكة ، فملكها أرضه ، وبوأها سماءه ، وكان حقا أن تفخر بها كرائم النساء . وقد يكون المراد بالمجد الفاروق ، وأنه عرف قدرها فآثرها على سائر العقائل بل على الأميرات .

وَدُرَّةُ خِدْرٍ أَقْسَمَ الْخِدْرُ إِنَّهُ ... عَلَى مِثْلِهَا لَمْ تُلْقَ يَوْماً سَدَائِلُهْ(٧٧)

يَتِيهُ بِهَا ضَافِي الشَّبَابِ وَنَضْرُهُ ... وَتَسْمُو حَوَالِيهِ بِهَا وَعَوَاطِلُهْ(٧٨)

تَخَيَّرْتَهَا فَوقَ السَّحَابِ مَكَانَةً ... وَأَصْفَى مِنَ المَاءِ الَّذِي هُوَ حَامِلُهْ(٧٩)

حَبَاهَا إِلٰهُ العَرْشِ أَكْبَرَ نِعمةٍ ... تَجَلَّتْ أَيَادِيهِ وَعَمَّتْ جَلَائِلُهْ(٨٠)

فَعِشْ فِي رِفَاءٍ بِالبَنِينَ مُمَتَّعاً ... يُضِيءُ بِكَ الوَادِي وَيَخْضَرُّ مَاحِلُهْ(٨١)

وَدُمْ لِبَنِي مِصْرٍ أَمَاناً وَرَحمةً ... فَأَنْتَ حِمَى النِّيلِ الوَفِيِّ وَعَاهِلُهْ(٨٢)

---

(٧٧) الدرة : اللؤلؤة العظيمة . الخدر : كل ما وارك وسترك من بيت ونحوه . لم تلق : لم ترخ . السدائل . الستور ، جمع سديل . المعنى : صور الله جلالتها فى أحسن صورة ، فجاءت درة عصرها ولو سئلت عنها القصور لأقسمت أنها لم ترخ سدولها على شبيه لها .

(٧٨) ضافى الشباب : سابغه وتامه . الحوالى : النساء عليهن الحلى جمع حال أو حالية . والعواطل : من لا حلى عليهن ، جمع عاطل . المعنى : لجلالة الملكة من سابغ الشباب وناضره ، ما جعل النساء جميعا يتهنَّ بها ، سواء فى ذلك من حليت بالشباب ، ومن عطلت منه .

(٧٩) سمت جلالتها ، حتى كانت فوق السحاب منزلتها ، وصفا ماء شبابها ، حتى كان ماء المزن على نقائه دونها .

(٨٠) حبا : أعطى . الجلائل : النعم العظيمة جمع جليل أو جليلة . نعم الله على جلالتها لا تعد وأكبرها أن أصبحت ملكة مصر بل شجرتها المباركة تنمو بها أغصان الملك بمصر التى قال فيها فرعون : أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى ؟

(٨١) الرفاء : الالتئام والاتفاق ، من رفا الثوب : أصلحه ، ورفيت صديقى قلت له « بالرفاء والبنين » الماحل والممحل : المجدب الخالى من النبات . يدعو له بدوام الوئام ، والتمتع بما يرزق من بنين وأن يظل مشرقاً فى سماء وادى النيل يغمره خيره ويعم نواحيه سيبه .

(٨٢) أمانا ورحمة : أى مصدر أمن ورحمة . حمى النيل : حاميه والمدافع عنه . العاهل : الملك العظيم . يقول : أبقاك الله لمصر تؤمنها مما تخاف ، وتأسو جراحها بعطفك وبرك ، وتذود عنها الأعداء ، ولا زلت راعيها الرحيم وملكها العظيم .

ميلاد الأميرة فريال

أنشدت بدار الأوبرا الملكية فى الحفلة التى أقامتها دار الإذاعة المصرية ابتهاجاً بمولد الأميرة فريال فى أول أيام عيد الفطر سنة ١٣٥٧ هـ

بَيْنَ صَحْوِ الْمُنَى وحُلْمِ الْخيالِ سَبَحَ الشِعرُ فى سماء الجمالِ[١]

ومضَى سانحاً يهُزُّ جَناحَيْــهِ عَلَى شاطئ السِنِينَ الخوالى[٢]

لمح الدهرَ وهو يحبو من المَهْــدِ ، عليه غدائرٌ من ليالى[٣]

وأزاح التاريخُ عن عَيْنِهِ الحُجْــبَ ، فَسَرَّتْ تخوض فى الأجيال[٤]

ورأى الشمسَ طِفْلةً تُرْسِلُ الأضــواءَ فوقَ الكُهوفِ والأدْغالِ[٥]

صَفَحاتٌ مِن الزمانِ توالَى وهو يتلو سُطورَها بالتوالى[٦]

---

(١) يقول: سبح الشعر فى أجواء من الجمال بين الأمانى المشرقة العِذاب وأحلام الخيال الرائعة.

(٢) السانح من الطير ما ولاك ميامنة والعرب تتفاءل به . السنين الخوالى : الأعوام الماضية . يشبه الشاعر الشعر بطائر ميمون يرفرف بجناحيه حول شاطئ القرون الماضية والأزمان المتباعدة .

(٣) الغدائر : جمع غديرة وهى الضفيرة . يقول : إن الشعر ذهب به الخيال إلى أبعد عهود الدهر فرأى الدهر فى طفولته الأولى وكأنَّ الليالى فى سوادها غدائر شعره المرسل .

(٤) تخوض فى الأجيال : المراد تحدق النظر فيها وتنفذ إلى أعماقها . يقول : قد كشف التاريخ الغطاء عن عين الشعر فنفذ ببصره إلى الأجيال يصور أحداثها ويدوّن أخبارها .

(٥) الكهوف : جمع كهف وهو الغار الواسع فى الجبل . الأدغال : مفرده دَغَل (بالتحريك) وهو المكان الذى يكثر فيه الشجر ويلتف . يقول : إن الشعر ذهب بعيداً فى خياله حتى رأى الشمس فى أول عهدها ورأى الكون كهوفاً وأدغالا لم تعمل فيه يد المدنية ولم تبد فيه آثار الحضارة .

(٦) يقول : قد توالت عصور التاريخ أمام الشعر وهو يسجل أنباءها ويصور لنا أحداثها دائباً فى تنسيق وترتيب .

وتصـــاوير للحوادثِ تبـدو في شَتيتِ الألوانِ والأشكال(٧)

وإذا رَنَّةٌ ، كما تضحَكُ الآ مالُ ، بعد النوَى وطولِ المِطالِ(٨)

وقف الشِعرُ شاخصًا حين مَسَّتْـــهُ بسحر من الفُنونِ حَلال(٩)

نَغَماتٌ لم يعهَدِ الروضُ مِثْلاً لِصَدَاها بين الرُبا والظِلال(١٠)

ولُحونٌ لهـا مِثـــالٌ عجيبٌ أو إذا شِئْتَ قُلْ بغيرِ مِثالِ(١١)

بَيْنَ عُودٍ كم هَزَّ أعطافَ رَمْسِيـــسَ ، وحَيَّا مَواكِبَ الأَقْيالِ(١٢)

ودُفوفٍ عَزَفْنَ لابْنَـةِ فِرْعَوْ نَ ، فماسَتْ بينَ الهوَى والدَلالِ(١٣)

ومَزاميرَ أُطْلِقَتْ من فَمِ السِحْـــرِ ، فمادَتْ لها رَواسِي الجِبالِ(١٤)

---

(٧) شتيت الأشكال والألوان : أى مفرّقها ومختلفها . يقول : وقد بدت للشعر صور الأحداث الماضية فى أشكال شتى وأنواع كثيرة .

(٨) النوى : البعـد . المطال : التسويف . يقول : وبينما الشعر يجول فى القرون النائية ويستجلى صور الحوادث الماضية إذا هو يسمع نغماً موسيقياً أشبه بابتسام الأمانىّ وإقبالها بعد نأيها وطولِ هجرها .

(٩) شخص بصرَه : رفعه . يقول : قد وقف الشعر كما يقف الذاهل المشدوه حين سمع هذا النغم الذى له تأثير السحر ولكنه سحر حلال .

(١٠) الصدى : رجع الصوت . الربا : جمع ربوة وهى ما ارتفع من الأرض . يذكر أن هذه الألحان الساحرة أعذب من تغريد الطيور وأجل من شدو البلابل على أفنان الرياض الفينانة ، وفى ظلال أدواحها الوارفة .

(١١) اللحون : جمع لحن . يقول : هذه الألحان فذة فى فتنتها فريدة فى روعتها غريبة المثال إن كان لها مثال .

(١٢) الأقيال : جمع قيل وهو دون الملك الأعلى . المعنى : هذه الألحان الرائعة تنبعث من آلات موسيقية منها عود مصرى قديم طالما هز بصوته السحرى أعطاف رمسيس العظيم وحيا بلحنه العبقرى مواكب ملوك الفراعنة الماضين .

(١٣) الدفوف : جمع دف وهو ما يضرب به . ماست : تبخترت . ومنها دفوف عزف بها لبنات الفراعين فأثارت منهن كامن الهوى وهزت قدودهن زهواً ودلالا .

(١٤) مادت : اهتزت وتحركت . يقول : ومن هذه الألحان مزامير شدا بها مطربون سحرة فأخذت بالألباب واهتز لسماعها كل شىء حتى الجبال الراسيات .

وَرَنَتْ كلُّ سَرْحَةٍ تَسْرِقُ السَّمْــعَ ، وتَعْطُو بغُصْنِها الميَّالِ[١٥]

وأهازيجَ رَدَّدَتْهــا الأزاهيــرُ ، وغَنَّى بها نسيمُ الشَّمالِ[١٦]

ذُهِلَ الشِّعْرُ ، فاستفاق ، فألفَى موكِبًا حُفَّ بالسَّنا والجلالِ[١٧]

ساطعاتُ الشمُوسِ فيـه مَشاعِيـلُ ، وأَضْواؤُهُ بناتُ الهِلالِ[١٨]

زَحَمَ الأرضَ بالجِيادِ ، وغَشَّى صَفْحَةَ الجوِّ بالظُبا والعَوالي[١٩]

وهَفَتْ رايةٌ على قِمَّةِ النَّجْـمِ ، وَرَفَّتْ فوقَ السحابِ الثِقالِ[٢٠]

مَوْكِبٌ يجمعُ الشُعوبَ ، وتمشى تحت أعلامِهِ العُصورُ الأَوالى[٢١]

سار فيه المُلوكُ من كلِّ جِيلٍ فى احتفاءٍ ضافى السَّنا واحتفالِ[٢٢]

---

(١٥) السرحة : الشجرة العظيمة ، والعطو : رفع الرأس . يقول هذه المزامير تطرب كل شيء فالجبال تهتز لها والأشجار الفينانة تصغى إلى أنغامها فأفنانها تتطاول كأنها أناسىّ سحرها عذب النغمات وجميل الألحان .

(١٦) الأهازيج : جمع أهزوجة وهى الأغنية . ومن هذه الألحان أهازيج يهتز بها الزهر فكأن حفيفه ترديد لأنغامها التى تخالط أريجه وتسرى مع النسيم فتنعش الأفئدة وتطرب النفوس .

(١٧) السنا : الضوء — سحر الشعر بجمال هذه الأنغام وذهل بروائع تلك الألحان ثم استيقظ من ذهوله فراعه مركب عظيم ساطع النور تحف به العظمة والجلال

(١٨) بنات الهلال : النجوم . بلغ هـذا الموكب نهاية العظم فقد كانت مشاعيله من الشموس وشموعه من النجوم .

(١٩) العوالى : جمع عالية وهى أعلى القناة . الظبا : جمع ظبة وهى حد السيف . يقول : قد ملئت الأرض بالجياد التى سارت فى هذا الموكب الفخم وحجبت ضياء الأفق أسنة الرماح والسيوف.

(٢٠) هفت الراية : تحركت والراى جمع راية . قد ارتفعت رايات هذا الموكب وأعلامه إلى السماء حتى لـكأنها تخفق فى ذرا النجوم وترفرف فوق أطباق السحاب .

(٢١) الأوالى : الأوائل . تخيل الشاعر أن هذا الموكب الذى رآه الشعر جمع كل الشعوب وأن الأجيال الماضية جميعاً سارت تحت أعلامه .

(٢٢) يقول إن ملوك مصر السابقين ساروا فى هذا الموكب يمثلون عصورهم للحفاوة بهذا اليوم السعيد والاحتفاء به .

ذاكَ مِينا ، وذاك عَمْرٌو فتى العُرْ ب ، وهذا المُعِزُّ جَمُّ النَوال(٢٣)

وَبَدا بينَهُمْ محمدٌ الأَكْبرُ ، مُحْيي البلادِ مُنْشِئ الرجال(٢٤)

صادعُ الجهلِ ، هادمُ الظُلمِ فى مِصْـرَ ، مُبيدُ القُيودِ والأَغلال(٢٥)

خَلْفَهُ زينـةُ الخلائفِ إسْما عيلُ ، ذُخْرُ المُنَى أبو الأَشبال(٢٦)

وفؤادٌ مُجَـدِّدُ الجيـلِ والآ مالِ ، سِرُّ العُـلا والاستقلال(٢٧)

سأَل الشِعْرُ أينَ يقصِدُ هذا الـرَكْبُ ، بعد الطَوافِ والتَجْوال ؟(٢٨)

فأَجابَتْ مِنْ فوقِهِ هاتفاتٌ تملأُ الجوّ ، واضِحَاتُ المَقال(٢٩)

أَسْرِعُوا نحوَ عابدِينَ مَقامِ الـمُلْكِ والنُبْـلِ والنِجارِ العالى(٣٠)

---

(٢٣) يقول : كان مينا رسول الفراعنة فى هذا الجمع الحاشد وكان مبعوث العرب عمراً ، وكان رسول الفاطميين الجواد الكريم المعز لدين الله .

(٢٤) يقول : وظهر بين هؤلاء الملوك الصيد محمد على باشا رأس الأسرة العلوية الكريمة الذى خلق مصر خلقا جديدا وصنع من شعبها رجالا عاملين .

(٢٥) الصدع : الشق . الأغلال : جمع غل وهو القيد . فضل محمد على باشا على مصر عظيم فهو الذى أباد الجهل بالعلم وهدم بالعدل الظلم وكسر القيود والأغلال فأطلق الشعب من إساره وأعزه بعد إذلاله .

(٢٦) الخلائف : جمع خليفة وهو السلطان الأعظم . يقول : قد سار وراء محمد على الكبير ابنه اسماعيل العظيم زينة الملوك ، معقد الرجاء ومناط الآمال ووالد الأشبال من ملوك مصر وأمرائها الأمجاد .

(٢٧) وسار فى هذا الجمع أيضا فؤاد العظيم باعث النهضة ومحيي الآمال ورافع مجد الوطن ومشيد صرح حريته واستقلاله .

(٢٨) بهر الشعر جلال هذا الموكب فتساءل عن غايته بعد هذا الطواف وطول السير .

(٢٩) أجابت الشعر من الجو أصوات كثيرة لا يرى مصدرها تنادى بصوت جلى ونبرات واضحة

(٣٠) النجار : الأصل . تنادى هذه الهاتفات : أسرعوا إلى عابدين موئل البلاد وملاذ الملك والسؤدد ومقام الملوك الصيد الذين نماهم حسب عريق ومحتد كريم .

وَقَفَ الرَّكْبُ عِنْدَ سُدَّةِ فارو ق ، فكانَتْ نهايةَ التَّرْحالِ(٣١)

ورأى الشِّعْرُ مَحْفِلًا لِملوكِ الدَّهْرِ ما مَرَّ مِثْلُهُ بِخَيالِ(٣٢)

جلسوا جاذلينَ بَيْنَ ابتهاجٍ ضاحكٍ كالمُنَى وبَيْنَ ابتهالِ(٣٣)

ثُمَّ نادَى ذو أمْرِهِمْ : « نحن في يو مٍ سعيدِ الغُدُوِّ والآصال »(٣٤)

« يَوْمُ يُمْنٍ لِمصْرَ ، ليس له مِثْـلٌ ، ولا جَالَ للدُّهُورِ ببال »(٣٥)

« وُلِدَ المجدُ فيه والشَّرَفُ السا مِي ، ونُورُ الحِجا ونُبْلُ الخِلالِ »(٣٦)

« نَجَلَ السيِّدُ المُمَلَّكُ فيـهِ فَهَنَاءٌ بأكْرَمِ الأنجال »(٣٧)

« قد سَعَيْنا لِسُوحِهِ فقَضَيْنا حاجةً في نفوسِنا للمعَالى »(٣٨)

بُهِرَ الشِعْرُ فانْثَنَى يَلْثِمُ الأرْ ضَ ، ويَدْعُو بالعِزِّ والإقبالِ(٣٩)

---

(٣١) السدة : باب الدار أو فناؤها ، ويريد بسدة فاروق قصر عابدين . يقول : انتهى المطاف بهذا الموكب الكريم عند عابدين فوقف فى رحاب فاروق العظيم .

(٣٢) يقول : شاهد الشعر هذا الجمع العظيم الحافل بملوك الدهر وأقيال العصور مما لم يمر مثله بخيال .

(٣٣) جاذلين : فرحين — ابتهال : إخلاص فى الدعاء . جلس هؤلاء الملوك الصيد فى رحاب المليك العظيم فرحين مستبشرين داعين مخلصين .

(٣٤) الغدو : جمع غدوة وهى أول النهار — الآصال : جمع أصيل وهو ما بعد العصر . يقول : فنادى عميد هذا الموكب قائلا إن هذا اليوم الميمون مبارك مصبحه وممساه .

(٣٥) يوم مولد الأميرة فريال يوم بركة وخير وطالع سعد ويمن لمصر ؛ لم يجد الزمان بمثله ولم يخطر للايام ببال .

(٣٦) الحجا : العقل — وكيف لا يكون يوم يمن وخير وقد ولد فيه المجد والشرف وضياء العقول وكرم الأخلاق .

(٣٧) قد أنجب سيد مصر الفاروق فبشرى للفاروق وهناءة بفريال أكرم الأنجال .

(٣٨) السوح : جمع ساحة وهى الفضاء بين دور الحى . إننا سعينا إلى عابدين فى هذا اليوم السعيد مهنئين لنحقق لنفوسنا ما ننشده من الشرف الرفيع بهذا المسعى الكريم .

(٣٩) يقول : أخذ الشعر بهذا الجلال فطفق يقبل أرض هذه الساحات ويدعو لساكنيها بالعز والإقبال .

وشَدا مِثْلَما شَدَتْ بِنْتُ أَيْكٍ ... بَيْنَ ظِلٍّ وكَوْثرٍ سَلْسالِ (٤٠)

نَعِمَتْ بالأَليفِ ، لا هو ناءٍ ... إِنْ دَعَتْهُ يومًا ، ولا هُوَ سَالِى (٤١)

لم تَرَ النَسْرَ فى مَخالِبِهِ الزُرْ ... قِ ، ولا رُوِّعَتْ بصَيْدِ حِبال (٤٢)

تحتَها الزَهْرُ فاتِنُ اللونِ رَفًّا ... فَ جَميمُ النَدَى دَميثُ الرِمالِ (٤٣)

صَدَحَتْ للدُجَى ، ولِلَّيْلِ حُسْنٌ ... حينَ يَطْوِى الوُجودَ فى سِرْبالِ (٤٤)

صَدَحَتْ للصباحِ يلمَعُ فى الشَرْ ... قِ ، طَهُورًا كَبَسْمَةِ الأطفالِ (٤٥)

إنَّ للطَبْعِ والبَديهَةِ سِحْرًا ... فوقَ طَوْقِ الجُهُودِ والإِيغالِ (٤٦)

* * *

غَرِّدِى كيفَ شِئْتِ يا سَرْحَةَ الوا ... دِى، وهُزِّى فَضْلَ الغُصونِ الطِوالِ (٤٧)

---

(٤٠) شدا : غنى وترنم . الأيك : الشجر الملتف . السلسال : الماء العذب . يقول : غرد الشعر بأناشيده وقوافيه كما تغرد حمامة الدوح بين الظل الظليل والماء النمير .

(٤١) السالى : المتخلص من لواعج الحب — يصف هذه الحمامة فيقول إنها قد سعدت بأليفها فلا هو بعيد منها إنْ نادته ولا هو بناس مودتها .

(٤٢) المخالب الزرق : الأظفار الحادة الجارحة . روعت : أخيفت يقول : لم تروعها مخالب النسر الفاتك ولا شرك الصائد الخاتل فهى مطمئنة آمنة تشدو بألحان الهوى والسعادة .

(٤٣) جميم الندى : كثيره . دميث الرمال : سهلها لينها . رفاف : متحرك . يقول إن هذه الحمامة موفورة النعيم تعيش فى أفنان الرياض المونقة وفوق الأزهار الناضرة الندية النابتة فى أرض طيبة سهلة .

(٤٤) تطرب هذه الحمامة لقدوم الليل فتسجع وتشدو مفتتنة بجماله وحسنه حين يطوى الكون فى ظلامه الداجى .

(٤٥) وهى كما تسر بجمال الليل حين يطوى الوجود فى سرباله تغرد مبتهجة بالصباح حين يشرق على الكون صافى الضوء صفاء بسمات الأطفال الطاهرة الغريرة ، والبيتان كناية عن دوام السرور .

(٤٦) الإيغال : المبالغة والمغالاة . وليس هذا الشدو الساحر عجيباً فللطبيعة السهلة والبديهة المواتية ما يقصر عنه جهد المجدين وتكلف المتكلفين .

(٤٧) يطلب الشاعر إلى سرح الوادى ودوحه أن تغرد بطيورها وترقص بفضل أغصانها الميادة الطويلة .

واجْمعِى اليومَ كُلَّ ذاتِ جَناحٍ　　إنَّ يومَ الفاروقِ فى الدهرِ غالى(٤٨)

أرْسِلِى البُلْبُلَ الفَرِيدَ يُنادِى　　تَسْتَجِبْهُ الطيورُ فى أرْسالِ(٤٩)

إنَّ يومَ الميلادِ يَوْمٌ على الدهْـ　　ـرِ قليلُ الأندادِ والأمْثالِ(٥٠)

صَفَّقَ النيلُ فيه زَهْوًا وعُجْبًا　　وجرَى فى تَخَطُّرٍ واختيالِ(٥١)

ساحبًا ذَيْلَه يَمُرُّ على الزهْـ　　ـرِ، فتَمْضِى الزُهورُ فى الأذْيالِ(٥٢)

لا يُبالِى، فقد تَمَلَّكَهُ الحُـ　　ـبُّ، وأوحَى إليهِ ألاَّ يُبالى(٥٣)

وهو لولا عُذوبةُ الحُبِّ ما فا　　ضَ بعَذْبٍ من النَّميرِ زُلالِ(٥٤)

أنتَ مَوْلاهُ، أنتَ عَلَّمْتَهُ البَذْ　　لَ، وبَذْلُ العبيدِ فَضْلُ الموالى(٥٥)

---

(٤٨) يقول : اجمعى إليك شتيت الطيور لتغرد معك وتشدو استبشاراً بهذا اليوم السعيد واحتفاء به فهو يوم من أيام الدهر الخالدة النادرة .

(٤٩) الأرسال : جمع رَسَل وهو الجماعة من كل شيء . يقول : اجعلى البلبل المغرد رسولك إلى الطيور يناديها فتأتى جماعات إلى أفنانك .

(٥٠) الأنداد : جمع ند وهو المثل كالنديد . يقول : إن يوم ميلاد فريال يوم قلت فى الزمان نظائره ، وعزت أمثاله .

(٥١) التخطر : التبختر ، والاختيال : الزهو والعجب . يقول : شارك النيل مصر فى فرحها وبشرها فرقصت أمواهه وصفقت أمواجه وجرى فى عجب واختيال .

(٥٢) الذيل من الثوب ما جر على الأرض . سار النيل فى زهو يمر على أزهار الرياض فيأخذها فى ذيله .

(٥٣) يقول : إن النيلّ قد تمكن منه حب الفاروق فهو مزهو بهذا الحب معتز لا يبالى بما يعتر من الزهر فقد علمه الحب ألا يبالى بسواه .

(٥٤) ماء زلال : عذب بارد صاف . لولا امتزاج حب الفاروق بماء النيل ما فاض عذباً نميراً .

(٥٥) يقول : قد علمت النيل الجود والسماحة ففاض بخيره وجاد بخصبه ولا عجب فى ذلك فأنت سيده ، وجود العبد من فيض ربه ومولاه .

غمرَتْنا نُعْماكَ فى كلِّ حالٍ ... لِحمدْنا نُعْماكَ فى كلِّ حالِ[٥٦]

أيُّها الراكبونَ فى طَلَبِ الغَيْـــثِ سِراعًا والغيثُ مِلْءُ الرِحال![٥٧]

لا تَرِيعوا ، مكانَكُمْ ، لا تَرِيعوا ... ساحةُ المُلْكِ مَوْرِدُ السُؤَّال[٥٨]

*
* *

يا لَها فَرْقَدًا أطلَّ عَلَى الدُنْـــيا ، فأمستْ نجومُها كالذُبال[٥٩]

سطعتْ بالسُعودِ ، تستقبلُ الكَوْ ... نَ فتحظَى بأشرفِ استقبال[٦٠]

اِستَهلَّتْ بالسِلْمِ واليُمْنِ والعِيـــدِ ، فكانتْ بَرَاعَةَ استهلال[٦١]

أُغْمِدَ السيْفُ بعدَ طُولِ جِدالٍ ... وجدالُ السُيوفِ شَرُّ جِدال[٦٢]

أنا فى السِـــلْمِ عَبْقَرِيُّ القَوافِى ... ليس لى فى الظُبا ولا فى النِصال[٦٣]

---

(٥٦) غمره الماء : غطاه . يقول : قد فاضت على الشعب نعم المليك وأياديه فى كل وقت وحال لحمده الناس فى كل آن .

(٥٧) يخاطب الشاعر الراحلين المجدين فى طلب النعمة والنوال فيقول لهم لا ترهقوا أنفسكم ولا تتعبوها بالسير على حين أن الغيث منكم قريب وإدراكه عليكم يسير .

(٥٨) يقول لهم الزموا مكانكم لا تبرحوه فالسماحة والندى جمعت فى ساحة الملك فأضحت مورد الناهلين ومشرع الصادين .

(٥٩) الذبال : جمع ذبالة وهى الفتيل . الفرقد : نجم يهتدى به . قد أشرقت الأميرة فريال على الوجود نجماً ساطعاً وبدراً منيراً فتضاءلت أمام نورها أنوار الكواكب .

(٦٠) يقول قد أطلت الأميرة على الكون يحيط بها السعود واليمن فاستقبلتها الدنيا جذلة مبتهجة أشرف استقبال وأروعه .

(٦١) يشير إلى أن مولد الأميرة كان فى وقت استبشر الناس فيه بزوال نذر الحرب (التى كاد يندلع لهيبها فى سبتمبر سنة ١٩٣٨ بسبب أزمة السوديت التى قامت بين ألمانيا وتشكوسلوفاكيا وانتهت باتفاق ميونيخ) واستقبلوا فيه ليلة القدر وعيد الفطر فكان مولدها بشير خير وفاتحة عهد سعيد .

(٦٢) يقول إن من يمن ميلاد الأميرة أن حل السلم محل الحرب فأغمدت السيوف بعد أن انتضيت فى أزمة عنيفة وجدال حاد بين دول أوربا أوشك أن يعقبه التجالد بالسيوف واضطرام لهب الحرب . وجدال السيوف شر جدال لأنه يجر على العالم الشر والوبال .

(٦٣) العبقرى الكامل من كل شىء . يذكر الشاعر أنه شاعر سلم وليس بشاعر حرب وأن شعره فى السلم نغم رائع .

أنا شعري كالطَيْرِ يُفْزِعُهُ الفَــــخُّ ، ويرتاعُ من حَفيف النِبال(٦٤)

لا تعيشُ الفُنونُ بينَ كِفاحٍ راكبٍ رأسَهُ ، وبَيْنَ نِضال(٦٥)

خِفْتُ إنْ أُشْعِلَتْ لَظَى الحربِ أنْ أُنْـــشِدَ بَيْتاً جرى معَ الأمثال(٦٦)

« لم أكُنْ مِنْ جُناتِها (عَلِمَ اللَّـــهُ) ، وإنِّي بِحَرِّها اليومَ صالي »(٦٧)

فمَتَى تَهْدَأُ القُلوبُ إلى الْحُــبِّ ، وتُهْدَى النفوسُ بعدَ ضَلال؟(٦٨)

*
* *

أشْرِقي عَابِدِينُ ، فالمُلْكُ زاهٍ صاعِدُ الْجَدِّ ، والزمانُ مُوالي(٦٩)

أنتِ أطلعتِ في سمائِكِ بَدْراً عَلَّمَ ابنَ السماءِ معنَى الكمال(٧٠)

دَوْحَةُ المجْدِ أنْتِ ، كَمْ من أصولٍ راسياتٍ ، ومن فُروعٍ هِدال(٧١)

---

(٦٤) الفخ : المصيدة . يقول : إن شعره يفزع من الحرب وتروعه السهام كما يفزع الطائر من الشرك ويروعه صوت النبال .

(٦٥) يبين الشاعر في هذا البيت سبب كراهيته للحروب وميله للسلام فيذكر أن الشعر فن والفنون لا تعيش في ظل حروب يذكيها الشر ويضرم نارها الهوى، وإنما تعيش في ظلال الحرية والسلم

(٦٦) لظى الحرب : لهبها .

(٦٧) يخاف الشاعر إن دارت رحى الحرب واستعرت نيران القتال أن يصطلي بنارها ويجني مر ثمرها وهو لم يقدح زنادها ولم يضرم شررها ولم يكن من دعاتها ومثيريها فيتمثل ببيت الحارث ابن عباد (لم أكن من جناتها) وقد أنشده في حرب البسوس لما أكره على خوض غمارها .

(٦٨) يتمنى الشاعر أن يسود الناس دين الحب والإخاء والسلام وأن ينتهجوا نهج الهدى والرشاد وينحرفوا عن سبل الغواية والضلال .

(٦٩) الموالي : المصافي . يدعو الشاعر لقصر الملك بدوام البهجة والإشراق فلك فاروق زهت مفاخره وسما مجده وصافاه الزمن وحالفته الأيام .

(٧٠) يقول : لا بدع أن تشرقي وأن تزدهي فقد أشرقت في سمائك فريال بدراً منيراً يقبس بدر السماء منه النور والكمال .

(٧١) الهدال : ما تهدل وتثنى من الأغصان . الدوحة : الشجرة العظيمة . يقول : أنت يا عابدين دوحة المجد وسرحة الجلال ، فكم لك من أصول راسيات وفروع ناميات .

دَوْحَةٌ أرضُهَا من الطِيبِ والمِسْـــكِ ، وأثمارُها سُمُوط اللآلى(٧٢)

كم أظلَّتْ مِصْراً وحاطَتْ بَنِيها   من هَجيرِ الْخُطُوبِ والأهوال(٧٣)

أنتِ يا عابدينُ خَيْرُ بنـــاء   مَدَّ أفياءَهُ على خَيْرِ آل(٧٤)

صَفَّقَتْ مِصْرُ حينما جَاءتِ البُشْـــرَى ، فأهلاً بمولدِ الآمال(٧٥)

كم بسطنا الأكُفَّ نَضْرَعُ لِلرَحْـــمنِ ، والليلُ مُسْبِلُ الأسْدال(٧٦)

وسبَقْنا دَقَّ البشائرِ شَـوْقاً   وبعثْنا السُؤالَ إِثْرَ السُؤال(٧٧)

ووَدِدْنا لو استقرَّ التَّمَنِّي   واستراح الرَجاءُ بعدَ كَلال(٧٨)

وإذا أَنْعُـمُ الإلَهِ تَوَالَى   بعميمِ الإِحسانِ والإِفضال(٧٩)

---

(٧٢) السموط : جمع سمط وهو الخيط ينظم فيه . يقول : أرض هذه الدوحة الكريمة المسك وثراها الطيب وأثمارها الجواهر النفيسة ، والمراد وصف الأسرة الملكية بطيب المحتد ونجابة الأبناء .

(٧٣) طالما استظلت مصر بظل هذه الدوحة العلوية الكريمة فكانت لها ملاذاً من أحداث الزمن وخطوب الأيام .

(٧٤) الأفياء : الظلال . يقول : إنك يا عابدين أرفع صرح وأسمى بنـاء مد ظلاله الوارفة على خير الأسر وأعرق البيوتات .

(٧٥) اهتزت مصر هزة الفرح والبشر حين زفت إليها البشرى السعيدة وبزغ هلال الأميرة فرحباً بهذا الميلاد الذى بعث الأمانى وأحيا الآمال .

(٧٦) الأسدال : جمع سدل وهو الستر . كثيراً ما رفعنا فى جنح الليل أكف الضراعة نبتهل الى المولى أن يحقق الأمل المنشود ويجعل الميلاد بشير الخير والسعود .

(٧٧) يذكر الشاعر مظاهر اهتمام الشعب بالبشرى الملكية قبل إعلانها من شغف وشوق وتساؤل عما سيكون فى هذا اليوم السعيد .

(٧٨) الكلال : الإعياء والتعب . يقول : وطالما تمنينا أن تستقر آمالنا وتستريح أمانينا بعد كلال السؤال ونصب التمنى بإعلان البشرى المنتظرة المرجوة .

(٧٩) توالى : تتابع . يقول : وبينما نحن فى انتظار هذه البشرى السعيدة إذا الآمال تقبل باسمة ونعم الله تفيض علينا بجزيل إحسانه وإفضاله .

وإذا الفجرُ صادقٌ يملأُ الشرْ ... قَ ، فيمحُو غياهِبَ الأوْجالِ (٨٠)

وإذا المَهْدُ فيـــه دُرَّةُ مَجْدٍ ... لِكَريمِ الجُدودِ والأخْوالِ (٨١)

وإذا مِصْرُ أعْيُنـــاً وقُلوباً ... تَقبِسُ النورَ من سَنا «فِرْيالِ» (٨٢)

فهَناءً مَليكةَ النيـل ، كم حَقَّـــقْتِ للنيلِ من أمانٍ غَوالِى (٨٣)

وهَناءً مَليـكَ مِصْرَ المُفَدَّى ... نِلْتَ - فاشْكُرْ لله - خَيْرَ مَنالِ (٨٤)

عِشْ ، وعاشَتْ أميرَةُ المُلْكِ واسْلَمْ ... للمعالِى وصالحِ الأعمـــالِ (٨٥)

---

(٨٠) يقول : وإذا الفجر الوضاء يشرق على الشرق فيضىء ويتلألأ ويمحو دياجى الخوف ويثلج القلوب بشراً وأمنا وسلاما .

(٨١) المهد : الموضع يهيأ ويعدّ للصبى . يقول: وإذا البشرى تعلن ، والمهد يبسم عن أميرة كريمة ودرة مجد نفيسة نجيبة لأكرم ملك كرمت جدوده وأخواله .

(٨٢) تقبس النور : تأخذه وتستمده . يقول : وفى هذه اللحظة السعيدة إذا أفئدة المصريين تهوى إلى المهد وعيونهم ترنو نحوه وتقبس النور من سنا الأميرة المشرق وجبينها الوضاح .

(٨٣) يقول : بشرى وهناء لك يا صاحبة الجلالة بهذه الدرة الكريمة التى هى أسمى أمانى الشعب وآماله ، ولكم حققت له من أمان وآمال .

(٨٤) ليهنأ الفاروق مليك مصر العظيم بهذا الميلاد الكريم الذى أنعم الله به عليه وعلى شعبه فهو نعمة جليلة جديرة بشكر الفاروق وحمده لمولاه .

(٨٥) يدعو الشاعر للمليك المحبوب والأميرة المحبوبة بطول الحياة ودوام السعادة وأن يسلم صاحب الجلالة ملاذاً للمعالى ومصدراً للصالحات الباقيات .

ذكرى الزفاف الملكى

يناير ١٩٣٩

اِقْبِسِ النورَ من شُعاعِ الراحِ　　والثِمِ الحُسْنَ فى جَبينِ الصَّباحِ(١)

وابْعثِ اللّحْنَ من سَمائِكَ يا شِعْـــرُ ونافسْ به ذواتِ الجَناحِ(٢)

وانْهَبِ الحُسْنَ من خُدودِ العذارَى　　واسرِقِ السِّحْرَ من عُيونِ المِلاحِ(٣)

وَتَنَقَّلْ بينَ الخمـــائلِ جَذْلا　　نَ طليقَ الهوَى جَمِيمَ المِراحِ(٤)

واسقِنا من سُلافِكَ العَذْبِ إنّا　　قد ســـئمنا مرارةَ الأقداحِ(٥)

---

(١) قبس النور : أخذه ، والقبس : الشعلة ، والراح : الخمر ، واللثم : التقبيل . والمراد بالنور : شعاع الخمر . والخطاب للشعر ، يقول : أيها الشعر استعر نورك ولألاءك من شعاع الخمر ، وخذ حسنك من غرة الصباح .

(٢) اللحن : الغناء ، وذوات الجناح : الطيور . يقول للشعر : حلق فى السماء تحليق الطيور المغردة ، وابعث بألحانك كما تبعث الطيور بأغاريدها منافساً لها شائياً أياها ، وقد عنى بتحليق الشعر فى السماء إطلاق العنان للخيال حتى يتصيد المعانى العلوية العزيزة المنـــال التى تناسب خطورة الموضوع الذى يطرقه .

(٣) يقول لشعره : جرد العذارى الملاح من حسن خدودهن وتحل به أنت ، وجردهن من سحر عيونهن واكتحل به أنت حتى تكون فاتناً ساحراً تستطيع أن تنهض بالغرض الذى أريده .

(٤) الخمائل : الأشجار الملتفة ، والجذل : الفرح ، وجميم المراح : كثير الخفة والنشاط . يقول لشعره : تنقل بين الحدائق ما طاب لك فى خفة وسرور . ولعله يريد بتنقله فى الحدائق استحثاثه على اغتصاب جمال الأزهار كما اغتصب جمال الحسان .

(٥) السلاف : الخمر . شبه الاستماع الى الشعر باحتساء الخمر لأن كلا منهما يبعث الطرب ، ثم فضل الشعر لعذوبته على الخمر لما فى طعمها من غضاضة وحدة .

كم ثملنا برَشْفةٍ منكَ يا شعْـــرُ فصِرْنا رُوحاً بلا أشباح(٦)

ورأينا من الحقائقِ ما عـــزَّ على كلِّ باحثٍ كدَّاح(٧)

وقرأنا فى كلِّ شيءٍ رُموزًا فوقَ طوق البيانِ والإيضاح(٨)

ورَسمنا بدائعَ الكونِ فى لوْ حٍ تعالى عن جَفْوَةِ الألواح(٩)

وفهِمنا لُغَى الطُّيورِ وأصْغَيْـــنا لهمسِ الغُصونِ فى الأَدْواحِ(١٠)

ورأيْنا البُرُوقَ تَضحَكُ فى الرَّو ضِ فتهفو لها ثُغورُ الأَقاحِى(١١)

إيهِ يا شعرُ أنتَ سَلْوايَ فى الدّنـــيا إذا ضاق بى فسيحُ البَراح(١٢)

---

(٦) ثمل : انتشى ، والرشفة : المرة من الشرب ، والأشباح : الأشخاص . يقول : رب بيت من الشعر فعل بألبابنا ما تفعل الخمر فاذا نحن فى نشوة تتجلى فيها أرواحنا بعيدة عن كثافة الأجسام .

(٧) الكداح : من يجهد نفسه فى العمل . يقول : إننا حينما ثملنا بالشعر أرهف من إحساسنا فظهرت لنا حقائق عزّ إدراكها على الباحثين .

(٨) الرمز : الإيماء ، والمراد به هنا المعنى الخفى ، والطوق : الطاقة . يقول : إذا أخذتنا نشوة الشعر استطعنا أن تتغلغل بأفهامنا فى صميم كل شيء فندرك ما دق من معانيه إدراكا لا يتأتى عن طريق آخر من طرق الإيضاح .

(٩) البدائع : الطرائف ، والجفوة : الغلظ . يقول : كم وضحنا بالشعر ما حواه الكون من طرائف توضيح الصور المرسومة فى الألواح ، غير أن الشعر لوح قدسى ليس فيه كثافة الأجرام التى يتخذ المصورون من مادتها ألواحهم .

(١٠) اللغى: جمع لغة ، والأدواح : جمع دوح، ومفرده دوحة وهى الشجرة العظيمة . يقول : إنا — معشر الشعراء — مرهفو الحس دقيقو الشعور نرى ما لا يراه الناس ، فاذا صدحت الطيور أوحفت الأغصان سمعنا من كل منهما كلاما ففهمناه أى أن نفوسنا تتأثر بتلك الأصوات كما تتأثر بالكلام الدال على معان .

(١١) هفا إلى الشيء : مال إليه وذهبت نفسه فى أثره ، والثغور جمع ثغر وهو الفم ، والأقاحى جمع أقحوان وهو زهر أصفر الوسط أبيض الأوراق مسننها . يقول : كم شاهدنا الرياض عند وميض البرق الضاحك تخيل إلينا أن الزهور تميل مرحاً واستبشاراً بالمطر .

(١٢) إيه : كلمة استزادة ، والبراح : ما اتسع من الأرض . يقول : زدنى يا شعر ، فانك عزائى فى الدنيا إذا أصابتنى همومها ، فضاق فى عينى فسيحها .

كم عناءٍ كشفتَ بعدَ نِضالٍ وجَبينٍ مَسَحتَ بعدَ كِفاح ! (١٣)

لا تَدَعْني يا شعرُ في ليلة الذِّكْـــرَى وَأَطْلِقْ إلى الخيالِ سَراحي (١٤)

غَنِّنِي بالمُنَى تَرِفُّ حَنانًا بعدَ نَأْيٍ وبعدَ طُولِ جِماح (١٥)

غنِّني باللِّقاءِ بعدَ شَـــتاتٍ وبعطفِ الزَّمانِ بعدَ شِيَاح (١٦)

غنني بالربيع يَخْطِر في الرَّوْ ضِ ويَعْطُو بِمِئْزَرٍ ووُشاح (١٧)

غنني غنني فقَد عَيَّ نَايِي ونَبَا مِزْهَرِي عن الإفْصَاح (١٨)

كيف تَحوِي الأوتارُ ما يغمُرُ القلْـــبَ ويَطْفُو به من الأفراح ؟ (١٩)

---

(١٣) الكفاح : المجاهدة والمعاناة ، والنضال : المراماة . يقول : كم سريت يا شعر عن المهموم الذي طال عناؤه ، وكم مسحت بيدك الناعمة العرق عن جبين المتعب المكدود .

(١٤) أطلق سراحه : أعطاه الحرية ، ولا تدعني : لا تتخل عني . يقول للشعر : هذا وقتك فخل بيني وبين خيالي ، ولا تخذلني في ليلة أنا فيها أحوج ما أكون إليك ، وهي ليلة ذكرى الزفاف الملكي السعيد .

(١٥) ترف : ترفرف ، والنأي : البعاد ، والجماح : الشرود . يقول : غنني يا شعر وصف لي في غنائك كيف تدنو الأماني وترفرف بأجنحتها كما ترفرف الطيور في رفق وهوادة ، بعد ما طال بعدها . يريد بذلك البيت وما بعده أن ذكرى الزواج وقعت من النفوس مواقع هذه الأشياء

(١٦) الشتات : التفرق ، والشياح : الإعراض . يقول : صف في غنائك يا شعر حلاوة تلاقي الأحبة بعد ما برح بهم طول الفراق ، وحلاوة إقبال الزمان بعد طول إعراضه .

(١٧) العطو : رفع الرأس ، والمئزر : الملحفة ، والوشاح : حلية مرصعة بالجوهر كانت تشد بين عاتق المرأة وكشحها . يقول : صف لي حال الربيع إذ يسير بين الحدائق متبختراً رافعاً رأسه كاسياً بحلل من أوراق الأشجار ، حالياً بلآلئ من الأزهار وإنما شبه الربيع بإنسان هذه حاله لأنه موعد إيراق الأشجار وتفتح الأزهار .

(١٨) عيّ : عجز ، ونبا : كلّ ، والناي : آلة نفخ ، والمزهر العود . يقول : غنني يا شعر ، فأنت وحدك الكفيل باستيعاب محاسن ليلة الذكرى ، وبإدخال السرور على النفوس ، أما أدوات الطرب فقاصرة عن إدراك هذه الغاية .

(١٩) يغمر : يغطي ، يطفو : يعلو . هذا البيت يوضح معنى سابقه . ينكر على أدوات الطرب قدرة الشعر على التعبير عما يخالج النفوس ليلة الذكرى من السرور الذي يملأ القلب ويطير به من شدته.

غنِّ في ليلة البشائرِ يا شعـــرُ وغرِّدْ بصوتِك الصدَّاح(٢٠)

وَخُذِ الفنَّ من ترانيمِ إسْحَا ... قَ وبُعْدَ المَدَى عن اُبن رَبَاح(٢١)

وامْـلأ الأُفْقَ بالنَّشيدِ تُرَدِّدْ ... رَجْعَ أنغامِهِ جميعُ النَّواحي(٢٢)

مَاسَتِ الباسِقاتُ في ضِفَّةِ الوا ... دِي وأَرْخَتْ شُعورَها للرِّياح(٢٣)

وَرَنا الزهرُ باسمًا يَنْشُرُ النُّو ... رَ ويَهْفُو بثَغْرِهِ الفَـوَّاح(٢٤)

أسْكَرَتْهُ الذِّكْرَى فأصْغَى وأصْغَى ... يملأُ السَّمْعَ وهْو نشْوانُ صاحِي(٢٥)

---

(٢٠) غرد : غن ، وليلة البشائر هي ليلة الذكرى المشار إليها . يلح على الشعر في طلب الغناء .

(٢١) ترانيم : جمع ترنيم وهو تطريب الصوت ، والمدى : الغاية ، واسحاق هو بن ابراهيم الموصلي كان هو وأبوه من أشهر مغني الدولة العباسية ، وابن رباح هو بلال مؤذن رسول الله صلعم يقول للشعر : حاك لنا ألحان اسحاق في غنائك ، واجهر به حتى يصل صوتك إلى البقاع القاصية كما كان يفعل بلال في أذانه .

(٢٢) رجع الصوت : صداه . يقول : غن يا شعر تجد الألسن في كل صقع تتغنى معك وتردد ألحانك يريد بذلك أن السرور في هذه الليلة شامل فالناس فيها كلهم مغنون وكلهم مستمعون .

(٢٣) ماس : مال تيها ، والباسقات : جمع باسقة وهي النخيل . يقول : إن السرور في هذه الليلة تجاوز الناس إلى النخيل ، فتراقصت من الطرب ، واستسلمت للنسيم فتركته يغازلها ويعبث بشعورها . والمراد بشعورها ما عليها من سعف .

(٢٤) رنا : أصغى ، هفا : مال ، الثغر : الفم ، الفواح : الذي يتضوع أريجا . يقول : إن الطرب كما شمل النخيل شمل الأزهار ، فأرهفت آذانها لسماع الأغاريد ، وهي تبسم وتشع نوراً ، وتميل بثغورها . فينبعث منها الأريج . شبه إمالة الريح للزهر بإمالة الانسان أذنه للتسمع ، والمراد بثغور الزهور ما تفتح من أكمامها .

(٢٥) النشوان : الغائب الوعي بتأثير الخمار ، الإصغاء : الإمالة ويستعمل كثيراً في التسمع لأن المتسمع يميل أذنه نحو الصوت والمراد بقوله : يصغي ويصغي أنه يميل يميناً ويميل شمالا كهيئة المتسمع وفي هذا البيت زيادة توضيح لسابقه . يقول : إن الذكرى جعلت الزهر يميل يمينا ويسارا فهو من هذه الجهة يشبه السكران في ترنحه ، ومن جهة أخرى يشبه المتسمع للأغاني الواعي لما يقال فكأنه صاح مفيق .

مَالَ تِيهاً كما تميلُ العَذارَى هلْ على الزَّهرِ في الهوى من جُناحِ؟[٢٦]

* * *

إنَّ ذكرى الزِّفافِ أسعدُ ذكرَى تملأُ النَّفسَ من مُنًى وارتياحِ[٢٧]

سَعِدتْ مصرُ بالمليكةِ فِيهِ واستنارتْ بنورِها الوضَّاحِ[٢٨]

شرفٌ باذخٌ يتيهُ على الدُّنـ ـيا ومجدٌ من الصَّميمِ الصُّراحِ[٢٩]

نَبَتَتْ في مَنابتٍ أرضُها المِسْـ ـكُ وفي ظلِّ عِزَّةٍ وسَماحِ[٣٠]

وبدتْ دُرَّةً من النُّبْلِ والمجـ ـدِ فغضَّتْ مِنَ الدَّرارِي الصِّحاحِ[٣١]

فهناءً فاروقُ يا مَوْئِلَ النِّيـ ـلِ ويا يُمْنَ نَجْمِهِ اللَّمَّاحِ[٣٢]

---

(٢٦) التيه : الدلال ، والجناح الإثم . علل ميل الزهر فيما سبق مرة بالسكر ومرة بالإصغاء وهنا يعلله بالتيه الناشئ عن الوجد كما تتيه التيمة الحسناء ناصبة من دلالها أحبولة للإغراء ثم قال : ليس على الزهر إذا مسه الحب من حرج ولا فى ذلك عجب ، فإنه كائن حى « والحياة الحب ، والحب الحياة »

(٢٧) يقول : إن ذكرى الزواج أسعد الذكريات فقد حققت أمانى النفوس وارتياح الخواطر .

(٢٨) يقول : إن هذا الزواج أسعد مصر بجلالة المليكة ، وأضفى على ربوع النيل نوراً من نور جبينها الساطع .

(٢٩) باذخ : عال ، الصراح : الخالص . يصف جلالتها بأن لها شرفاً عاليا لا يطاوله شرف ومجداً خالصاً لا تشوبه شائبة .

(٣٠) شبه جلالة المليكة بالنبات غير أنه فرق بينهما بأن النبات ينبت فى أرض من الطين مستظلا بأغصان الأشجار . أما جلالتها فقد نبتت فى أرض من المسك مستظلة بظل العز والكرم . ولا يخفى ما بين المسك والطين من شبه فى اللون ، كما لا يخفى ما فى البيت من تشبيه العز والكرم بشجرتين مظللتين .

(٣١) غض منه : وضع من قيمته ، الدرارى : النجوم اللامعة ، يقول إن جلالتها ظهرت كالدرة المتألقة فنقص تألقها من تألق النجوم ، لأن الشىء الجميل يخفى جماله بجوار ما هو أجمل منه .

(٣٢) موئل : ملجأ ، اليمن : البركة . لماح : لماع . يقول لجلالة المليك : اهنأ هناء فأنت ملجأ النيل عند الفزع ، وأنت السعادة التى بشر بها طالعه السعيد .

أنتَ أنهضْتَ مصرَ تستَبِقُ الْخَطْـــوَ وتَمضى بِعَزمةٍ وطِماحِ (٣٣)

وبَعَثْتَ الآمالَ فى كلِّ قلبٍ وغرَسْتَ الإحسَانَ فى كلِّ رَاحِ (٣٤)

ذاكَ سِرُّ البيتِ الكريمِ وفيْضٌ من عَطاءِ المُهيْمنِ الفتَّاحِ (٣٥)

آلَ بيتِ المُلْكِ المؤثَّلِ أنتمْ شَرَفٌ مُشْرِقُ الأساريرِ ضَاحِى (٣٦)

عَجَزَ الشِّعرُ أنْ ينالَ مَدَاكُمْ وكَبَتْ دونَ وَصْفِكمْ أمْدَاحِى (٣٧)

كتَبَ اللهُ فى الخُلودِ عُلاَكُمْ مَا لِمَا خطَّ فى السَّموَاتِ مَاحِى (٣٨)

جَدُّكُمْ أنقَـذَ البلادَ وأعْلَى رايةَ الدِّينِ بالظُّبَا والرِّماحِ (٣٩)

---

(٣٣) الاستباق التسابق ، والمراد يسابق بعضها بعضا ، والطماح : التطلع ، والمراد التطلع الى المعــالى أى أن جلالة المليك بث فى نفوس المصريين حب التوثب الى المجد فسعوا فى طريقه يسابق بعضهم بعضا .

(٣٤) الراح : بطون الأيدى مفرده راحة . يريد أن جلالته بعث الآمال فى النفوس ، وملأ كرمه كل يد .

(٣٥) السرّ هنا : الأصل وكرم النسب ، يقول : إن هذه الشمائل وهذا النبل العالى الذى يتحلى به الفاروق إنما هو مظهر من مظاهر أصله الكريم، وعطاء من الله الذى يختص بفضله من يشاء .

(٣٦) المؤثل : الأصيل ، الأسارير : محاسن الوجه ، الضاحى : البادى الظاهر . امتدح آل بيت الملك فجعلهم الشرف نفسه مبالغة ، بعد أن شبه الشرف بانسان مشرق الطلعة بادى محاسن الوجه .

(٣٧) كبا : عثر . يقول لهم : إن الشعر على قدرته ليس له باستيعاب محامدكم يدان ، وإن مديحى ليتعثر فى وصفكم تعثر الجواد الأصيل يحاول الوصول الى غاية بعيدة .

(٣٨) يقول : إن الله قدر لكم الرفعة فى الأزل، وخطها فى لوحه المحفوظ وليس لما خطته يمين الله ماح .

(٣٩) الظبا : جمع ظبة وهي شفر السيف وحدّه ، والجد المشار اليه هو محمد على باشا رأس الأسرة العلوية . يشير فى هذا البيت إلى كفاح هذا الرجل العظيم فى سبيل إعلاء شأن مصر ورفع راية الإسلام .

حكمةٌ تأسِرُ القــلوبَ بصَفْحٍ ... وإباءٌ يَغْشَى الوَغَى بصِفاحِ (٤٠)

كم تَغَنَّى بفضــله كلُّ مَغْدًى ... وسَرَى ذِكْرُهُ بكلِّ مَرَاحِ (٤١)

عاشَ فاروقُ والمليكةُ ذُخْــرًا ... وَمَنَــارًا لِلــــبِرِّ والإِصْلاحِ (٤٢)

ولْتعِشْ قُــرَّةُ البَصائِرِ فِرْيَا ... لُ حياةُ النُّفوسِ والأَرْوَاحِ (٤٣)

---

(٤٠) الصفح : الغفران ، وهو أيضا عرض السيف وجمعه صفاح ، وغشيان الوغى : اقتحام الحرب . يصف محمد على باشا بصفتين : الأولى — لين يجعله كثير الصفح عن المذنبين عند ما يستحب الصفح عنهم ، والثانية — بأس يخوض به معترك الحروب .

(٤١) مغدى ومراح : اسما مكانى الغدو والرواح بمعنى الذهاب والمجىء أو اسما زمانيهما ، والمعنى مستقيم على كلا الاعتبارين . يقول : قد تغنى بفضله كل مكان يذهب اليه الذاهبون ، أو كل زمان يذهبون فيه ، وانتشر ذكره بكل مكان يعود اليه العائدون أو بكل زمان يعودون فيه ، والمراد جميع الأمكنة أو جميع الأزمنة . ونسبة التغنى الى الزمان أو المكان على سبيل المجاز ، لأن المتغنى أهلهما .

(٤٢) الذخر : ما يدخر للمستقبل ، والمنار : ما ينصب لهداية السفن . يدعو لجلالتى المليكين بطول البقاء حتى ينفعا مصر مستقبلا كما نفعاها حاضراً ، وحتى يكونا هاديين يتبع سبيلهما كل ناهض بالوطن عامل على الاصلاح .

(٤٣) القرة : البرد ، والبصائر : جمع بصيرة والمراد بها القلب . يدعو لسمو الأميرة « فريال » بطول البقاء . والمراد بقوله : « قرة البصائر » أنها برد على القلوب أى مبعث سرور لها كما يقال « أبلج الأمر فؤاده » أى سره ، وهم يعبرون فى جانب السرور بابتراد القلب ، وفى جانب الحزن باشتعاله وقد اجتمعا فى قول أبى الطيب : « واحر قلباه ممن قلبه شبم » .

تحية الإياب

استقبل الشاعر المغفور له جلالة الملك فؤاد عند عودته من أوربا فى نوفبر سنة ١٩٢٧

ذاكَ لألاؤهُ وهـذا رُواؤهْ   والضِّياء الذى ترَوْنَ ضِياؤهْ[١]

وبهـاء الرِّياضِ كلَّلها الغيْـثُ فتاهتْ بنورِهنّ بهاؤهْ[٢]

والنَّسيمُ الذى جَرَى طَيِّبَ النَّشْـرِ جَـرَى ذِكْرُهُ به وثناؤه[٣]

ذاكَ وَجْهُ المَليكِ، وَجْهُ أبى الفا   رُوقِ هذا سَنَاهُ هذا سَنَاؤه[٤]

*
* *

ظَهَر الرَّكْبُ والقُلوبُ حَوالَيْـهِ تُرَجِّيهِ والنُّفُوسُ فِدَاؤه[٥]

---

(١) اللألاء : السنا والضياء . والرواء : الحسن والبهاء .

(٢) بهاء الرياض : ما تظهر فيه من نضرة وازدهار . وكللها الغيث : جعلها تظهر مغطاة بالزهر والثمر . وتاهت : ظهرت بمظهر المدل المعجب بحسنه وجماله .

(٣) النشر : ما ينتشر عن الطيب من ريح يعبق به الجو ويطيب الهواء .

(٤) السنا (بالقصر) : الإشراق والتلألؤ . (وبالمد) : الشرف والرفعة . يصف فى هذا البيت والأبيات الثلاثة قبله طلعة المليك ومقدمه ، وأنه إذا بدا عم البهاء والضياء ، ولبست الرياض ثوباً من الوشى وحفت بالنور والزهر ، وعبق الجو بالطيب . وهذا كله من فيض الممدوح وأثره .

(٥) والقلوب حواليه ، أى والناس ملتفون حوله محيطون به ، ولما كان الالتفاف لا يكون إلا عن حب وولاء ، والقلب هو مكمن الحب وموطنه ، حسن هنا هذا التعبير ، وكان على شدة الحب والولاء أدل وأبين .

تَجْتَلِيهِ العُيُونُ مُسْتَبْشِراتٍ وبَرِيقُ السُّرور فيها وماؤُه(٦)

وهُتَافُ الإِخْلاَصِ يَخْتَرِقَ الجَوَّ فتُمْلِيهِ واضِحاً أَصْدَاؤُه(٧)

وَدَّتِ النَّيِّراتُ لو هَبَطَتْ فِيهِ فزَاد ازْدِهاءَهُنَّ ازْدهاؤُه(٨)

مَوْكِبٌ لم يَنَلْهُ رَمْسِيسُ ذو التَّا جَيْن فى عَصْرِهِ ولا خُلَفَاؤُه(٩)

حَكَموا شَعْبَهمْ ولم يَمْلِكُوهُ مِقْوَدُ الشَّعْبِ حُبُّهُ وَوَلاؤُه(١٠)

*
* *

عَاد للقُطْرِ ربُّهُ مثلَما عا دَ إلى المُدْنَفِ العَليلِ شفاؤُه(١١)

وَبدَا كالصَّبَاحِ فانْهَزَمَ اللَّيْلُ ووَلَّتْ مَذْعُورةً ظَلْمَاؤُه(١٢)

مَلِكٌ شَادَ لِلْكِنَانَةِ مَجْداً أَحْكَمَتْ وَضْعَ أُسِّهِ آباؤُه(١٣)

كُلُّهمْ كانَ لِلْمَحامِدِ بَنَّا ءً أَبِيًّا عَلَى الزَّمَانِ بِناؤُه(١٤)

---

(٦) تجتليه : تتطلع اليه وتنظر . ومستبشرات : فرحات . وماء السرور : ما يفيض به الوجه من لألاء وضياء .

(٧) الأصداء : ما يعود على المصوت بمثل صوته . ووضوح الأصداء : دليل على قوة الهتاف وشدته ، إذ لو كان خافتاً لضاع فى أجواز الفضاء . ولا يقوى الهتاف ويشتد إلا مع الحب الشديد والاخلاص القوى .

(٨) الازدهاء : ما تتيه به وتزدهى من آيات الحسن . جعل النيرات على حسنها يغريها بهاء الموكب وحسنه فتود لو هبطت إليه من عليائها فتضم إلى حسنها حسنا .

(٩) رمسيس : من ملوك مصر الأقدمين ، ويريد بالتاجين : تاج الوجه القبلى وتاج الوجه البحرى .

(١٠) المقود . ما تقود به . يقول فى هذا البيت والذى قبله : إن رمسيس على بسطة جاهه ونفوذه لم يحظ بمثل ما حظى به الممدوح الذى جمع إلى سيادة البلاد حب العباد .

(١١) ربه : مالك أمره . والمدنف : الذى أضناه المرض وثقل عليه فكاد يذهب به . جعل عودته للبلاد كالحياة تدب فى جسم العليل فيعود قويا معافى أكمل ما يكون صحة وانتعاشا .

(١٢) بدا : طلع وظهر . ومذعورة : خائفة . أى أن طلعة المليك كالصبح نوراً وإشراقا .

(١٣) شاد : وطد وبنى . والأس : الأساس .

(١٤) أبيّا : ممتنعا . يذكر فى هذا البيت والذى قبله أيادى المليك وأيادى آبائه من قبله على هذه البلاد تعميراً وإنشاء ، ونهضة وإحياء .

هِمَّةٌ تَفْرَعُ السَّماءَ وعَـــزْمٌ لَيْس للسَّيْفِ حَدُّهُ ومَضَاؤه(١٥)

ونَفَاذٌ فى المُعْضِـــلاتِ برَأْيٍ ثَاقِبٍ يَكْشِفُ الغُيوبَ ذَكاؤه(١٦)

ومُحَيًّا فيـــهِ مِنَ اللهِ سِرٌّ كادَ يُغْشِيهِ نُورُهُ وحَيَاؤه(١٧)

صَفْحَةٌ خَطَّهـــا الإلهُ ففِيها أَلِفُ النُّبْلِ (لو قَرَأْتَ) وياؤه(١٨)

* * *

بَهَرَ الغَرْبَ طَلْعَةٌ مِنْك كادَتْ تَتَمَشَّى شَوْقًا لها أَرْجاؤه(١٩)

لَمَحُوا عِزَّةً وشَـــامُوا بِكَفَّيْـك غَمامًا هَتَّانَةً أَنْداؤه(٢٠)

وبَدَا للْعيُونِ والدُّكَ المِسْـــمَاحُ تُحْيِيهِ ثانيًا أَبْناؤه(٢١)

فِيكَ منهُ الجَبينُ والخُلُقُ الرَحْـــبُ وبُعْدُ المَدَى وفِيكَ إِباؤه(٢٢)

---

(١٥) تفرع السماء : تزيد عليها علوا وارتفاعا . ومضاؤه : نفاذه فى الأمور وقطعه لها .

(١٦) المعضلات : ما أشكل من الأمور وصعب . والرأى الثاقب : الذى ينفذ إلى الحقائق فلا يخطئها . يصف فى هذا البيت والذى قبله همة المليك وأنها تعلو على السماء وتزرى بالسيوف مضاء ، كما يصف ثاقب رأيه الذى لا يشكل عليه أمر ولا يعز مطلب .

(١٧) المحيا : الوجه

(١٨) النبل : الشرف والرفعة • ويريد بالألف والياء : أنه جمع جميع خلال النبل لم يفته منها شىء . يصف فى هذا البيت والذى قبله وجه المليك الذى يدل على ما أودع الله صاحبه من أسرار العظمة والجلال ، كما ينطق عن شرف خصه الله به كاملا غير منقوص .

(١٩) بهر : غلب وأدهش . والأرجاء : النواحى .

(٢٠) لمحوا : رأوا : وشاموا : نظروا . والهتانة : التى تمطر فى كثرة وتتابع . والأنداء : جمع ندى ، وهو ماء السحاب . والمعنى أن كرم الممدوح يشبه الغمام فى عموم مائه وكثرة خيره وأنه لا يخص به مكانا دون مكان •

(٢١) المسماح : الكريم الجواد . يقول : إن وجهك الكريم يشبه وجه والدك الذى يحيا ثانية بحياتك .

(٢٢) الخلق الرحب : الذي فيه سهولة ولين عريكة ودماثة . ويريد « ببعد المدى » : الطموح إلى العلا . والإباء : العزة وعدم الانقياد . يشير بهذا البيت والذى قبله إلى ما ورثه الممدوح من أبيه اسماعيل من كرم عميم وجود عظيم وطلاقة وجه وسعة صدر وجنوح إلى العلا مع عزة وشرف

لُحْتَ فيهم فأدْرَكُوا صَوْلَةَ الشَّرْ ... قِ ومَرَّتْ بِذِكْرِهِم أَنْبِيَاؤُه(٢٣)

ورَأَوْا فى الجَلالِ تُوتَنْخَمونًا ... صاعِدًا جَدُّه رَفيعًا لِواؤُه(٢٤)

أَيْنما سَارَ فالعُيُونُ نِطَاقٌ ... وقُلوبُ المُجَاهِدينَ وِقَاؤُه(٢٥)

تَتَمَشَّى فى رَكْبِه الشَّمْسُ إِكْبَا ... رًا ويَنْشَقّ عَنْ سَنَاها رِدَاؤُه(٢٦)

أَنْتَ أَعْلَى كَعْبًا وأَبْقَى عَلَى الدَّهْـ ... ـرِ وإِنْ زَاحَمَ الخُلودَ بَقَاؤُه(٢٧)

لَو وَزَنّا بِما أَقَمْتَ من الدُّسْـ ... تُورِ آلاءَه اخْتَفَتْ آلاؤُه(٢٨)

عَجَزَ الدَّهْرُ أَنْ يُحِيطَ بِمَعْنَا ... كَ وأَلْقَتْ قِيَادَها شُعَرَاؤُه(٢٩)

إِنَّ مَنْ رامَ لِلْكَواكِبِ عَدًّا ... يَتَساوَى ابْتداؤُهُ وانْتِهاؤُه(٣٠)

---

(٢٣) الصولة : الغلبة والقهر . جعل الممدوح فوق ملوك مصر الأقدمين سلطاناً وقهراً ، كما جعل عظمته من عظمة الأنبياء .

(٢٤) توتنخمون : هو توت عنخ أمون ، أحد ملوك مصر الأقدمين ، وكان عصره من أزهى عصور مصر رخاء ورفاهية . والجد : الحظ . واللواء : العلم . وفى رفعة اللواء عز الأمة وبسط سلطانها .

(٢٥) أينما سار : ضمير الغائب يعود على توت عنخ أمون . النطاق : ما يدور حول الشيء ويلتف به . والوقاء : ما يحفظ ويصون . أى أن العيون كانت لا تنفك عن النظر إليه حباً فيه ورغبة إليه . وهى لكثرة أصحابها والتفافهم من حوله كالنطاق، كما أن علو منزلته ومكانته من النفوس جعلت ذويها يقدمون قلوبهم ، وهى أعز ما يملكون ، فداء له وحرصاً عليه .

(٢٦) السنا : اللألاء والضياء . جعل الركب لإشراقه وعموم نوره كأن الشمس قد انحطت من عليائها إليه تمشى فيه إعظاماً له . ثم لما وصفها بالإذعان جعل نورها من نوره .

(٢٧) أعلى كعبا ، أى أشرف منزلة وأعز مكاناً . وبقاؤه ، أى ذكر توت عنخ الباقى على الدهر

(٢٨) آلاؤه : أياديه ونعمه على أمته . أى لو قيست منتك فى هبتك الدستور إلى أمتك بمننه على شعبه لرجحتها ، وكانت هذه المنن إلى جانب منتك شيئا لا يذكر .

(٢٩) أن يحيط بمعناك : أن يلم بما اتصفت به من خلالك الحميدة . ويستوعب ما جمعت من صفات طيبة عديدة . فأنت بهذا معنى يسمو على الأيام إدراك كنهه .

(٣٠) رام : قصد وأراد . جعل مآثر المليك كالنجوم عداً . والمراد أنه مهما كد فى العد فلن يبلغ منها إلا القدر الضئيل ، ثم يقف به الإعياء عن الاستمرار وكأنه لم يفعل شيئا .

فى الزيارة الملكية

أنشدت بين يدى جلالة المغفور له الملك فؤاد الأول بمدينة أسيوط فى ٢١ من ديسمبر سنة ١٩٣٠ حينما شرف المدينة لزيارة معاهدها العلمية ولإنشاء كثير من مؤسسات البر والعرفان فيها .

طَلَعْتَ فأَبْصَارُ الرَّعِيَّةِ خُشَّعُ ... وأَشْرَقتَ مِثْلَ النَّجْمِ فى الأُفْقِ يَلْمَعُ (١)

وأَقْبَلْتَ تَبْنِى الْمَجْدَ فى كلِّ مَوْضِعٍ ... فلَمْ يَخْلُ من آثارِ مَجْدِكَ مَوْضِعُ (٢)

خَوالِدُ آثارٍ تَمَنَّى مِثالَهَا ... عَلَى الدَّهْرِ رَمْسيسُ العَظِيمُ وخَفْرَعُ (٣)

بَنَوْهَا لِمَا بَعْدَ الْحَيَاةِ وأَبْدَعُوا ... وإنَّكَ تَبْنِى للحيَاةِ وتُبْدِعُ (٤)

مَعاهِدُ عِلْمٍ تَنْشُرُ النُّورَ والهُدَى ... وتَطْوِى ظَلَامَ الجَهْلِ مِنْ حَيْثُ تَسْطَعُ (٥)

---

(١) خشع : مطرقة هيبة وخشية . أى أن الأبصار خاشعة لجلال الملك ولا تستطيع أن ترنو إليه . وأشرقت . . . الخ ، : أى أنه فى الإشراق والسمو كالنجم تلألؤاً ورفعة .

(٢) يشير إلى كثرة ما أنشئ فى عهد جلالة المليك من معاهد ومستشفيات وملاجئ ، حتى أصبح له فى كل مكان أثر ناطق بأياديه ومآثره .

(٣) رمسيس وخفرع : من فراعنة مصر الأقدمين ، ولهما كثير من الآثار الخالدة . جعل آثار المليك فى عظمتها وبقائها على الدهر شيئاً يتمنى معه رمسيس وخفرع لو كان لهما مثله : أى أن آثار المليك تزرى بآثار من سبقوه من فراعنة مصر ، أمثال رمسيس وخفرع .

(٤) يذكر فضل آثاره على آثارهم ، وأن تلك كانت مقابر لا نفع فيها إلا مواراة الأجسام بعد الموت ، وأما هذه فهى للحياة ، ونفعها عام شامل .

(٥) تطوى الظلام: تذهب به وتزيحه .

وآثارُ فَضْلٍ في البِلادِ رَفَعْتَها ... كما كانَ (إسْماعيلُ) لِلْبَيْتِ يَرْفَعُ (٦)

إذا تُمِّمَتْ من فَيْضِ جَدْواكَ نِعْمَةٌ ... فأنتَ بأُخْرَى ساهِرُ الطَّرْفِ مُولَعُ (٧)

جَرَيْتَ عَلَى آثارِ آبائِكَ الأُلَى ... مَضَوْا ثُمَّ أَبْقَوْا ذِكْرَهم يَتَضَوَّعُ (٨)

هُمُ غَرَسُوا دَوْحَ الحَضارةِ وارِفاً ... تُظَلِّلُنا مِنْه غُصُونٌ وأَفْرُعُ (٩)

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ نَداكَ صَنيعةٌ ... تُعيدُ إلى مِصْرَ الشَّبابَ وتَرْجِعُ ؟ (١٠)

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِلمَليكِ عَزيمةٌ ... تَخِرُّ لَهَا شُمُّ الجِبالِ وتَخْشَعُ ؟ (١١)

مَلَكْتَ زِمامَ النِّيلِ يا شِبْهَ فَيْضِهِ ... فَلَمْ يَبْقَ فى مِصْرٍ بِيُمْنِكَ بَلْقَعُ (١٢)

وعَلَّمْتَهُ مِنْ جُودِ كَفَّيْكَ خَلَّةً ... فما سَالَ إلّا وَهْوَ بالتِّبْرِ مُتْرَعُ (١٣)

---

(٦) رفعتها : أعليت بنيانها وأشدت صرحها . وإسماعيل : هو نبى الله اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام . والبيت : الكعبة . يشير إلى قوله تعالى : « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل » جعل عمل الممدوح فى شريف نفعه وعظيم أمره كعمل إسماعيل وأبيه إبراهيم فى بناء البيت . وقد يراد باسماعيل المغفور له اسماعيل باشا خديو مصر ، ففى الكلام تورية .

(٧) فيض جدواك : عميم كرمك وواسع جودك . وساهر الطرف : لا يغمض لك جفن حتى تنجزها . ومولع : مغرم حريص على إنفاذها . يذكر أيادي الممدوح المتصلة وأنه لا يخلص من مأثرة إلا إلى مأثرة ، ولا ينجز مبرة إلا وهو مشغول النفس بأخرى .

(٨) يتضوع : تنتشر رائحته الطيبة . جعل ذكرهم بما قدموا من مآثر طيبة كالمسك رائحة وطيبا .

(٩) الدوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة المتسعة الظل . والوارف : المتد الظلال لامتداد أغصانه . يذكر آثارهم العميمة التى عم المصريين جميعا فضلها .

(١٠) صنيعة : مكرمة وعمل من أعمال البر . وترجع : تعيد .

(١١) تخر وتخشع : تقع وتنهد . وشم الجبال : ما علا منها وارتفع . جعل عزمة المليك شيئا لا تقوى على مثل ما تضطلع به شم الجبال .

(١٢) الزمام : ما تقاد به الدابة ، وملك زمام النيل : القدرة على توجيهه وتصريفه . وفيض النيل : ما يفيض به على البلاد من حياة وخصب . جعل الممدوح للبلاد كالنيل حياة وإنعاشا . والبلقع : الأرض الجرداء لا نبات فيها . أى أن النيل بحسن توجيهك عم مصر فلم يبق منها مكان لم يغمره ويعمه .

(١٣) الخلة : الخصلة والشيمة . ومترع : مملوء فياض . أى أن النيل ما جاد فيما جاد به على هذا البلد من خصب إلا لأنه حاكى يديك فى الجود وتشبه بك فى الكرم .

عَلَوْتَ مَطَاهُ وَهْوَ للأَرْضِ مَشْرَعٌ ... وأَنْتَ لآمالِ الرَّعِيَّةِ مَشْرَع (١٤)

فسَالَ يَجُرُّ الذَّيْلَ تِيهاً بِمالِكٍ ... لَهُ المَجْدُ تَاجٌ بالجَلالِ مُرَصَّع (١٥)

وأَشْرقَ إِقْلِيمُ الصَّعِيدِ بِطَلْعةٍ ... تَخِرُّ لهَا الأَعْناقُ طَوْعًا وتَخْضَع (١٦)

بَدَتْ مِثْلَ مِصْبَاحِ السَّماءِ تَعاوَنَتْ ... عَلَى تِمِّهِ فى الأُفْقِ عَشْرٌ وأَرْبَع (١٧)

لَدى مَوْكِبٍ ما سَارَ فيه ابنُ مُنْذِرٍ ... ولا نَالَه فى سالِفِ الدَّهْرِ تُبَّع (١٨)

يُحِيطُ به نُورُ الإِلهِ ونَصْرُهُ ... وتَحْرُسُــه عَيْنُ الإِلهِ وتَمْنَع (١٩)

سَمِعْتُ بهِ حتى إِذا ما رأَيْتُهُ ... (رأَيْتُ بعَيْنِى فَوْقَ ما كُنْتُ أَسْمَع) (٢٠)

وللشَّعْبِ قَلْبٌ حَوْلَ رَكْبِكَ خافِقٌ ... ورَأْىٌ عَلَى الإِخْلَاصِ والوِدِّ مُجْمِع (٢١)

يزَاحِمُ كَىْ يَحْظَى بنَظْرةِ عاجِلٍ ... فَيَبْهَرُهُ من نُورِ شَمْسِكَ مَطْلَع (٢٢)

---

(١٤) مطاه : متنه وظهره . ومشرع : مورد .

(١٥) تيها : عجبا وافتخاراً . جعل النيل وهو ينساب حول مركب المليك فى لين وتثن كأنه يعجب ويتيه باعتلاء الممدوح متنه .

(١٦) أشرق : أضاء وازدهى . وتخر : تنحنى إجلالا .

(١٧) مصباح السماء : القمر . وتعاونت . . . الخ : يريد البـــدر فى تمامه وذلك فى الليلة الرابعة عشرة من الشهر . جعله كالبدر حين يكتمل نوراً وإشراقا .

(١٨) ابن منذر ، هو النعمان بن المنذر ، من المناذرة ملوك الشام ، وكان ذا حول وطول . وهو الذى شاع ذكره فى شعر النابغة . وتبع : التبابعة ملوك اليمن ، وكان لهم فيها السلطان الواسع . جعل عظمة موكبه تزرى بما ناله النعمان وتبع وما أوتيا من سعة وجاه وسلطان .

(١٩) تمنع : تدفع . جعل نوره مستمدا من الله ، كما جعله مؤيداً بنصره وتأييده ورعايته وحفظه

(٢٠) أى أن الممدوح لا يحيط به وصف ولا يفى بتعداد صفاته قائل فما يقال عنه أقل من حقيقته . والشطر الثانى من شعر ابن هانئ فى مدح جوهر الصقلى .

(٢١) خافق : أى يجب ويهتز بحبك . يصف التفـاف الشعب حول الممدوح وتفانيهم فى الإخلاص له .

(٢٢) يبهره : يغلبه نور طلعتك فلا يقوى على النظر إليها .

هُتافٌ مِنَ الْحُبِّ الصَّمِيمِ انْبِعاثُهُ ... تُرَدِّدُهُ أَصْــداؤُهُ وتُرَجِّعُ (٢٣)

مَلَــكْتَهُمُ مُلْكَ الْــكَرِيمِ فَأَخْلَصُوا ... وقُدْتَهُمُ نَحْوَ المَعَالِي فَأَسْرَعُوا (٢٤)

فَخَارًا (سُيُوطٌ) فِيكِ خَيْرُ مُمَلَّكٍ ... تَحُجُّ لَهُ آمالُ مِصْر وتُهْرَعُ (٢٥)

بَدَا مِثْلَ ما يَبْدُو الرَّبِيعُ بَشَاشَةً ... ووَافَى كَمَا وَافَى الرَّجاءُ المُمَنَّعُ (٢٦)

فماؤُكِ سَلْسَالٌ، وطَيْرُكِ صادِحٌ ... وغُصْنُكِ رَيَّانٌ، ووَادِيكِ مُمْرِعُ (٢٧)

(فُؤاد) أَبْقَ لِلْقُطْرِ الْخَصِيبِ تَحُوطُهُ ... وتَدْفَعُهُ نَحْوَ الْحَياةِ فيُدْفَعُ (٢٨)

وعاشَ بِكَ (الفَارُوقُ) فِى ظِلِّ نِعْمَةٍ ... يَلُمُّ شَتَاتَ المَــكْرُمَاتِ ويَجْمَعُ (٢٩)

---

(٢٣) من الحب الصميم : أى مبعثه الحب الصميم الخالص والأصداء : رجع الأصوات .

(٢٤) يصف حسن قيادة الممدوح لشعبه ، وأن الرعية جازته على حسن القيادة إخلاصاً وولاء كما يصف نهضته بهم إلى العلا واندفاع الشعب معه إلى هذه الغاية فى سرعة وعجلة .

(٢٥) تحج : تقصد . وتهرع : تسرع . يذكر ما نالته أسيوط من الفخار بحلول خير مليك هو للآمال كعبة ومقصد .

(٢٦) جعله كالربيع انطلاقاً وبشراً ، وكالرجاء الممنوع تتقبله النفوس بفرح أقوى وسرور أشد وأعظم .

(٢٧) سلسال : صاف خالص مما يشوبه . وصادح : شاد مغرد . وريان : ناضر . وممرع : مخصب منبت . أى أن المليك حل هذا البلد فطاب ماؤه وغرد طيره واخضرت أعواده وأنبتت أوديته . وفى هذا إشارة إلى أيادى المليك على هذه المدينة التى انعشت منها جميع نواحيها ، وإلى مقدار ما تكنه له من حب وولاء .

(٢٨) يدعو للمليك بطول البقاء ليقود البلاد نحو العلا .

(٢٩) فاروق ، كان ولى العهد إذ ذاك : وهو الآن صاحب الجلالة ملك مصر . وشتات المكرمات : ما تفرق منها . يدعو لولى العهد بالبقاء جامعاً أكرم الصفات وخير الخلال .

افتتاح الإذاعة

ألقيت بدار الاذاعة يوم الاحتفاء بافتتاحها فى ٣١ من مايو سنة ١٩٣٤

يا سارىَ الشِّعْرِ يَطْوِى الْجَوَّ فى آنِ ... وَيَمْلأُ الأُفْقَ تَغْرِيداً بأَلْحَانِى (١)

يَخْتالُ فى بُرْدَةِ الفُصْحَى وتُسْعِدُهُ ... بَدَائِعُ الْحُسْنِ من آياتِ عَدْنَانِ (٢)

سِرْ أَيُّها الشِّعرُ واركَبْ كلَّ ناجيةٍ ... من الرِّياحِ فقد أَلْقَتْ بأَرْسَانِ (٣)

سِرْ بالرِّياضِ وخُذْ مِنْها نَضارَتَها ... ونَاغِ ما شِئْتَ مِنْ وَرْدٍ ورَيْحانِ (٤)

الكَوْنُ أُذْنٌ لِمَا تُلْقِيهِ وَاعِيةٌ ... فامْلأْ مَدَاهُ بِصَوْتٍ مِنْكَ رَنَّانِ (٥)

---

(١) يا سارى الشعر . . . الخ ، أى أيها الشعر السائر المتنقل فى أنحاء العالم فى وقت واحد . وفى هذا إشارة إلى فضل الاذاعة وأثرها .

(٢) البردة : الثوب . والفصحى : اللغة العربية ، فهى لغناها وثروتها تفصح عن كل معنى وتبين . وتسعده : تعينه وتزوده . وعدنان : من أجداد العرب الذين تنتهى إليهم العربية ويعرفون بالفصاحة . يصور الشعر فى ألفاظه وآياته العربية الحسنة الجميلة بالمختال فى ثوبه .

(٣) الناجية : الناقة السريعة تنجو بمن ركبها ، شبه بها الرياح فى حملها الأخبار حافظة لها أمينة عليها . والأرسان : جمع رسن (بالتحريك) وهو الزمام . وإلقاء الرياح بالأرسان : كناية عن لينها وسهولة قيادها .

(٤) النضارة : الحسن . والمناغاة فى الأصل : المغازلة . جعل ما يعود به الشعر من مروره بالورد والريحان مثل ما يعود به المغازل ويفيد من متاع وجمال يجلو الخاطر ويشرح النفس ويملأ الصدر أنساً وبشراً .

(٥) يريد بالكون : ساكنيه . وواعية : حافظة لما تقول حريصة عليه . ومداه ، أى أرجاؤه ونواحيه البعيدة . والرنان : العالى المرتفع .

وَبَلِّغِ الأَرْضَ أنَّا فى حِمَى مَلِكٍ　　صَوْبُ الحَيَا ونَدَى كَفَّيْهِ سِيَّان[٦]

وَإِنْ تَزُرْ كَعْبَةَ الآمالِ مُشْرِقَةً　　مِنْ (عابِدِينَ) فطُفْ مِنها بأَرْكان[٧]

وقِفْ وأطْرِقْ خُشُوعًا أنتَ فى قُدُسٍ　　ضافِى المَهابَةِ عالِى الشَّأْوِ وَالشَّان[٨]

قَصْرٌ بَناهُ بُناةُ المَجْدِ مِن هِمَمٍ　　فَلَمْ يُطاوِلْ عُلاهُ أَىُّ بُنيان[٩]

فأَيْنَ كِسْرَى وَما أعْلَى مَشارِفَهُ　　فى بُهْرَةِ المُلْكِ مِنْ صَرْحٍ و إِيوان[١٠]

أساسُهُ عَزَماتٌ جَلَّ خالِقُهَا　　لا ما يَرَى النَّاسُ من صَخْرٍ وصَوَّان[١١]

يُطِلُّ مِنْهُ عَلَى آمالِنا مَلِكٌ　　يَزْهَى به الشَّعْبُ فى سِرٍّ و إِعْلان[١٢]

---

(٦) فى حمى ملك ، أى أعزاء بحوله وفى منعة بطوله . والحيا : المطر . وصوبه : انصبابه ونزوله . وندى كفيه : عطاؤهما وبذلهما . جعل سخاءه وكرمه كالمطر فى كثرته وعمومه . حتى إنه لا ينفرد به فرد دون فرد ولا مكان دون مكان .

(٧) الكعبة : البيت الحرام بمكة وإليه يتجه المسلمون حجاً وصلاة . وعابدين : قصر الملك فى القاهرة . وجعله كعبة الآمال لاتجاه ذوى الآمال إليه بآمالهم وما يرجون . ووصفه بالاشراق لأنه مقر المليك وهو له ضياء ونور . والأركان : النواحى . والطواف بالكعبة : الدوران حولها طاعة وتعظيماً .

(٨) خشوعاً : خضوعاً وتطامنا . وفى قدس ، أى فى مكان طاهر مقدس . وضافى المهابة ، أي مملوء هيبة وخشية . وهكذا كل مكان عز شأن قاطنيه ملأت المهابة نواحيه . والشأو : الغاية والمدى . والشان (بالتسهيل) : الشأن (بالهمز) .

(٩) جعل الهمم مكان اللبنات فى البناء وهذا غاية ما يوصف به بناء علواً وثبوت أركان . ويطاول علاه : أى يحاول بلوغ مداه وإدراكه .

(١٠) كسرى (بكسر الكاف وفتحها) : لقب لملك الفرس ويريد بمشارفه : ما بنى من قصور عالية . والبهرة من كل شىء : وسطه . والصرح : القصر وكل بناء عال . والايوان : الصفة العظيمة ، وكانت تتخذ لجلوس الملك (الصفة : بناء ذو ثلاثة حوائط) جعل كسرى وما شاد وأعلى من صرح وإيوان إلى ملوك هذا البيت وما شادوا شيئاً لا يؤبه له ولا يلتفت إليه .

(١١) أساسه ، أى أساس قصر عابدين . وكما جعل الهمم مكان اللبنات فيما تقدم جعل العزمات مكان الأساس .

(١٢) يزهى : يتيه ويدل .

فى وَجْهِهِ قَسِماتٌ قَدْ دَلَلْنَ عَلَى ... ما ضَمَّهُ القَلْبُ مِنْ نُبْلٍ وإِيمانِ (١٣)

* * *

يابْنَ الأُلَى بَعَثُوا مِصْرًا لِنَهْضَتِها ... وَأَيقَظُوا من بَنِيها كُلَّ وَسْنانِ (١٤)

وأرْسَلُوها إلَى العَلْياءِ فانْطَلَقَتْ ... تَعْدُو إلَى المَجْدِ فى جِدٍّ وإِمْعانِ (١٥)

كأنَّها تَبْتَغِى فى الشَّمْسِ حاجَتَها ... أو أنَّها أوْدِعَتْ سِرًّا لِكَيْوَانِ (١٦)

آثارُهُمْ فى ضِفافِ النِّيلِ ماثِلةٌ ... أبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مِنْ رَضْوَى وثَهْلانِ (١٧)

كأنَّها وهْىَ فى الوَادِى قد انْتَثَرَتْ ... عِقْدٌ تَنَاثَرَ عَنْ دُرٍّ وَعِقْيانِ (١٨)

جاءوا بما عَزَّ فى الآذانِ مَسْمَعُهُ ... عَنِ المُلوكِ ولم تُبْصِرْهُ عَيْنانِ (١٩)

فى باحَةِ السِّلْمِ كانُوا رَحْمةً وهُدًى ... وفِى الكَرِيهَةِ كانوا أُسْدَ خَفَّانِ (٢٠)

---

(١٣) القسمات : جمع قسمة (بكسر السين وفتحها) وهى ما تنطق به أسارير الوجه وملامحه من حسن وجمال .

(١٤) الوسنان : النائم الغافل .

(١٥) الامعان فى السير : التباعد فيه والاسراع ، يشير فى هذا البيت والذى قبله إلى أيادى الأسرة المالكة على مصر والمصريين من إعلاء وإنهاض حتى عدت مصر فى أيامهم إلى المجد بخطوات واسعة .

(١٦) كيوان : اسم زحل (بالفارسية) . يتخيل مصر فى صعودها نحو المجد بأن لها عند الشمس بغية أو أنها تحمل إلى كيوان سرا فهى تصعد مجدة لتبلغ حاجتها فى الأولى وتؤدى أمانتها فى الثانية .

(١٧) ضفاف النيل : شواطئه ويريد مصر . ورضوى وثهلان : جبلان بالحجاز . جعل آثار البيت العلوى فى مصر أكثر خلوداً على الأيام من رضوى وثهلان .

(١٨) العقيان : الذهب الخالص . شبه آثارهم المنتشرة فى أنحاء الوادى فى عظم قدرها بحبات من در وعقيان لعقد انفرط نظمه .

(١٩) أى انفردوا عن غيرهم من الملوك بعملهم كل عجيب غريب ، لم تسمع بمثله الأذنان ولم تقع على شبيهه العينان .

(٢٠) الباحة : الساحة . والكريهة : الحرب وشدتها . وخفان (كحسان) : مأسدة قرب الكوفة يضرب المثل بآسادها فى البطش والقوة . أى إنهم عند السلم رسل رحمة وهدى وفى الهيجاء أشداء على الأعداء .

قد حاوَلُوا الصَّعْبَ حَتَّى ذَلَّ شامِسُهُ ... ومالَ بالرَّأْسِ عَنْ يُسْرٍ وإمْكانِ (٢١)

***

غَفْراً (فُؤادُ) أبا (الفارُوقِ) إن عَجِزَتْ ... عَنْ عَدِّ آلائِكَ الغَرَّاءِ أوْزانِي (٢٢)

حاوَلْتُ تَصْوِيرَها جُهْدِي فما اتَّسَعَتْ ... لِبَعْضِ ذلِكَ ألْواحِي وألْوانِي (٢٣)

والبحرُ تُبْصِرُ جُزْءاً حَوْلَ ساحِلِهِ ... ولَيْسَ في دَرْكِهِ طَوْقٌ لإنْسانِ (٢٤)

في كُلِّ يَوْمٍ لَكُمْ في مِصْرَ عارِفَةٌ ... في طَيِّها مِنْ نَداكُمْ ألْفُ بُرْهانِ (٢٥)

نَشَرْتَ فيها رُبُوعَ العِلْمِ زاهِرَةً ... جَلالَةُ المُلْكِ في عِلْمٍ وعِرْفانِ (٢٦)

غَرَسْتَهُ دَوْحَةً غَنَّاءَ وارِفَةً ... قَرِيبَةَ المُتَمَنَّى ذاتَ أفْنانِ (٢٧)

وساسَنا مِنكَ رأيٌ زانَهُ خُلُقٌ ... قد صاغَهُ اللهُ من رِفْقٍ وإحْسانِ (٢٨)

---

(٢١) الشامس : الفرس الجموح . ومال بالرأس ، أى خضع وذل وأصبح سهلا ممكنا بعد أن كان عزيزا ممتنعا .

(٢٢) الآلاء : النعم والأيادى . والغراء : الحسنة المشهورة . وأوزانى : أى قصائدى، أى إن نعمه قد جاوزت العد حتى إن الشعر يضيق عن إحصائها فهو لهذا التقصير يستميحه العفو والغفران . ويلتمس المعذرة فى البيتين التاليين .

(٢٣) أقام الألواح والألوان — وهما للمصور — مقام قرطاسه وقلمه ، فكما أن هذا يؤلف من الألوان صورة ، كذلك هو يدبج بقلمه على قرطاسه فنون شعره وضروب خياله .

(٢٤) يقول معتذراً عن تقصيره : إن أياديك ونعمك كالبحر سعة وامتداداً . وكما يعى البحر البصر عن الإلمام إلا باليسير مما حول ساحله كذلك تعجز نعمك شعرى عن أن يفى بها ويبلغ مداها .

(٢٥) العارفة : العطية والمعروف (فاعلة بمعنى مفعولة) والندى : الكرم .

(٢٦) ربوع العلم : دوره . وجلالة الملك . . الخ أى إن الملك لا يجل ولا يعظم إلا حيث يحيا العلم ويتسع العرفان .

(٢٧) غرسته ، أى العلم . والدوحة : الشجرة العظيمة الملتفة . والغناء : التى يسمع للريح حفيف حينما يمر خلال أغصانها لتشابكها أو التى أوت إليها الأطيار المغردة . وقريبة المتمنى : أى دانية الثمر قريبة الجنى . والأفنان : جمع فنن (بالتحريك) وهو الغصن .

(٢٨) ساسنا : تولى أمرنا ودبر شئوننا . وزانه : جمله وكمله . وصاغه : هيأه وكونه .

الدِّين زاهٍ وَوَجْـهُ المُلْكِ مُؤْتَلِقٌ كالرَّوْضِ جادَ ثَرَاهُ صَوْبُ هَتَّانِ[٢٩]

رَدَدتَ لِلُّغَةِ الفُصْحَى بَشَاشَتَهـا مِن بَعْدِ أَنْ هَجَرَتْها مُنْذُ أَزْمانِ[٣٠]

قد ذَكَّرَتْها أَيادِيكَ التى عَظُمَتْ مَنازِلَ العِزِّ فى دَاراتِ قَحْطانِ[٣١]

أَوْلَيْتَهـا (مَجْمَعًا) طابَتْ مَشارِعُهُ وَبَلَّ منـهُ صَداهُ كلُّ صَدْيانِ[٣٢]

عادَ فى مِصْرَ عَهْدًا للرَّشِيدِ مضَى أيامَ أَشْرَقَتِ الدُّنْيا (بِبَغْدانِ)[٣٣]

سَعَتْ لِساحَتِكَ الدُّنْيا ويَمَّمَهـا جَهابِذُ القَوْمِ مِنْ قاصٍ ومِنْ دانِى[٣٤]

***

هَذِى الإِذاعَةُ يا مولاىَ قد نَطَقَتْ بِمـا بَذَلْتَ بإِفْصَاحٍ وتِبْيـانِ[٣٥]

---

(٢٩) زاه : مزهر مشرق . ومؤتلق : مضىء متلألئ . والهتان : المطر فوق الهطل . وصوبه : انصبابه جعله للدين كصوب المطر للروض فـكما يحيى الغيث الروض فيورق ويزهر كذلك المليك أحيا الدين فانتعش وازدهر .

(٣٠) البشاشة : البشر والسرور يريد بها مجداً فات اللغة وعزاً قديماً كان لها ودرس .

(٣١) الدارات : جمع دارة ، وهى المحل يجمع البناء والعرصة ؛ وتطلق أيضاً على القبيلة وكلاهما مراد هنا . وقحطان هو ابن عابر ، وهو جد عرب اليمن . وفيهم كان للعربية مجدها الأول . يقول : إن الممدوح بفضل ما امتدت أياديه إلى اللغة العربية بالعون والمساعدة عاد لها عزها الأول بين العرب .

(٣٢) يريد بالمجمع : مجمع فؤاد الأول للغة العربيـة الذى أنشأه المغفور له الملك فؤاد الأول سنة ١٩٣٣ . والمشارع : موارد الشاربة ؛ الواحد : مشرع ومشرعة (بفتح الراء) . وبل صـداه : أروى ظمأه وشفى غلته . والصديان : العطشان . شبه المجمع فى قيامه بسد العوز وترويد الناس بما هم فى حاجة إليه بالمورد للظمأى يردونه عطاشا ويصدرون عنه وقد امتلئوا ريا .

(٣٣) الرشيد : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى الذى بلغت بغـداد فى عهده غايتها فى الحضارة والعلوم . وبغدان : اسم لبغداد ؛ وفيها لغات أخرى .

(٣٤) يمم : قصد . وجهابذ القوم : نقادهم العارفون بتمييز الجيـد من الردىء . جعل مصر فى عهده وبفضله محط رحال العلماء الأعلام من جميع الجهات بعيدها وقريبها للانتفاع بما فيها .

(٣٥) يقول : إن فيما تجود به دار الإذاعة من محاضرات علمية فى فنون شتى دليلا بيناً مفصحاً عن فضلك فى إنهاض مصر .

مِنْ قَبْلِها سارَ سَيْرَ الشمسِ ذِكْرُكُمُ ... يَطْوِى الجِواءَ بأقطارٍ وبُلْدانِ[٣٦]

أنشأتِهَا جَنةً غَنَّتْ بلابِلُهَا ... وغرّدَتْ بين أوراقٍ وأغصانِ[٣٧]

فيها الثّقافاتُ ألوانٌ مُنوّعةٌ ... تُزْجَى إلى الشّعبِ من آنٍ إلى آنِ[٣٨]

قد أصْبَحَتْ مَنْهلاً يَسْعَى لِطالِبِهِ ... فاعْجَبْ إلى مَنْهلٍ يَسْعَى لِظَمْآنِ[٣٩]

عِشْ للْبلادِ (أبا الفارُوق) نُورَ هُدًى ... وأعْلِ رايتَها فى كُلِّ مَيْدانِ[٤٠]

وعاشَ فاروقُ للدُّنيا يُجمِّلُها ... ويَزْدَهِى بمُحَيَّاهُ الجَدِيدانِ[٤١]

لمّا دَعوْهُ أميراً للصَعيدِ سَمَا ... بِهِ الصَّعيد وأضْحَى جِدَّ جَذْلانِ[٤٢]

لا زالَ زِينَةَ عَهْدٍ طابَ مَوْرِدُهُ ... مُجَمّلٍ بِجَلالِ المُلْكِ مُزْدانِ[٤٣]

---

(٣٦) من قبلها : أى من قبل إنشاء دار الإذاعة . والجواء : جمع جو يقول : إن فضلكم على مصر قديم شاع بين البلدان ذكره ، وعم الأقطار صيته ، شيوع الشمس وعمومها فى جميع الأقطار والبلدان .

(٣٧) لما شبه دار الإذاعة بالجنة شبه ضروب الثقافة والتسلية فيها بالأغصان والأوراق ، وشبه العلماء والمفتنين فى علومهم وفنونهم يحدثونك منها بكل جديد مستطاب بالبلابل يطربك تغريدها على الأغصان .

(٣٨) تزجى : تساق وتحمل .

(٣٩) المنهل : المورد ينهل منه الظامئون . جعلها لسهولة موردها كأنها تسعى إلى واردها .

(٤٠) أبو الفاروق : هو الممدوح المغفور له الملك أحمد فؤاد الأول ، والفاروق : هو ملك مصر الآن وكان ولياً للعهد حينذاك .

(٤١) المحيا : الوجه . والجديدان : الليل والنهار ، ولا يفردان فلا يقال للواحد منهما جديد . يدعو له بأن يكون الفاروق جمالا للأيام تزدهى به وتتيه .

(٤٢) الجذلان : الفرح ، المسرور .

(٤٣) طاب مورده ، أى عهده طيب هنىء محبوب كالمورد العذب يكثر وراده .

العربية في ماضيها وحاضرها

أنشدها الشاعر فى افتتاح دور الانعقاد الثالث لمجمع فؤاد الأول للغة العربية سنة ١٩٣٤

مَاذَا طَحَا بِكَ يَا صَنَّاجَةَ الأَدَبِ ... هَلَّا شَدَوْتَ بِأَمْدَاحِ ابْنَةِ العَرَبِ؟ (١)

أَطَارَ نَوْمَكَ أَحْدَاثٌ وَجَمْتَ لَهَا ... فَبِتَّ تَنْفُخُ بَيْنَ الهَمِّ والْوَصَبِ (٢)

وَالْيَعْرُبِيَّةُ أَنْدَى مَا بَعَثْتَ بِهِ ... شَجْوًا مِنَ الْحُزْنِ أَوْ شَدْوًا مِنَ الطَّرَبِ (٣)

رُوحٌ مِنَ اللهِ أَحْيَتْ كُلَّ نَازِعَةٍ ... مِنَ البَيَانِ وَآتَتْ كُلَّ مُطَّلَبِ (٤)

أَزْهَى مِنَ الأَمَلِ البَسَّامِ مَوْقِعُهَا ... وَجَرْسُ أَلْفَاظِهَا أَحْلَى مِنَ الضَّرَبِ (٥)

---

(١) (طحا بك) صرفك ، وذهب بك فى كل مذهب (الصناجة) اللاعب بالصنج وهو آلة تتخذ من الصفر . وكان أعشى قيس يلقب بصناجة العرب لحسن رنين شعره (شدوت) ترنمت وتغنيت (ابنة العرب) اللغة العربية (المعنى) جرد الشاعر من نفسه شخصاً يخاطبه منكراً عليه انصرافه عن الإشادة بلغة العرب ، والتغنى بذكرها :

(٢) وجمت : سكت حزناً (تنفخ) ترسل نفسا طويلا (الهم) الحزن (الوصب) المرض

(٣) (اليعربية) اللغة العربية نسبة إلى يعرب بن قحطان الذى ينتسب إليه عرب اليمن ، وهم العرب العاربة (أندى) أبعد صوتا (الشجو) الحزن . يقول : قد نالك من أحداث الزمان وصروفه ما أقلق نومك ، وأزعج نفسك ، واسلمك للحزن والمرض ، فجعلت تصعد الزفرات ، وترسل الأنات ، مع أنه كان لك فى لغة العرب خير مفصح مما ألم بك من الأحزان

(٤) (نازعة من البيان) من قولهم عنده نزعة إلى كذا أى ميل إليه والمراد عاطفة بيانية (آتت) أعطت (مطلب) مطلوب ، وأصله متطلب : أدغمت التاء فى الطاء (يقول) : تلك اللغة نفحة من الله تعالى تحيي كل عاطفة بيانية ، وتثير كل وجدان شعرى ، وتفصح عن كل مطلوب

(٥) (جرس) صوت (الضرب) العسل (المعنى) هذه اللغة فى بهائها وجمالها أنضر واشرق من الأمل المبشر بقرب المأمول ، وهى فى نبرات ألفاظها ، وجرس أساليبها ألذ من الشهد وأحلى .

أبان الشاعر فى هذه الأبيات أن لغة العرب جديرة بأن يتمدح بذكرها ، فإنها أنة للحزين ، وأنشودة للجذلان ، ومثيرة للعواطف ، ومفصحة عن الأغراض ، وهى فى كل أولئك أبهى من باسم الأمل ، وأحلى من الشهد .

*
* *

وَسْنَى بِأَخْبِيَةِ الصَّحْرَاءِ يُوقِظُهَا ... وَحْىٌ مِنَ الشَّمْسِ أَوْ هَمْسٌ مِنَ الشُّهُبِ (٦)
تُحْدَى بِهَا الْيَعْمَلَاتُ الْكُومُ إِنْ لَغِبَتْ ... فَلَا تُحِسُّ بِإِنْضَاءٍ وَلَا لَغَبِ (٧)
تَهْتَزُّ فَوْقَ بِحَارِ الْآلِ رَاقِصَةً ... وَالنَّصْبُ لِلنِّيبِ يَجْلُو كُرْبَةَ النَّصَبِ (٨)
لَمْ تَعْرِفِ السَّوْطَ إِلَّا صَوْتَ مُرْتَجِزٍ ... كَأَنَّ فِي فِيهِ مِزْمَارًا مِنَ الْقَصَبِ (٩)
تُصْغِي إِلَى صَوْتِهِ الْأَطْيَارُ صَامِتَةً ... إِذَا تَرَدَّدَ بَيْنَ الْقُورِ وَالْهِضَبِ (١٠)
كَأَنَّهُ وَظَلَامُ اللَّيْلِ يَكْنُفُهُ ... غُثَاءَةٌ قُذِفَتْ فِي مَائِجٍ لَجِبِ (١١)

(٦) (وسنى) نائمة : من السنة وهى النوم (أخبية) خيام : جمع خباء (الشهب) النجوم . جمع شهاب . بدأ الشاعر يقص لنا شيئاً من تاريخ لغة العرب فى عصورها المختلفة ، ويحدثنا عن حياة أهلها . فهو يقول : إن اللغة فى بدئها كانت بدوية ساذجة المعانى ، ضيقة الأغراض تتلقى وحيها من الطبيعة .

(٧) (تحدى) الحداء : ضرب من الغناء يكون وراء الإبل (اليعملات) النياق السريعة (الكوم) جمع كوماء : وهى العظيمة السنام (لغبت) تعبت وأعياها السير (إنضاء) هُزال . يقول إنها لجمالها كانت تحدى بأناشيدها الإبل إن مسها تعب من السير ، فتطرب بتلك الأغانى ، ويزول عنها التعب والاعياء .

(٨) (الآل) السراب : وهو ما يتراءى لك عند منتصف النهار فى الصحراء أنه ماء جار (النصْب) ضرب من الحداء (النيب) جمع ناب : الناقة المسنة (يجلو) يكشف . يقول : تسير هذه الإبل فى وسط السراب ، وتحت قيظ الهاجرة ، فينالها التعب والنصب لكن الحداء يزيل عنها كل ما ينالها .

(٩) (السوط) ما يضرب به من الجلد (مرتجز) مغن بالأراجيز ، والرجز من أوزان الشعر يوافق وقع سير الإبل . يقول : ما كانت هذه الإبل تدفع للسير بسوط ولا عصا لكن برجز مطرب ، يترنم به حاديها ، فيخيل لمن يسمعه أنه يصدح بمزمار .

(١٠) (تصغى) تستمع (القور) جمع قارة : الجبل الصغير . انتقل الشاعر من وصف الإبل إلى وصف العربى بلا اقتضاب ولا انقطاع ، لكن بتمهيد عجيب ، وبتقديم رائع . فهو يقول : هذا المرتجز إذا تردد صوته بين الجبال والهضاب سكتت الطيور تستمع إليه وهى مأخوذة بحسنه وعذوبته .

(١١) (يكنفه) يحيط به (الغثاءة) الزبد والوسخ ونحوهما مما يجىء فوق السيل (مائج) بَحْرٌ مضطرب الموج (لجب) لأمواجه جلبة وضوضاء . يقول : ما أشبه هذا الحادى وقد شمله الليل البهيم المخيف وهو سائر فى وسط الصحراء بغثاءة من الزبد تقاذفتها أمواج بحر هائج .

قَدْ خَالَطَ الوَحْشَ حَتَّى مَا يُرَوِّعُهَا ... إِذَا تَعَرَّضَ لَمْ تَنفِرْ وَلَمْ تَثِبِ (١٢)

يَرْنُو بِعَيْنٍ عَلَى الظَّلْمَاءِ صَادِقَةٍ ... كَأَعْيُنِ النَّسْرِ أَنَّى صُوِّبَتْ تُصِبِ (١٣)

هُوَ الحَيَــاةُ بِقَفْرٍ لاَ حَيَاةَ بِهِ ... كَالمَاءِ فِي الصَّخْرِ أَوْ كَالمَاءِ فِي الحَطَبِ (١٤)

يَبِيتُ مِنْ نَفْسِهِ فِي مَنْزِلٍ خَضِلٍ ... وَمِنْ شَبَا بِيضِهِ فِي مَعْقِلٍ أَشِبِ (١٥)

يَهْتَزُّ لِلجُودِ وَالمَشْتَاةُ بَاخِـــلَةٌ ... وَالقُرُّ يَعْقِدُ رَأْسَ الكَلْبِ بِالذَّنَبِ (١٦)

*
* *

تَهْفُو إِلَيْـهِ بَنَاتُ الحَيِّ مُعْجَبَةً ... وَالحُبُّ يَنْبُتُ بَيْنَ العُجْبِ وَالعَجَبِ (١٧)

---

(١٢) (يروعها) يخيفها ، تنفر : تفر مستوحشة (تثب) : تندّ فرقا ورهبا . يقول : إن هذا البدوى الحادى خدن أسفار ، وجواب آفاق ، حتى إنه لطول ما لازم الصحارى قد خالط وحوشها فآنست به ، واطمأنت إليه ، ولم تنفر منه خوفاً ، ورعباً .

(١٣) (يرنو) ينظر (صوبت) وجهت . أى إنه قوى العين ، حاد النظر : لا يحتجب عن بصره شىء حتى فى الظلام الحالك فهو كالنسر الذى لا يخطىء النظر فى أى جهة يتجه إليها .

(١٤) يقول : إنه عنوان الحياة ومظهرها فى تلك البيد التى حرمت الحياة فى كل شىء ضمته ، فــكان كالماء ينبع من الصخر ، أو كالماء يجرى فى الحطب .

(١٥) (خضل) نَــدِ ، (شبا) جمع شباة : وهى حد السيف ، والبيض : السيوف (معقل) : حصن ، (أشب) : ملتف الشجر كثيرهُ : أى حصين (والمعنى) أنه قانع بحظه من الحياة ، راض بما هو فيه : لا يضجر ولا يتبرم ، فهو دائماً فى عيشة راضية ، وحياة ناعمة ، وقد اتخذ من سيوفه حصناً حصيناً يصد عنه المــكايد ، ويحول بينه وبين الأعداء .

(١٦) (يهتز) ينشط (المشتاة) زمن الشتاء أو مكانه حيث يقل الخير ، وتنضب موارد الرزق فى الصحراء (القر) البرد (يعقد) يشد (المعنى) وهو مطبوع على السخاء والجود : نواله لا ينقطع ، وعطاؤه لا يمتنع : حتى فى أيام الجدب والقحط : آنئذ يشتد البرد ويعظم فيترك الــكلب وقد شد رأسه إلى ذنبه .

(١٧) (تهفو) تميل (العجب) الصلف والزهو (العجب) بالتحريك الدهشة والاستغراب (المعنى) أن هذا البدوى الذى يجمع تلك الصفات ينال كل تقدير واجلال من بنات قومه : فيتدافعن إليه ، ويتعلقن به معجبات مبهوتات ، فلا يلبث أن تثور بين جوانحهن عواطف الحب : فإن الحب ينشأ من الإعجاب بالمحبوب والعجب منه .

إِذَا تَنَقَّبْنَ إِذْ يَلْقَيْنَهُ خَفَرًا ... فَشَوْقُهُنَّ إِلَيْهِ غَيْرُ مُنْتَقِبِ (١٨)

تَرَاهُ كُلُّ فَتَاةٍ حِينَ تَفْقِدُهُ ... فِي الْبَدْرِ وَالسَّيْفِ وَالضِّرْغَامِ وَالسُّحُبِ (١٩)

زَيْنُ الفِنَاءِ إِذَا مَا حَلَّ حَبْوَتَهُ ... لِلْقَوْلِ لَبَّاهُ مِنْهُ كُلُّ مُنْتَخَبِ (٢٠)

أَوْ هَزَّ شَيْطَانُهُ أَوْتَارَ مَنْطِقِهِ ... فَاخْشَ الأَتِيَّ وَحَاذِرْ صَوْلَةَ العُبُبِ (٢١)

مَا مَسَّ بِالْكَفِّ أَوْرَاقًا وَلَا قَلَمًا ... وَرَأْيُهُ زِينَةُ الأَوْرَاقِ وَالْكُتُبِ (٢٢)

يَطِيرُ لِلْحَرْبِ خِفًّا غَيْرَ مُدَّرِعٍ ... فِي شِدَّةِ البَأْسِ مَا يُغْنِي عَنِ اليَلَبِ (٢٣)

إِذَا دَعَاهُ صَرِيخٌ كَانَ دَعْوَتَهُ ... وَإِنْ دَعَتْهُ دَوَاعِي الذُّعْرِ لَمْ يُجِبِ (٢٤)

---

(١٨) (تنقبن) احتجبن (خفرا) حياء (والمعنى) أنهن إن احتجبن عنه وراء النقاب خفرا وحياء لا يستطعن أن يخفين شوقهن إليه ، وهيامهن به ، وتقديرهن له

(١٩) (الضرغام) الأسد (المعنى) أنه إن يغب يوما تمثلته كل منهن فى البدر لجماله ، وفى السيف لمضائه ، وفى الأسد لشجاعته ، وفى السحب لسخائه

(٢٠) (الحبوة) أن يجمع الجالس بين ظهره وساقيه بعمامة أو حبل أو نحوهما ، وكان ذلك ضروريا للعربى لانعدام ما يسند إليه ظهره (لباه) أطاعه (المعنى) هو زينة المجلس وبهاؤه صامتا وناطقا : فإن صمت لازمه الوقار ، وإن تهيأ للكلام فحل حبوته انثالت عليه درر الألفاظ ، وعذب الأساليب ، وروائع المعانى

(٢١) (هز) حرك (الأتى) السيل (العُبُب) المياه المتدفقة — وهى مفرد (المعنى) أنه إن وقف يوما فى الندى خطيبا تدفقت الأساليب من بين أشداقه بلا توقف ولا تلعثم كما يتدفق السيل الجارف ، والبحر الزاخر .

(٢٢) يقول : إنه — وإن يكن أميا : لا يعرف الأوراق ولا القلم — يأتى بالقول الرصين ، وبالرأى الصائب ، وبالحكم البالغة مما تتقطع دونه نياط الكتبة البارعين

(٢٣) (خفا) خفيفا غير مثقل (مدرع لابس الدرع (البأس) الشدة والقوة (اليلب) الدروع يقول : إن ثارت الحرب طار إليها خفيفا غير مثقل بدروع وتروس فقد استغنى عن كل أولئك بما طبع عليه من جراءة القلب ، ورباطة الجأش ، وشدة البأس

(٢٤) (صريخ) ملهوف مستغيث (الذعر) الخوف (المعنى) أنه لما جبل عليه من مروءة وشهامة يلبى دعاء الملهوف البائس ، فيغيثه وينجده ؛ لكنه لا يلبى دواعى الجبن والخوف والفرار مهما أصابه من بأس ، وأحدق به من خطوب

لاَ تَرْهَبُ الْجَارَةُ الْحَسْنَاءُ نَظْرَتَهُ ... كَأَنَّ أَجْفَانَهُ شُدَّتْ إِلَى طُنُبِ (٢٥)

* * *

جَزِيرَةٌ أَجْدَبَتْ فِى كُلِّ نَاحِيَةٍ ... وَأَخْصَبَتْ فِى نَوَاحِى الْخلْقِ والأَدَبِ (٢٦)

جَدْبٌ بِهِ تَنْبُتُ الأَحْلاَمُ زَاكِيَةً ... إِنَّ الحِجَارَةَ قَدْ تَنْشَقُّ عَنْ ذَهَبِ (٢٧)

تَوَدُّ كُلُّ رِيَاضِ الأَرْضِ لَوْ مُنِحَتْ ... أَزْهَارُهَا قُبْلَةً مِنْ خَدِّهَا التَّرِبِ (٢٨)

وَتَرْتَجِى الغِيدُ لَوْ كَانَتْ لآلِئُهَا ... نَظْماً مِنَ الشِّعْرِ أَوْ نَثْراً مِنَ الْخُطَبِ (٢٩)

* * *

يَا جِيرَةَ الْحَرَمِ المَزْهُوِّ سَاكِنُهُ ... سَقَى العُهُودَ الْخَوَالِى كُلُّ مُنْسَكِبِ (٣٠)

---

(٢٥) (الطنب) الحبل (المعنى) أنه عفيف النظر ، كريم الخلق ، غير مستهتر ولا ماجن ، فهو دائما غضيض البصر عن جارته ، ولو بلغت من الجمال منتهاه ، لا يسترق إليها النظر ، ولا يستسر لها اللحظ ، فهى بجواره غير مسترِيبة ولا خائفة

(٢٦) يقول : إن تكن جزيرة العرب قد أصيبت بالجدب والإمحال فى نواحيها المادية ، فإنها رزقت الخصب والثراء فى نواحيها المعنوية ، فانتجت كرم الطبع ، وشهامة النفس ، وكمال الخلق كما أنتجت الأدب الحى الخالد ، الذى سيبقى ما بقى الزمان .

(٢٧) (الأحلام) العقول : جمع حِلم (زاكية) نامية متزايدة (المعنى) لم يمنع هذا الجدب القاتل أن تظهر فى تضاعيفه العقول القوية الجبارة ، كما أن الصخر الأصم قد يظهر فى ثناياه الذهب الإبريز .

(٢٨) (الترب) الكثير التراب (المعنى) لشرف هذه الجزيرة ، ولكمال ما أنتجت من عقول ، وأخلاق وآداب تمنت كل روضة فينانة أن تحظى أزهارها بمسّ ترابها .

(٢٩) (الغيد) الحسان جمع غادة (المعنى) قد رأت الغوانى أن درر الألفاظ التى يصوغونها شعراً ونثراً أبهى من درر عقودها وأحلى ، وأخلد فى الدهور وأبقى ، فتمنت أن لو أبدلت من لآلئها لآلىء المنظوم والمنثور .

(٣٠) (المزهو) المتكبر المفتخر (العهود الخوالى) العصور الماضية

لِى بَيْنَكُمْ صِلَةٌ عَزَّتْ أَوَاصِرُهَا ... لِأَنَّهَا صِلَةُ القُرْآنِ وَالنَّسَبِ (٣١)

أَرَى بِعَيْنِ خَيَالِى جَاهِلِيَّتَكُمْ ... وَلِلتَّخَيُّلِ عَيْنُ القَائِفِ الدَّرِبِ (٣٢)

وَأَشْهَدُ الحَشْدَ لِلشُّورَى قَدِ اجْتَمَعُوا ... وَلَسْتُ أَسْمَعُ مِنْ لَغْوٍ وَلَا صَخَبِ (٣٣)

مِنْ كُلِّ مُكْتَهِلٍ بِالبُرْدِ مُشْتَمِلٍ ... لِلقَوْلِ مُرْتَجِلٍ لِلهُجْرِ مُجْتَنِبِ (٣٤)

وَأَلْمَحُ النَّارَ فِى الظَّلْمَاءِ قَدْ نُصِبَتْ ... لِطَارِقِ اللَّيْلِ وَالحَيْرَانِ وَالسَّغِبِ (٣٥)

نَارٌ وَلَكِنَّهَا قَدْ صُوِّرَتْ أَمَلًا ... بَرْدًا إِذَا خَابَتِ الآمَالُ لَمْ يَخِبِ (٣٦)

---

(٣١) (عزت) قويت (أواصرها) روابطها (المعنى) يأيها العرب النازلون بحمى الحرم المكى الذى يشرف كل من جاوره ، ويفتخر كل من قاربه ، سقيا لأيا مكم الماضية ، وبقاء لذكراها ، ودواما لآثارها ، فإن فى خلودها شرفا لى وفخرا ، لما بينى وبينكم من صلة وثيقة العرا ، قوية الروابط ، وأى صلة أوثق وأقوى من صلة سداها الدين القويم ولحمتها النسب الكريم

(٣٢) (القائف) من يعرف الآثار (الدرب) المتدرب (المعنى) أن شدة رابطتى بكم جعلتنى ملما بأحوالكم ، خبيرا بعهودكم ، فلو وجهت خيالى إلى جاهليتكم لاستحضرتها أمامى ، ولتمثلتها بخيرها وشرها ، بسلمها وحربها ، بل بسمائها وأرضها ، فإن الخيال كالقائف الحاذق يعرف العين بالأثر

(٣٣) (الحشد) الجمع (اللغو) ما لا يؤبه له (الصخب) الضوضاء

(٣٤) (المكتهل) من علاه الشيب (مشتمل) ملتحف بالكساء حتى لا تظهر يده (مرتجل) متكلم على البديهة من غير تهيئة للكلام (الهُجْر) فاحش القول وذميمه (المعنى) أن خيالى يمثل لى جوعكم وقد احتشدت للتشاور ومبادلة الرأى فى المشكلات من أموركم ، فلا أسمع منها هذرا من القول ولا بذيئا ، ولا أحس بينها بجلبة ولا ضوضاء ، لكن أرى جوعا قد علاها الوقار ، وقد ضمت بينها كل كهل مجرب ، ممن حنكتهم السنون ، وبجمتهم الأيام ، إن تكلموا أرسلوا القول بديهة وارتجالا ، بلا روية ولا إعداد خالياً من الفحش والهجر

(٣٥) (الطارق) من يأتى ليلا (السغب) الجائع (المعنى) ومما أتخيله من شئون جاهليتكم النار التى تضرم وسط الظلام ليهتدى بها الضال ، ويأوى إليها الطارق ، ويصطلى بها المقرور ، ويطعم لديها الجائع

(٣٦) يقول : إنها بدع فى النيران : لا تماثلها فى أعراضها ، ولا تشاكلها فى نتائجها ، فهى معقد الأمل ، ومبعث الرجاء ، فكم من حيرة أزالت ، وكم من غمة كشفت ، وكم من غلة نقعت .

رَمْزُ الْحَيَاةِ وَرَمْزُ الْجُودِ مَا فَتِئَتْ   فَوْقَ الثَّنِيَّاتِ تَرْمِي الْجَوَّ بِاللَّهَبِ (٣٧)

يَشُبُّهَا أَرْيَحِيٌّ كُلَّمَا هَـدَأَتْ   أَلْقَى عَلَى جَمْرِهَا جَزْلاً مِنَ الْحَطَبِ (٣٨)

وَأَبْصِرُ الْقَوْمَ يَوْمَ الرَّوْعِ قَدْ حُشِدُوا   لِلْمَوْتِ يَجْتَاحُ، أَوْ لِلنَّصْرِ وَالْغَلَبِ (٣٩)

يَرْمُونَ بِالشَّرِّ شَرًّا حِينَ يَفْجَؤُهُمْ   وَرَايُهُمْ فَوْقَهُمْ خَفَّاقَةُ الْعَذَبِ (٤٠)

وَأَحْضُرُ الشُّعَرَاءَ اللُّسْنَ قَدْ وَقَفُوا   وَلِلْبَيَانِ فِعَالُ الصَّارِمِ الذَّرِبِ (٤١)

أَبُو بَصِيرٍ لَهُ نَبْرٌ لَوْ اتُّخِذَتْ   مِنْهُ السِّهَامُ لَكَانَتْ أَسْهُمَ النُّوَبِ (٤٢)

---

(٣٧) رمز عنوان ودليل (الثنيات) طرق الجبل وعقابه الصعبة المرتقى (المعنى) وهذه النار مظهر الحياة فى تلك البيد التى كادت تفنى فيها الحياة ، ودليل العمران حيث كانت ، وعنوان الجود والقرى ، والهداية ، والأمن ، ما دامت مضطرمة فوق النجاد والربا ، ترسل شواظها فى الجو ، وترمى بألسنتها فى السماء

(٣٨) (يشبها) يوقدها (أريحى) كريم (جزلا) حطبا يابسا غليظاً (المعنى) والذى يوقد هذه النار إنما هو شهم أريحى جواد ، لا يفتأ يقدم لها الجزل فالجزل من الحطب حتى لا تهدأ ولا تخبو ، فيأوى إليها من لفهم الليل ، وآذاهم البرد ، ومسهم السغب

(٣٩) (الروع) الفزع ، وهو يوم الحرب (يجتاح) يهلك (المعنى) ومما أتمثله من أحوال الجاهلية اجتماع القبائل واحتشادها فى الحروب ، وتدرعها بالجرأة والبسالة ، حتى لا ترجع إلا بأحدى الحسنيين : الموت المحمود ، أو النصر المحبوب .

(٤٠) (يفجؤهم) يباغتهم (رايهم) أعلامهم (العذب) الأطراف : جمع عَذَبة (المعنى) مما جبلوا عليه حبهم للانتقام ، وميلهم إلى الأخذ بالثأر ، ومقابلتهم الشر بالشر : فإن رماهم الأعداء بسوء ثارت حميتهم ، وخرجوا للانتقام ، ومن فوقهم أعلامهم تخفق ، وسيوفهم تبرق ، اعتزازاً بقوتهم وسيادتهم .

(٤١) (اللسن) الفصحاء : مفرده لسِن (الصارم) السيف (الذرب) الحادّ (المعنى) وأرى بعين الخيال فطاحل الشعراء ، وقد وقفوا فى محافلهم يتفاخرون بالفصاحة ، ويتجادلون بالبيان ، ويترامون بنبال الكلم ، فتكون بينهم حرب كحرب السيوف البواتر ، وليس اللسان أهون أثراً من السنان .

(٤٢) (أبو بصير) هو الأعشى القيسى صاحب المحلق (النوب) المصائب : جمع نائبة .

إِذَا رَمَاهَا كَمَا يَخْتَارُ قَافِيَـــةً ... دَارَتْ مَعَ الفَلَكِ الدَّوَّارِ فِي قُطُبِ (٤٣)

* * *

وَأُغْمِضُ العَيْنَ حِيناً ثُمَّ أَفْتَحُهَا ... عَلَى جَلَالٍ بِنُورِ الحَقِّ مُؤْتَشِبِ (٤٤)

نُورٌ مِنَ اللهِ هَالَ القَوْمَ سَاطِعُهُ ... وَلَيْسَ يُحْجَبُ نُورُ اللهِ بِالْحُجُبِ (٤٥)

تَكَلَّمَتْ سُوَرُ القُرْآنِ مُفْصِحَةً ... فَأَسْكَتَتْ صَخَبَ الأَرْمَاحِ وَالقُضُبِ (٤٦)

وَقَامَ خَيْرُ قُرَيْشٍ وَابْنُ سَادَتِهَا ... يَدْعُو إِلَى اللهِ فِي عَزْمٍ وَفِي دَأَبِ (٤٧)

---

(٤٣) (القافية) آخر كلمة فى البيت ، والمراد هنـا القصيدة (قطب) مدار (المعنى) وكان من بين هؤلاء الشعراء أبو بصير الأعشى الذى وقف فألقى من حماسة القول ، ومن قوة البيان ما لو اتخذت منه السهام لكان فى أسنتها ريب المنون ، فكانت قصيدته لا تكاد تلقى حتى تتجاذبها الركبان ، وتشيع على كل لسان ، وتتنقل فى كل مكان .

(مجمل المعنى) بعد أن أرسل الشاعر كلامه عاماً فى الجزيرة خص بالذكر جيرة الحرم من سكان الحجاز ، ودعا لأيامهم بالسقيا ، وذكر ما بينـه وبينهم من صلة الدين والنسب واللغة ، ودعا خياله الصادق فمثل له جاهليتهم وأحداثها : من محافل الشورى التى تجمع ذوى الحنكة والتجارب ، ومن النيران التى يضرمها الأجواد فى رءوس الجبال لهداية الضال ، وإطعام الجائع ، ومن الجموع تزحف للحرب ، ولا ترضى بغير النصر أو الموت ، ومن منتديات الشعراء التى يتصاولون فيها باللسان لا بالسنان ، وبالكلام لا بالسهام ؛ لـكنها مصاولة طاحنة مؤلمة ، أزرت بكل مصاولة ، فهذا أبو بصير قوله أنـكى من السيف أثراً ، وقصائده أبقى على الأيام ذكراً .

(٤٤) (مؤتشب) ملتف

(٤٥) (هال) أدهش (المعنى) إننى أكبح خيالى عن السبح فى شئون الجاهلية لأستقبل عهداً أضاءه نور من الله ساطع ، بهر الناس وهالهم ، فلم يستطيعوا أن يطفئوه أو يحجبوه — فنور الله لايخمد ولا يحجب ، فساروا على ضوئه ، واهتدوا بهداه

(٤٦) (صخب) جلبة (القضب) السيوف الدقيقة (المعنى) لما نزل القرآن الكريم ، وتليت آياته البينات ، وشرعت للناس حقوقهم وواجباتهم ، وبينت مالهم وما عليهم ، خضعوا لها ، وأتمروا بأوامرها ، فألقوا السيوف والرماح ، فى دهشة وإعجاب

(٤٧) (خير قريش) كناية عن النبى صلى الله عليه وسلم (دأب) جد

بِمَنْطِقٍ هَاشِمِيِّ الوَشْيِ لَوْ نُسِجَتْ ... مِنْهُ الأَصَائِلُ لَمْ تَنْصُلْ وَلَمْ تَغِبِ (٤٨)

طَابَتْ بِهِ أَنْفُسُ الأَيَّامِ وَابْتَهَجَتْ ... وَمَرَّ دَهْرٌ وَدَهْرٌ وَهِيَ لَمْ تَطِبِ (٤٩)

وَهُزَّتِ الرَّاسِيَاتُ الشُّمُّ ، وَارْتَعَدَتْ ... لِهَوْلِهِ البَاتِرَاتُ البِيضُ فِي القُرُبِ (٥٠)

وَأَصْبَحَتْ بِنْتُ عَدْنَانٍ بِنَفْحَتِهِ ... تِيهاً تُجَرِّرُ مِنْ أَذْيَالِهَا القُشُبِ (٥١)

فَازَتْ بِرُكْنٍ شَدِيدٍ غَيْرِ مُنْصَدِعٍ ... مِنَ البَيَانِ وَحَبْلٍ غَيْرِ مُضْطَرِبِ (٥٢)

*
* *

وَلَمْ تَزَلْ مِنْ حِمَى الإِسْلَامِ فِي كَنَفٍ ... سَهْلٍ وَمِنْ عِزِّهِ فِي مَنْزِلٍ خَصِبِ (٥٣)

---

(٤٨) (الوشى) النقش (الاصائل) جمع أصيل وهو ما بين العصر والغروب (تنصل) يتغير لونها
(المعنى) وقد قام خير الناس عليه السلام يدعو إلى توحيد الله ، ونبذ الشرك ، وهو مزود بقريحة ماضية ، وبجد دائب ، وبهذا المنطق الرائع الساحر الذى لو استمدت الأصائل منه جمالها ما نالها تغيير ، وما غابت يوماً عن الناس .

(٤٩) (المعنى) كان لمنطقه عليه السلام بما حوى من تفصيل للاحكام ، وتحديد للشعائر ، وتبيان للحق والباطل أعظم الأثر فى الأيام فصلحت وزهت ، مع أنها اجتازت من قبل سنين طوالا دون أن تنالها نفحة من الصلاح والكمال

(٥٠) (الراسيات) الجبال (الشم) المرتفعات (الباترات) القاطعات (القرب) الأغماد جمع قراب (المعنى) وكان من أثر هذا المنطق الشريف الفاصل بين الهدى والضلال ، وبين العدل والجور ، أن اضطربت لوقعه الجبال ، وارتعدت لهوله السيوف ، وهذا تمثيل لشدة فعله فى النفوس ، ولعظيم أثره في المجتمع ، ولما أحدثه من انقلاب عام خطير ، لم تشهده الأيام من قبل ، ولا من بعد

(٥١) (بنت عدنان) كناية عن موصوف هو اللغة العربية (تيها) زهوا وكبرا (القشب) الجديدة ، جمع قشيب .

(المعنى) ومن هذا المنطق العذب الرصين استمدت اللغة ثروة طائلة من الألفاظ والأساليب والمعانى أكسبتها جدة وحياة ، فأخذت تتيه زهواً وفخراً .

(٥٢) (منصدع) منشق (المعنى) وقد نالت بهذا المنطق شدة وقوة ، وبه اتسع مداها وتنوعت أغراضها ، وصارت وثيقة البنيان ، ساحرة البيان .

(٥٣) (كنف) جانب والخصب : الخصيب

حَتَّى رَمَتْهَا اللَّيَالِى فِى فَرَائِدِهَا وَخَرَّ سُلْطَانُهَا يَنْهَارُ مِنْ صَبَبِ (٥٤)

وَعَاثَت الْعُجْمَةُ الْحَمْقَاءُ ثَائِرَةً عَلَى ابْنَةِ الْبِيْدِ فِى جَيْشٍ مِنَ الرَّهَبِ (٥٥)

يَقُودُهُ كُلُّ وَلَّاغٍ أَخِى إِحَنٍ مُضَمَّخٍ بِدِمَاءِ الْعُرْبِ مُخْتَضِبِ (٥٦)

لَمْ يُبْقِ فِيهَا بِنَاءً غَيْرَ مُنْتَقِضٍ مِنَ الْفَصِيحِ وَشَمْلاً غَيْرَ مُنْقَضِبِ (٥٧)

كَأَنَّ عَدْنَانَ لَمْ تَمْلَأْ بَدَائِعُهُ مَسَامِعَ الْكَوْنِ مِنْ نَاءٍ وَمُقْتَرِبِ (٥٨)

مَضَتْ بِخَيْرِ كُنُوزِ الْأَرْضِ جَائِحَةٌ وَغَابَتِ اللُّغَةُ الْفُصْحَى مَعَ الْغَيَبِ (٥٩)

---

(٥٤) (خر) سقط (صبب) منحدر (المعنى) وقد بقيت العربية فى حمى الاسلام وجواره حيناً فكانت منيعة الجانب ، شديدة القوى ، خصيبة المنزل ، ولكن الزمن القلب لم يرع فرائدها ، ولا أبقى سلطانها ، فدالت دولتها ، وذهبت ريحها ، وبدأ ذلك حين ضاعت السلطة من أيدى خلفاء بني العباس ، وانتقلت إلى أيدى مماليكهم ، ثم ظهر ظهوراً بيناً فى عصر المماليك بمصر ، ثم كانت الداهية الدهياء على اللغة فى العصر العثمانى

(٥٥) (عاثت) أفسدت (ابنة البيد) اللغة العربية (الرهب) الخوف .

(المعنى) أن العجمة قد قوى سلطانها وعظمت شوكتها ، فغزت البلاد ، وعاثت فى الأرض ، وأفسدت الألسنة ، وأضعفت من شأن العربية .

(٥٦) (ولاغ) شارب شرب الكلب (إحن) أحقاد جمع احنة (مضمخ) ملطخ .

(المعنى) وهذه الحملة التى أفسدت اللسان القويم قد قادها السفلة الأنذال الذين امتلأت قلوبهم حقداً على العرب ، وتلطخت أيديهم بدمائهم ، فلم يرعوا فى لغتهم إلا ولا ذمة .

(٥٧) (منتقض) متهدم (منقضب) منقطع (المعنى) قد قضى هذا الجيش على أركان اللغة وشتت شملها ، وبدد جمعها ، وأزال نضرتها ، وغضارتها .

(٥٨) فما لبثنا أن رأينا هذه الجذوة المتقدة وقد خبت ، وهذه النضرة الباسمة وقد ذوت ، كأن لم يورثها عدنان تراثا مجيداً ، وكأن لم تكن بالأمس ملء السمع والقلب ، وملء الشرق والغرب .

(٥٩) (جائحة) مصيبة مبيدة (الغيب) ما غاب : جمع غائب (المعنى) أسفا على هذا الكنز الثمين الذى اجتاحته ثورة طائشة من قوم سفهاء ، فغاب بغيبته حسن البيان ، وذلاقة اللسان ، ورصانة التعبير .

لَوْلَا (فُؤَادُ) أَبُو الفَارُوقِ مَا وَجَدَتْ ... إِلَى الْحَيَاةِ ابنَةُ الأَعْرَابِ مِنْ سَبَبِ (٦٠)

أَعَزَّ مِنْهَا حِمًى رِيعَتْ كَرَائِمُهُ ... وَكَانَ مَمْنُوعُهُ نَهْبًا لِمُنْتَهِبِ (٦١)

وَرَدَّ بِالْمَجْمَعِ الْمَعْمُورِ غُرْبَتَهَا ... وَحَاطَهَا بِكَرِيمِ العَطْفِ وَالْحَدَبِ (٦٢)

* * *

يَا عُصْبَةَ الْخَيْرِ لِلْفُصْحَى وَشِيعَتَهَا ... حَيَّاكِ صَوْبُ الْحَيَا يَا خِيرَةَ الْعُصَبِ! (٦٣)

هَلُمَّ فَالْوَقْتُ أَنْفَاسٌ لَهَا أَمَدٌ ... وَلَا أَقُولُ بِأَنَّ الوَقْتَ مِنْ ذَهَبِ (٦٤)

فَإِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا إِقَامَتُهُ ... إِقَامَةُ الطَّيْفِ وَالأَزْهَارِ وَالْحَبَبِ (٦٥)

---

(٦٠) (ابنة الاعراب) : اللغة العربية (المعنى) لولا أن قيض الله لها الملك فؤادا بعد هذه الأحداث التى تركتها لفظاً بلا معنى ، وجسداً بلا روح ، ما استنشقت نسيم الحياة ، ولا جرت فيها مياه القوة والعافية .

(٦١) (حمى) ما يجب أن يحمى (ريعت) أفزعت (المعنى) أن الملك أحاطها بعنايته ، وحماها بسلطانه ، بعد أن ذلت ولائذها ، وانتهبت فرائدها ، وانتهك حماها .

(٦٢) (المجمع) مجمع فؤاد الأول للغة العربية الذى أنشئ فى عصره ، وكان الشاعر من أعضائه (الحدب) العطف (المعنى) ومن شدة عناية جلالته بها ، وعطفه عليها ، ورغبته فى أن تعيد سيرتها الأولى أنه أنشأ المجمع اللغوى ، واصطفى له البارزين من رجالات اللغة من الشرق ، ومن الغرب ، فأزالوا دنس العجمة منها ، وردوا عليها تراثها المفقود ، ونهضوا بها خير نهوض (مجمل المعنى) بعد أن بين الشاعر ما نال اللغة فى حمى الاسلام من قوة وسلاسة عاد فذكر الاحداث التى توالت عليها ، والعجمة التى غزتها فى دارها ، والتقهقر الذى سارت فيه باطراد حتى كانت من الفناء قاب قوسين أو أدنى ، لولا أن أحاطها الملك فؤاد بعطفه وحدبه فأنشأ المجمع اللغوى الذى جمع شتاتها ، وأحيا مواتها ، وسار بها فى طريق النهضة الحديثة .

(٦٣) (عصبة) جماعة بين العشرة والأربعين (صوب الحيا) نزول المطر (المعنى) أنتم يا رجال المجمع خير من يأخذ بيد الفصحى ، ويعيد مجدها ، وينصر أشياعها ، فلينزل الخير بساحكم وليسق المطر دياركم ، جزاء بركم باللغة وأهلها .

(٦٤) (هلم) تعالوا : اسم فعل أمر (أمد) نهاية (المعنى) سارعوا إلى العمل لخير اللغة ، واشتغلوا كل وقت بما يفيدها ، ولا تدعوا برهة تمضى هباء ، فان الوقت نفيس محدود ما مضى منه هيهات أن يعود ، فهو ليس كالذهب الابريز ، بل كانفاس الانسان وهى قليلة البقاء .

(٦٥) (الطيف) الخيال الطائف فى المنام (الحبب) فقاقيع الماء والخمر (المعنى) ومما يزيدكم ثقة بنفاسة الوقت وقصره أن حياة الانسان فى دنياه ليست إلا كحلم النائم : ما أسرع انقضاءه ، أو كالأزهار الناضرة : ما أقرب ذبولها ، أو كالفقاقيع السابحة : ما أقل بقاءها .

الدَّهْرُ يُسْرِعُ وَالأَيَّامُ مُعْجِلَةٌ وَنَحْنُ لَمْ نَدْرِ غَيْرَ الوَخْدِ وَالْخَبَبِ (٦٦)

وَالْمُحْدَثَاتُ تَسُدُّ الشَّمْسَ كَثْرَتُهَا وَلَمْ تَفُزْ بِخَيَالِ اسْمٍ وَلَا لَقَبِ (٦٧)

وَالتَّرْجَمَاتُ تَشُنُّ الْحَرْبَ لَاقِحَةً عَلَى الفَصِيحِ فَيَا لِلْوَيْلِ وَالْحَرَبِ (٦٨)

نَطِيرُ لِلَّفْظِ نَسْتَجْدِيهِ مِنْ بَلَدٍ نَاءٍ وَأَمْثَالُهُ مِنَّا عَلَى كَثَبِ (٦٩)

كَمُهْرِقِ الْمَاءِ فِي الصَّحْرَاءِ حِينَ بَدَا لِعَيْنِهِ بَارِقٌ مِنْ عَارِضٍ كَذِبِ (٧٠)

أَزْرَى بِبِنْتِ قُرَيْشٍ ثُمَّ حَارَبَهَا مَنْ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ النَّبْعِ وَالغَرَبِ (٧١)

وَرَاحَ فِي حَمْلَةٍ رَعْنَاءَ طَائِشَةٍ يَصُولُ بِالْخَائِبَيْنِ : الْجَهْلِ وَالشَّغَبِ (٧٢)

---

(٦٦) (الوخد) سعة الخطو (الخبب) السرعة (المعنى) وانظروا إلى الدهر يسرع بأهله إلى حياة جديدة ، فيها العلوم الحديثة مزدهرة ، والمبتكرات الجليلة منتشرة ، ونحن عن كل أولئك غافلون ، لا نعرف من السرعة إلا الألفاظ الدالة عليها .

(٦٧) يقول : مما يؤلم نفوسكم أن تروا تلك المخترعات الحديثة قد ملأت الأرض ، وحجبت السماء ، دون أن يكون لها اسم عربي تدعى به .

(٦٨) (تشن) تثير (لاقحة) شديدة (الويل) العذاب (الحرب) الهلاك (المعنى) ومما يزيدكم ألما أن الترجمة من اللغات الأوربية إلى العربية شر ما رميت به الفصحى ، وأدهى ما أساء إليها : فليست الترجمة إلا عجمة اللفظ ، وتعقيد الأسلوب ، والتواء المعنى ، وذلك لعجمة ألسنة المترجمين ، والتواء أذواقهم .

(٦٩) (نستجديه) نطلبه (ناء) بعيد (كثب) قريب .

(٧٠) (كمهرق) كمن يصب الماء (عارض) سحاب معترض فى الأفق (المعنى) أننا قد اقتبسنا ألفاظ الأعاجم ومصطلحاتهم ، وأقحمناها فى لغتنا إقحاما ، زاعمين أن فيها كل الغناء ، فلم نجشم أنفسنا مئونة البحث عن أمثالها ؛ وهى فى الفصحى جد كثيرة ، فكنا فى ذلك كمن يرى ، وهو فى الصحراء ، سحابا مقبلا ، فيظنه مليئاً ممطراً ، فيسكب ما معه من ماء ، ثم يترقب الخير من الغيم ، وإذا الغيم جهام لا ماء فيه ولا خير .

(٧١) (أزرى) أهان وعاب (النبع) شجر صلب ينبت على رءوس الجبال (الغرب) نبات رخو ينمو على الأنهار .

(٧٢) (رعناء) حمقاء (طائشة) مخطئة (يصول) يحارب (الشغب) التهويش (المعنى) وقد رزئت الفصحى بمن يعيبها ويحقرها ويرميها بالقصور عن مسايرة المدنية الحديثة ، ويفضل عليها لغات الأجانب ، وما ذلك إلا لغشاوة الجهل التى أعمت بصيرته ، وغشت قلبه حتى لم يدرك ما بين عظيم الأشجار ، وصغير الحشائش من فرق ، فكان سفيها فى زرايته ، خائبا فى جداله ، مخذولا فى حربه ، لأنه تدرع بدرعى الخيبة والفشل : وهما الجهل الفاضح ، والتهويش الكاذب .

أَنَتْرُكُ العَرَبِىَّ السَّمْحَ مَنْطِقُهُ ... إِلَى دَخِيلٍ مِنَ الأَلْفَاظِ مُغْتَرِبِ؟ (٧٣)

وَفِى المَعَاجِمِ كَنْزٌ لَا نَفَادَ لَهُ ... لِمَنْ يُمَيِّزُ بَيْنَ الدُّرِّ وَالسُّخُبِ (٧٤)

كَمْ لَفْظَةٍ جُهِدَتْ مِمَّا نُكَرِّرُهَا ... حَتَّى لَقَدْ لَهَثَتْ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ (٧٥)

وَلَفْظَةٍ سُجِنَتْ فِى جَوْفِ مُظْلِمَةٍ ... لَمْ تَنْظُرِ الشَّمْسُ مِنْهَا عَيْنَ مُرْتَقِبِ (٧٦)

كَأَنَّمَا قَدْ تَوَلَّى القَارِظَانِ بِهَا ... فَلَمْ يَؤُوبَا إِلَى الدُّنْيَا وَلَمْ تَؤُبِ (٧٧)

يَا شِيخَةَ الضَّادِ وَالذِّكْرَى مُخَلَّدَةٌ ... هُنَا يُؤَسَّسُ مَا تَبْنُونَ لِلْعَقِبِ (٧٨)

---

(٧٣) (السمح) السهل (مغترب) غريب (المعنى) لا يليق بكرامتنا أن نترك اللفظ العربى الملائم لذوقنا ، الخفيف على ألسنتنا إلى لفظ غريب تمجه الأذواق والألسنة .

(٧٤) (المعاجم) كتب اللغة (السخب) جمع سخاب وهو العقد من الودع ونحوه (المعنى) لو أثرنا كتب اللغة لتكشفت لنا عن ألفاظ لا عداد لها تقوم بأغراضنا ، وتغنينا عن الأعجمى الدخيل ، ولكن لا يدرك ذلك إلا من يفرق بين الغث والسمين ، ويميز الدر من الودع .

(٧٥) (لهث) أخرج لسانه تعبا

(٧٦) مظلمة : حفرة عميقة مظلمة

(٧٧) (القارظان) رجلان من بنى عنزة خرجا فى طلب القرظ فلم يرجعا (يئوب) يعود (المعنى) لاستنامتنا الى الراحة ، وابعدنا عن أثارة الكنز الدفين فى المعاجم ألححنا على بعض الألفاظ فى الاستعمال حتى لقد لهثت من كثرة الترداد ، على حين أن غيرها مطمور فى بطون الكتب

(مجمل المعنى) أهاب الشاعر برجال المجمع أن يسرعوا إلى نجدة اللغة ، ولا يدعوا الوقت يمر هباء لأنه نفيس محدود ، وذكرهم بسرعة تقدم العالم ، وكثرة ما ينتج ، وما يستحدث ، وما يبتكر مع عدم قصور لغتنا عن مسايرة ذلك ، ثم ألقى نظرة الى الترجمة ، والى مبلغ إساءتها للغة لفظا وأسلوبا ، ثم نعى على أولئك الجهلة استعمالهم الألفاظ الأعجمية دون نظائرها العربية ، وكأنهم بذلك ينتقمون من تلك اللغة المهينة فى نظرهم ، ولو دروا ما فى اللفظ العربى من سهولة ، وملاءمة الذوق ما استبدلوا به شيئا ، ولراحوا وراء المعاجم يثيرون دفائنها ، ويستخرجون جواهرها ، حتى تثرى اللغة ، وتزداد مادتها ، وتتداول ألفاظها ، وإذاً لا يستعمل بعض الألفاظ حتى يجهده الاستعمال ، ويهمل بعضها حتى كأن قد ولى به القارظان .

(٧٨) (الضاد) اللغة العربية ، (المعنى) إن أردتم يا شيوخ الفصحى لأنفسكم الذكرى الباقية ما بقى الجديدان فأخلصوا للعربية ، وأقيموا بنيانها عاليا ، حتى يتسلمها أبناؤكم قوية غير واهية .

هُنَا تَخُطُّونَ مَجْداً مَا جَرَى قَلَمٌ ... بِمِثْلِهِ فِي مَدَى الأَدْهَارِ وَالْحِقَبِ (٧٩)

*
* *

لَبَّيْكَ يَا مَلِكَ الوَادِي وَمُنْشِئَهُ ... يَا حَارِسَ الدِّينِ وَالآدَابِ وَالْحَسَبِ (٨٠)

هَذَا غِرَاسُكَ قَدْ مَاسَتْ بَوَاسِقُهُ ... تُدَاعِبُ الرِّيحَ فِي زَهْوٍ وَفِي لَعِبِ (٨١)

الْمُلْكُ فِي بَيْتِكُمْ كَسْباً وَمَوْهِبَةً ... يُزْهَى عَلَى كُلِّ مَوْهُوبٍ وَمُكْتَسَبِ (٨٢)

سَفِينَةٌ أَنْتَ مُجْرِيهَا وَكَالِئُهَا ... مِنَ الزَّعَازِعِ لاَ تَخْشَى أَذَى العَطَبِ (٨٣)

وَأُمَّةٌ أَنْتَ مُجْرِيهَا وَحَافِزُهَا ... فِي حَلْبَةِ السَّبْقِ لاَ تُبْقِي عَلَى القَصَبِ (٨٤)

وَدِيعَةُ اللهِ صِينَتْ فِي يَدَيْ مَلِكٍ ... لِلَّهِ مُرْتَقِبٍ لِلَّهِ مُحْتَسِبِ (٨٥)

---

(٧٩) (الحقب) العصور (المعنى) فى هذا المكان الذى تشرف بجمعكم يشاد مجد خالد ، بما تعيدون للغة من قوتها وفتائها ، وبما تردون إليها من نضرتها .

(٨٠) (لبيك) إطاعة لك وإجابة (الحسب) مفاخر الآباء .

(٨١) (ماست) تمايلت زهوا (بواسقه) طواله (المعنى) إن أمرت لبينا ، وإن ناديت أجبنا ، فإنك الملك الهمام ، الساهر على إنهاض البلاد ، القائم على رعاية الدين والأخلاق ، المعتنى بمفاخر الآباء والأجداد ، الموفق فى أعماله الجليلة التى أشرقت على الوادى ، وعمت القاصى والدانى ، وقوى أصلها ، وبسق فرعها ، وماست عجبا .

(٨٢) (كسبا) إصابة واجتهادا (موهبة) منحة من الله (المعنى) أن الملك استقر فى بيتكم بجدكم وبتوفيق الله لكم ، وبتفضله عليكم بهذه الهبة الجليلة التى تضاءل أمامها كل موهوب ومكتسب

(٨٣) (كالئها) حافظها (الزعازع) العواصف (العطب) الهلاك (المعنى) وإن سفينة تلقى دفتها فى يديك لواصلة الى الشاطىء سالمة كاملة ، فليهنأ هـذا الوطن الذى تملكت زمامه ، فانه برعايتك سينجو من كل خطب ، وسيذلل كل صعب ، وسيبلغ ذرا الرقى والكمال .

(٨٤) (حافزها) دافعها (حلبة السبق) جماعة الخيل فى ميدان السباق (القصب) ما يركز عند الغاية فى السباق ، والمراد الفوز .

(٨٥) يقول : إن الرعية التى أودعها الله أمانة فى يديك ، قد قمت برعايتها خير قيام ، وتعهدت شئونها خير تعهد ، مراقبا الله تعالى فى كل ما تأتى وما تذر ، راجيا منه الأجر والثواب .

بَصِيرَةٌ كَضِيَاءِ الصُّبْحِ لَوْ لَطَمَتْ ... غَيَاهِبَ اللَّيْلِ لَمْ يُظْلِمْ وَلَمْ يُهَبِ (٨٦)

وَعَزْمَةٌ كَحَدِيدِ النَّصْلِ لَوْ طَلَبَتْ ... زُهْرَ الكَوَاكِبِ نَالَتْ غَايَةَ الطَّلَبِ (٨٧)

قَدْ صَمَّمَتْ فَمَضَتْ مُجَلِّى لِمَقْصِدِهَا ... تَحْثُو التُّرَابَ بِوَجْهِ الشَّكِّ وَالرِّيَبِ (٨٨)

فَانْظُرْ تَرَى مِصْرَ هَلْ تَلْقَى لَهَا مَثَلاً ... فِي صَوْلَةِ الْمُلْكِ أَوْ فِي قُوَّةِ الأُهَبِ ؟ (٨٩)

فَثَرْوَةٌ مِنْ سَرِيِّ العِلْمِ وَاسِعَةٌ ... وَثَرْوَةٌ مِنْ سَرِيِّ الْجَاهِ وَالنَّشَبِ (٩٠)

بَنَى (فُؤَادٌ) بِنَاءَ الْخَالِدِينَ كَمَا ... بَنَى الغَطَارِيفُ مِنْ آبَائِهِ النُّجُبِ (٩١)

إِذَا الغَمَائِمُ جَافَتْ مِصْرَ وَاحْتَجَبَتْ ... فَإِنَّ بِرَّ يَدَيْهِ غَيْرُ مُحْتَجِبِ (٩٢)

مَنْ مُبْلِغُ العُرْبِ أَنَّ الضَّادَ قَدْ بَلَغَتْ ... بِقُرْبِ صَاحِبِ مِصْرٍ أَرْفَعَ الرُّتَبِ ؟ (٩٣)

---

(٨٦) (بصيرة) فطنة (غياهب) ظلمات (يهب) يخاف منه (المعنى) أن للمليك بصيرة نافذة، وفطنة قوية، لو لمست ظلمات الليل لارتدت نوراً مشرقاً، ولم يبق لسار فيه رهب أو خوف

(٨٧) (كحديد النصل) كالسيف الحادّ المشحوذ (المعنى) وقد وهب الله له عزيمة ماضية مضاء الحسام المرهف، لا يعجزها مطلب، ولا تسكل دون غاية، ولو ابتغت أن تنال كواكب السماء لنالتها

(٨٨) (صممت) أصرت (تحثو) تثير (المعنى) إن تعلقت عزيمته بأمر مضت فى تنفيذه مجلى غير وانية ولا مترددة، وغير آبهة بأوهام الشكوك

(٨٩) (الأهب) جمع أهبة : عدة الحرب

(٩٠) (النشب) المال (المعنى) وقد ظهرت آثار هذه الصفات العالية فى ملكه العظيم : فان ألقيت نظرة منك على مصر رأيتها قوية السلطان، عزيزة الجانب، واسعة العلم، مثقفة العقل، عظيمة الجاه، كثيرة المال

(٩١) (الغطاريف) جمع غطريف : السيد الشريف (النجب) جمع نجيب : الكريم، (المعنى) ليس عجيباً أن يقوم الملك فؤاد بالعظيم من الأعمال، وبالخالد من الآثر فانه ينزع فى ذلك إلى آبائه الأمجاد الذين أحيوا مصر، وخلقوها خلقاً جديداً.

(٩٢) (جافت) بعدت (المعنى) أنه سمح اليدين، جواد النفس، عطوف القلب، شديد العناية برعاياه، فلو أخلفتهم السحب، كان لهم من جود مليكهم خير عوض، وأشرف بدل.

(٩٣) (المعنى) ليت لنا من يبشر العرب بنهوض لغتهم، وعلو يدها، ورفعة شأنها، ورجوعها إلى سيرتها الأولى، بتأييد الملك العظيم لها، وعنايته بها.

أعَادَ مَجْداً لهَا مَالَتْ دَعَائِمُهُ فَيَا لهَا قُرْبَةً مِنْ أَعْظَمِ القُرَبِ (٩٤)

وَحَفَّهَا بِسِيَاجٍ مِنْ عِنَايَتِهِ كَمَا تُحَفُّ جُفُونُ العَيْنِ بِالهُدُبِ (٩٦)

إنْ عَقَّهَا أَهْلُ وَادِيهَا وَجِيرَتُهَا فَأَنْتَ أَحْنَى عَلَيْهَا مِنْ أَخٍ وَأَبِ (٩٧)

رَأَتْ بِرَبْعِكَ عِزَّ المُلْكِ فَانْصَرَفَتْ عَنْ ذِكْرِ لُبْنَى وَذِكْرَى رَبْعِهَا الخَرِبِ (٩٨)

لاذَتْ بِأَكْبَرِ مِعْوَانٍ لِذِى أَمَلٍ نَاءٍ وَأَشْرَفِ عُنْوَانٍ لِمُنْتَسِبِ (٩٩)

عِشْ لِلْكِنَانَةِ تَبْلُغْ أَوْجَ عِزَّتِهَا وَلِلْعُلا وَالنَّدَى وَالعِلْمِ وَالأَدَبِ (١٠٠)

وَعَاشَ (فَارُوق) نَجْماً فى تَأَلُّقِهِ سَعْدُ السُّعودِ وَفِيهِ مُنْتَهَى الأَرَبِ (١٠١)

---

(٩٤) (دعائمه) عمده جمع دعامة (قربة) بر يتقرب به إلى الله تعالى (المعنى) فقد أعاد لها مجدها السالف ، وعزها التالد ، بعد أن عدت عليها أحداث الزمان ، وخليق بمن يؤيد لغة الدين والقرآن أن يرضى الله عنه ، ويقربه منه .

(٩٥) (سياج) سور (المعنى) وقد أحاطها عنايته بسور منيع يحول بينها وبين الأحداث، ويصد عنها عوامل الضعف والانحلال ، ففـدت آمنة من الرزايا أمْنَ العين ، وقد حفتها أهداب الأجفان .

(٩٦) (عقها) لم يبرّ بها ، ولم يحسن إليها (المعنى) وقد رأت منك صدراً فسيحاً ، وعطفاً كريماً ، وحناناً رفيقاً ، وإخلاصاً لها لا يحول ولا يزول ، ولو زال عنها إخلاص أهلها وجيرتها ، فانك أحنى عليها من الأخ والوالد

(٩٧) (ربعك) دارك (لبنى) من فتيات الجاهلية (المعنى) ولما رأت فى مصر أبهة الملك ، وعظمة السلطان ، ومظاهر الحضارة ، وآيات الفن ، شغلت بالإعجاب بما رأت ، وبوصف جماله وجلاله ، وانصرف عن ذكريات لبنى ، ولياليها الخالية ، وربوعها الخاوية

(٩٨) (لاذت) لجأت (المعنى) إن تكن الفصحى قد انصرفت إليك ، ولاذت بك ، فانها قد انصرفت إلى الكريم المعوان ، مغيث الملهوف ، ومنجد الصريخ ؛ ولاذت بخير من يلاذ به ، وأشرف من ينتسبُ إليه

(٩٩) (الكنانة) مصر (أوج) علو (المعنى) وإنا لنرجو لك حياة طويلة، وأجلا فسيحاً ، كى تبلغ مصر فى رعايتك ذروة المجد ، وكيا نفخر بعلو شأنك ، وننعم بفيض يدك ، ونرى العلم وقد اشتجرت أفنانه ، والأدب وقد ازدهرت أغصانه

(١٠٠) (المعنى) ونرجو (لفاروق) ولى العهد حياة هنيئة ، ممزوجة بالسعادة واليمن .

مِصْـر

أنشدها الشاعر بقاعة المحاضرات بالجامعة المصرية فى افتتاح المؤتمر الطبى العربى الثانى
فى ٣٠ من يناير سنة ١٩٣٩

صوّرَ ٱللّٰهُ فيكِ معنى ٱلْخُلودِ ... فابلُغى ما أردتِهِ ثمَّ زيدِى[١]

أنتِ يا مِصْرُ جَنَّةُ ٱللّٰهِ فى ٱلأرْ ... ضِ ، وعَيْنُ العُلاَ وَوَاوُ الوجودِ[٢]

أنتِ أمُّ المَجْدَيْنِ بَيْنَ طَرِيفٍ ... يَتَحَدَّى الوَرَى وَبَيْنَ تَلِيدِ[٣]

كم جديدٍ عليه نُبْلُ قديمٍ ... وقديمٍ عليه حُسْنُ جديدِ ![٤]

قد رآكِ الدهرُ العتِىُّ فَتَـاةً ... وهو طِفلٌ يلهو بِطَوْقِ الوليدِ[٥]

شَابَ من حَوْلِكِ الزمانُ وَمَا زلْـتِ كغُصْنِ الرَّيحانَةِ الأُمْلُودِ[٦]

---

(١) يقول إن الله قد صور فيك يا مصر معنى الخلود ظاهراً مجسما فانهضى إلى الغاية وتجاوزيها.

(٢) ويقول : مصر بلد الخيرات والبركات ومطمح الأنظار كالجنة يتطلع إليها كل إنسان ، وهى فى مقدمة الممالك علواً ومجداً ووجوداً ، كما أن العين أول كلمة العلا والواو أول كلمة الوجود .

(٣) (الطريف) الحديث (التليد) القديم وقد تَلُد (يتحدى) ينازع ويفاخر (الورى) الخلق . يقول : لك يا مصر مجدان . مجد جديد يتمثل فى نهضتك الحاضرة . ومجد قديم تشهد به آثارك وتاريخك .

(٤) يقول : إن مجدك الجديد له شرف القديم ، كما أن مجدك القديم لم يؤثر فيه البلى ولم تذهب بنضرته الأيام . فهو جديد فى مرآه ومنظره .

(٥) (العتىّ) الهرم (الفتاة) الشابة (الوليد) المولود الصبى والمؤنثة بهاء (الطوق هنا) إطار يلعب به الأطفال . يقول : نشأت يا مصر مع الدهر . والمراد كانت لك مدنية وحضارة فى العصور الأولى من الزمان .

(٦) (الريحانة) واحدة الريحان وهو نبت طيب الرائحة (الأملود) الغصن الناعم اللين . يقول : مع أنك يا مصر قديمة العهد بعيدة أول الوجود لا تزالين فى ميعة الصبا وعنفوان الشباب .

أنتِ يا مِصْرُ بَسْمةٌ فى فم الْحُسْـــنِ ، ودمعُ الحَنانِ فوقَ الْخُدُودِ [٧]

أنتِ فى القَفْرِ وَرْدَةٌ حَوْلَهَا الشَّوْ كُ ، وفى الشوكِ عِزَّةٌ لِلْوُرُودِ [٨]

يَلْثِمُ البحرُ مِنْكِ طِيبَ ثُغُورٍ بَيْنَ عَذْبِ اللَّمَى وَبَيْنَ بَرُودِ [٩]

يَابْنَةَ النيلِ أنتِ أحْلَى مِنَ الْحُـــبِّ وأَزْهَى من ضاحِكاتِ الوُعُودِ [١٠]

نَثَرَ النيلُ فيكِ تِبرًا وأوْهَى لِينُهُ من قَساوةِ الجُلْمودِ [١١]

فَتَنَ الأَوَّلِينَ حَتَّى أشارُوا نحو قُدْسِىٍّ مائِهِ بالسُّجُودِ [١٢]

وَوَشَى للرِّيَاضِ ثوبًا وَحَلَّى كلَّ جِيدٍ من الرُّبَا بِعُقُودِ [١٣]

---

(٧) يشبه الشاعر مصر بالبسمة فى كونها جذابة محببة إلى النفوس ثم يشبهها بشىء آخر محبوب هو دمع الحنان والعطف فوق خدود الحسان .

(٨) المراد بالقفر هنا : الصحارى التى تحيط بمصر وتكتنفها . يقول : وادى النيل بين الصحراوين مخصب جميل ، والصحراوان حوله حصون منيعة كالشوك يحفظ الورد ويحميه .

(٩) (الثغور) : جمع ثغر وهو الفم . وموضع المخافة من حدود البلدان . (اللمىّ) : سمرة الشفتين . (البرود) : البارد . برد كنصر وكرم — (يقول) البحر متصل بثغورك الجميلة المشرفة عليه كالاسكندرية ودمياط وبورسعيد والسويس . (وفى كلمة الثغر فى البيت) تورية جميلة .

(١٠) (ابنة النيل) : مصر . (أزهى) : أجمل وأنضر — (يقول) . أنت يا مصر محببة إلى القلوب . معشوقة للأفئدة . وأنت أيضا أجمل من الوعود السارة المبشرة بتحقيق الآمال الحلوة . وتيسير الأمانى المرجوّة .

(١١) (تبراً) : التبر . الذهب غير المضروب . (أوهى) : أضعف . (الجلمود) : الصخر (المعنى) . أن النيل سبب فى الخصب والثراء . وقد أثر ماء النيل مع لينه فى صلابة الصخور فحولها الى أرض خصيبة منبتة .

(١٢) (يقول) : عظم القدماء النيل لأنه سبب حياة كل حى فى مصر . فسجدوا له إقرارا بفضله واعترافا بجميله .

(١٣) (وشى الثوب) : زينه بالنقوش . (الربا) : جمع ربوة وهى المرتفع من الأرض . (المعنى) : سقى النيل الزرع . فأخرج الزهر المختلف الألوان . وازدانت به الوهاد وسفوح النجود

أنتِ للاّجئينَ أمٌّ ، وَوِرْدٌ لِظِماءِ القلوبِ عَذْبُ الورودِ (١٤)

* * *

قَدْ حَمَلْتِ السِّرَاجَ للنَّاسِ، وَالكَوْ نُ غريقٌ فى ظلْمَةٍ وجُمُودِ (١٥)

لا نَرى فيكِ غيرَ عهدٍ مَجيدٍ قَرَنَتْهُ العُلاَ بعهدٍ مَجِيدِ (١٦)

وجُهودٍ تَمَثَّلَتْ فى صُخُورٍ وصخورٍ تشَبَّهتْ بجُهُودِ (١٧)

عِظَمٌ يَبْهَرُ السَّماءَ ، وشَأْوٌ عَاقَ ذاتَ الْجَناحِ دُونَ الصعُودِ (١٨)

أنتِ يا مِصْرُ صَفْحَةٌ مِنْ نُضَارٍ لَمَعَتْ بَيْنَ سَالِفَاتِ العُهُودِ (١٩)

أيْنَ رَمْسِيسُ والكُماةُ حَوَالَيْـهِ مُشاةٌ فى الموْكِبِ المشْهُودِ؟ (٢٠)

مَلأَ الأرضَ والسَّماءَ ، فَهذِى بجنودٍ ، وهـذِهِ ببُنُودِ (٢١)

---

(١٤) (المعنى) . أنت يا مصر موطن لكل غريب يجد فى رحابك عطف الأم على بنيها . ويطيب عيشه بما يجد فيك من رزق أو علم وثقافة .

(١٥) (يقول) : رفعت يا مصر منار العلم عاليا فى وقت كان الناس فيه فى جهالة عمياء .

(١٦) (ويقول) : عصورك المتتابعة حلقات غُر متصلة . فكنت تنتقلين فى مراتب العلا من مرتبة الى مرتبة .

(١٧) (يقول) : آثارك الباقيــة المخلدة فى الصخور دليل على ما كان لبنيك من أعمال مجيدة . ومن يشاهد صخورك الأثرية يعرف منها مقدار تلك الجهود التى جعلت الصخر ناطقاً شاهداً، ويعرف أن تلك الجهود فى عزمها وصلابتها كانت أقوى من الصخور .

(١٨) (البَهْر) : الغلبة ، بَهَرَ القمر كمنع غاب ضوءه ضوء الكواكب . (الشأو) : الغاية (يقول) : بلغت مصر من العظمة منزلة تبهر السماء . وتعجز الطير أن ترقى إليها .

(١٩) (النّضار) : الذهب — (يقول) : لك ماض مشرق امتزت به وتفردت بين الأمم الأخرى .

(٢٠) (الكماة) : جمع كمِىّ . الشجاع أو لابس السلاح . (الموكب) : الجماعة . (بنود) : البند العلم الكبير — يشير (الشاعر) إلى ما كان لرمسيس ذلك الفاتح العظيم من الجيوش الكثيرة الغلابة التى تحيط به وقد سار فى موكبه الحافل الذى يهرع الناس إلى مشاهدته .

(٢١) يقول : قد ملأ رمسيس الأرض بجنوده التى خففت أعلامها فملأت السماء .

وجُموعُ الكُهّانِ تهتِفُ بالنَّصْـرِ وتتلو النّشيدَ إِثْرَ النَّشيدِ(٢٢)
وبناتُ الوادِى يَمِسْنَ اخْتيالاً ويُحَيِّين بين دَفٍّ وعُودِ(٢٣)
أين عَمْرٌو فتى العُرُوبة والإِقْـدامِ ، أَوْفَى مُجاهِدٍ بالعقودِ ؟(٢٤)
شَمّرِىٌّ يُحَطِّمُ السَّيفَ بالسَّيْـفِ ، ويرمِى الصِّنديدَ بالصِّنديدِ(٢٥)
لَمْ يكن جَيْشُه لدَى الزَّحْف إِلاَّ قُوَّةَ العَزْمِ صُوِّرتْ فى جُنودِ(٢٦)
قِلّةٌ دَكَّتْ الُحصونَ وبَثَّتْ رِعْدَةَ الرُّعبِ فى الْخِضَمِّ العَديدِ(٢٧)
ذُعِرَ الموت أَنَّهم لَمْ يَخافُوهُ ولم يَرْهَبوا لِقاءَ الحديدِ(٢٨)
ينظرون الفِرْدَوْسَ فى ساحةِ الْحَرْبِ فيستعجلون أَجْرَ الشَّهيدِ(٢٩)

---

(٢٢) (الكهان) : جمع كاهن وهو القاضى بالغيب والمراد هنا رجال الدين . يصف احتفال رجال الدين بنصر رمسيس وأناشيدهم مفتخرين بظفره

(٢٣) يمِسْ : ماس يميس . تبختر . دفّ : الدف . الذى يُضرب به — يقول : لا يقتصر الدعاء ولا الفرح على الكهان بل يعم طبقات الشعب كلها . ويشترك فى ذلك الرجال والنساء .

(٢٤) (العُروبة) : القومية العربية . أوفى : تفضيل من وفى بعهده يشير الشاعر إلى الفاتح العظيم عمرو بن العاص ، ويصفه بالشجاعة والإقدام والوفاء بالعهود .

(٢٥) (شمّرىّ) : ماض فى الأمور مجرب . يحطم : يكسر . (الصنديد) : السيد الشجاع ، يصف عمْرًا بقوة العزم ، ووضع الشدة فى موضعها . ومقابلة القوة بمثلها

(٢٦) يصف قوة جيش عمرو واعتداد رجاله بشجاعتهم ويرى أن قوة الإرادة والعزم قد تمثلت فى هؤلاء الجنود وأنهم صور لصلابة الإرادة وصرامة العزيمة ونفاذها .

(٢٧) (بَثّ) نشر وفرق (رعدة) الرعدة . الارتعاش (الخضم) الجمع الكثير . يقول : إن جيشه القليل الظافر قد هدم حصون الأعداء وأخافهم على كثرة عددهم وقلة عدده فهم منه فى اضطراب وفزع .

(٢٨) يقول : إن الموت دهش من هؤلاء المجاهدين لأنهم لم يخافوه ولأنهم ما كانوا يخشون صولة السلاح .

(٢٩) (الشهيد) من قتلة الكفار فى المعركة . وقد استشهد . يقول : آمنوا بما أعده الله للشهيد من الثواب فى جنات النعيم حتى كأنهم يرون هذه الجنات بأعينهم ، فبادروا إلى الحرب ليستشهدوا فيصلوا عجالا إلى ما يريدون من الثواب .

صَعِدُوا للعُـلاَ بريشِ نُسُورٍ ومَضَوْا للرَّدَى بِعَزْمِ أسُودِ[٣٠]

أيْنَمَا رَكَّزُوا الرماحَ تَرى العَدْ لَ مقيماً فى ظِلِّها المَمْدودِ[٣١]

وتَرى المُلْكَ أَرْيَحِيًّا ، عَلَيْـهِ نَضْرةٌ من سَماحَةِ التَّوحيدِ[٣٢]

وتَرَى العزمَ عابساً لوُثُوبٍ وتَرى السيفَ ضاحكاً فى الغُمُودِ[٣٣]

وترى العِلْمَ يلتقِي بِهُدَى الدِّيـــنِ على مَنْهَجٍ سَوِىٍّ سديدِ[٣٤]

ملـكُوا الأرضَ لم يسيئوا إلى شَعْـــبٍ ، ولم يحكموه حُكْمَ العبيدِ[٣٥]

هُمْ جُدُودِى ، وَأينَ مِثْلُ جُدودى إن تَصَدَّى مُفاخر بالجُدُودِ ؟[٣٦]

*
* *

فَسَحُوا صَدْرَهُم لِحِـكْمةِ يُونَا نَ وآدابِ فارسٍ والهُنُودِ[٣٧]

وأصاروا بالتَّرجَماتِ علومَ الرُّو مِ وِرْداً للنّاهِلِ المستفيدِ[٣٨]

---

(٣٠) يقول : وصلوا إلى غاياتهم السامية بهممهم العالية فى وقت قصير . وخاضوا غمار الحروب يلاقون فيها الموت بعزم ثابت وجأش رابط .

(٣١) (ركز الرمح) أثبته فى الأرض . وهـذا كناية عن الإقامة . يقول : لم يكن فتح العرب للاستغلال والاستعباد . كما تفعل الأمم الغربية الآن . وإنما كان لنشر العدل وتحرير العقول .

(٣٢) (الأريحى) الواسع الخلق (النضرة) الحسن (سماحة) من سمُح جاد وكرم . يقول واصفاً لهم : إن ما امتاز به العرب فى حكمهم من صفات هى السماحة وسعة الخلق إنما جاءت إليهم من الدين .

(٣٣) يقول : عند انتصارهم يضحك السيف فى الغمد ويستعد العزم للخطر .

(٣٤) (المنهج) الطريق الواضح (سوىّ) قويم . يقول : جاء الإسلام متمشيا مع العلوم وأطلق العقول من قيودها . وحثها على التفكير والنظر .

(٣٥) يقول : إنهم سيطروا على كثير من ممالك الأرض وحكموا شعوبها حكم رفق وعطف

(٣٦) يفخر (الشاعر) . بأنه من سلالة العرب ، ويتحدى أن يكون هناك من يماثلهم .

(٣٧) (يقول) : أحاط العرب بعلوم الأمم التى سبقتهم فى الحضارة ونبغوا فيها .

(٣٨) (يقول) : نقل العرب بالترجمة علوم الأولين وذللوا صعوباتها . وصححوا أخطاءها . فسهل الانتفاع بها .

حَذَقوا الطِبَّ والزمانُ غُلاَمٌ والثّقافاتُ رُضَّعٌ فى المُهُودِ[٣٩]

وَشُعوبُ الدنيا تُعالِجُ بالسِّحْـــرِ وحَرْق البَخُورِ والتَّعقيدِ[٤٠]

هَلْ ترى لابْنِ قُرَّةٍ من مثيلٍ ؟ أو تَرَى لابن صاعدٍ من نديدِ؟[٤١]

والطبيبُ الكِنْدِيُّ لم يُبقِ فى الطِّـــبِّ مَزِيداً لحاجةِ المسْتَزِيدِ[٤٢]

أَين أَين الرَّازىُّ ، أين بَنُو زُهْـــرٍ دُعاةُ النُّهُوضِ والتَّجْدِيدِ ؟[٤٣]

وابْنُ سِينا ، وأينَ كابنِ نَفيسٍ عَجزَ الوَهْمُ عن مداه المَديدِ ؟[٤٤]

***

هذه أُمَّـةٌ من الصَّخْرِ ، كانت فى قِفَارٍ من الحياة وَبِيـــدِ[٤٥]

تأْكُلُ القَدَّ والدُّعَاعَ من الجُو عِ وتَهْفُو شوقاً لِحَبِّ الْهَبِيـدِ[٤٦]

---

(٣٩) (يقول) : وقد مهروا فى الطب من قديم ، قبل نمو الثقافات وانتشارها .

(٤٠) (يقول) : وصل العرب الى هذه الغاية حينما كان بعض الأمم يعالج بالرقى والتعاويذ .

(٤١) ذكر (الشاعر) : بعض أعلام الطب من العرب مفاخراً بهم . « وابن قرة » هو سنان ابن ثابت بن قرة . وكان من أطباء المقتدر « وابن صاعد » هو هبة الله ويعرف بابن التلميذ . كان فى أيام المقتفى لأمر الله . قالوا : ولم يكن مثله بعد أبقراط .

(٤٢) « الكندى » . هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندى من بيت سرى نبيل . ويلقب بفيلسوف العرب . ولد فى أواخر القرن الثانى للهجرة . وكان مترجما عالما بالطب والفلسفة والحساب والمنطق . واتصل بالمأمون والمعتصم .

(٤٣) « الرازى » . هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الطبيب الكيمياوى توفى سنة ٣١١ هـ . ألف كتاب الأقطاب فى ثلاثين مجلدا . « وبنو زهر » . أهل بيت كلهم علماء وأطباء . أشهرهم أبو العلاء بن زهر ثم ابنه أبو مروان ثم ابنه أبو بكر .

(٤٤) (ابن سينا) هو أبو على الحسن بن سينا . ولد فى قرية من بخارى ، درس الفلسفة والطب ونضج نضجاً مبكراً ، وتقلد الوزارة لشمس الدولة فى همذان . توفى سنة ٤٢٨ . (وابن نفيس) هو على بن أبى الحزم القرشى صاحب كتاب الشامل فى مائة مجلد وهو أندلسى .

(٤٥) (البيد) : جمع بيداء وهى المفازة . (القدّ) : جلد الشاة الصغيرة .

(٤٦) (الدعاع) حب شجرة برية أسود يختبز منه . (الهَبيد) : الحنظل . يقول : نشأ العرب فى بلاد صخرية بين القفار والفيافى يعوزهم أدنى الطعام ، فيأكلون ما لا يؤكل كالقدّ والدعاع والحنظل .

وتُثيرُ الحروبَ شَعْواءَ جهْلًا ... وتدُسُّ الوَئِيدَ إثْرَ الوَئِيـــدِ(٤٧)

نَبعَ النــورُ بالنُّبُوَّةِ فيهَا ... فطَوَى صفحةَ اللَّيَالِى السُّودِ(٤٨)

ومضَى يملأُ المَمالكَ عَـــدْلاً ... بَاسِمَ الوعْدِ مُكْفَهِرَّ الوَعيـدِ(٤٩)

أَطْلَقَ العقلَ من سَلَاسِلِهِ الدُّهْـــمِ ونحّاه عن صَلِيلِ القُيُودِ(٥٠)

بَلغَتْ مِصْرُ فى التَّآليفِ أَوْجًا ... فات طَوْقَ المُنَى بمَرْمًى بَعيدِ(٥١)

فاسأل الفاطِمىَّ كَمْ من كتابٍ ... زَان تاريخَـهُ وسِفْرٍ فـريدِ ؟(٥٢)

والصَّلاحِىُّ والمماليـــكُ كانوا ... مَوْئِلَ العِلْمِ فى عُصورِ الرُّكُودِ(٥٣)

تلك آثارُهُمْ شُهُودًا عَلَى المَجْـــدِ، ومَاهُمْ بحاجَةٍ لشُهُــودِ(٥٤)

*
* *

---

(٤٧) (الوئيد) : وأد بنته . دفنها حية . وهى وئيد ووئيدة وموءودة . (يقول) : ولجفوة أخلاقهم كانوا يثيرون الحروب عنفا وجهلا ، وكانوا يئدون بناتهم قسوة وحمقا .

(٤٨) (يقول) : أشرق على العرب نور الإسلام فغير حالهم وأبدلهم من الضنك سعادة . ومن الفرقة وحدة ، ومن الجهل علما .

(٤٩) (يقول) : امتد الاسلام إلى الممالك فنشر فيها العدل واعداً من سالم بالمثوبة الحسنة ، متوعداً من عصى بشديد العقوبة .

(٥٠) (يقول) : حرر الاسلام العقول من قيودها ، ودعاها إلى التفكير فى ملكوت الله .

(٥١) الأوج : ضد الهبوط وهو هنا الرفعة والعلو — يقول : لقد بلغت مصر فى العلوم والتأليف الغاية التى جاوزت ما كان مؤملا لها بمسافة بعيدة .

(٥٢) السفر : الكتاب ، يشير إلى عهد الفاطميين وما كان فيه من رقى للعلوم والفنون .

(٥٣) الموئل : الملجأ . الركود : عصور تراجع النهضة العلمية ببغداد — وهو فى هذا البيت يذكر أن مصر كانت ملجأ العلوم والعلماء زمن صلاح الدين وزمن المماليك فى عصور انحطاط النهضة فى بغداد .

(٥٤) يقول : تلك آثار هؤلاء ومآثرهم تشهد بمجدهم وتدل على عظمتهم ، وهم فى الحق ليسوا بحاجة إلى شهود .

اتَّئِـدْ أيّهـا القَصِيدُ قَلِيــلًا أنا أرتاحُ لاتِّئاد القَصــيدِ[٥٥]

وإذا ما ذكرتَ نَهْضَـةَ مِصْرٍ فاملأ الخَافِقَيْنِ بالتَّغْــرِيدِ[٥٦]

ثم مَجِّدْ مُحَمَّــدًا جَدَّ « إِسْمَا عيلَ » واصْعَدْ ماشئتَ في التَّمْجِيدِ[٥٧]

جاء والنَّاسُ في ظَلامٍ من الظُّلْــ ـمِ وعَصْفٍ من الخُطُوبِ شَدِيدِ[٥٨]

حَسَراتٌ للذُّلِّ في كل وَجْـهٍ وسِمَاتٌ للغُلِّ في كلِّ جِيــدِ[٥٩]

فَأَزَاحَ الغِطَــاءَ عنهم فقاموا في ذُهُولٍ، وأَقْبَلُوا في سُمُودِ[٦٠]

وهَدَاهُمْ إلى الحيــاةِ فَسَارُوا في حِمىً من لِوَائِهِ المَعْقُودِ[٦١]

كَمْ بُعُوثٍ للغَرْبِ بَعْدَ بُعُوثٍ وَوُفُودٍ للشرقِ بَعْدَ وُفودِ[٦٢]

---

(٥٥) (اتئد) تمهل وتأن . يطلب الشاعر من القريض الرزانة والاتئاد في الإشادة بذكر مصر لأن في الاتئاد والتروى إظهاراً لما قد يعجز المسرع المتعجل .

(٥٦) (الخافقين) المشرق والمغرب . يقول : انشر ذكر مصر ونهوضها واملأ المشرق والمغرب مغرداً بما هي فيه من رفعة وسمو .

(٥٧) (مجّد) عظم (اصعد ما شئت) أي ترق كما تريد في الإشادة بمجده وتعظيمه . يقول : إذا ذكرت نهضة مصر وتقدمها فاذكر محمد على باشا بالمدح والثناء وعظمه ما شئت فلست ترمى بالغلو والمبالغة فهو معيد نضرتها ومجدها .

(٥٨) (عصف من الخطوب) عصفت الريح اشتدت فهي عاصفة وعاصف (والخطب) الأمر الشديد وجمعه خطوب . يقول : تولى عرش البلاد والناس يخبطون في ظلمات الظلم وتلعب بهم الشدائد والخطوب حتى أظلم عليهم الطريق .

(٥٩) (الغل) واحد الأغلال : وهو طوق من حديد يوضع في رقاب الأسرى وأمثالهم . يقول: جاء محمد علىّ ومصر غارقة في بحار الذل والهوان أسيرة الجور والظلم ترى آثار ذلك في كل وجه وعلاماته في كل عنق .

(٦٠) يذكر « الشاعر » ما كان لمحمد على من فضل في النهوض بالأمة وكشف غمتها . وجمع المصريين على رأيه السديد حتى دهشوا لخروجهم من حال البؤس والشقاء الى حياة العز والكرامة .

(٦١) يقول : إنه هداهم إلى الحياة العاملة فساروا تحت ظل لوائه .

(٦٢) يشير الشاعر إلى البعوث التي أرسلها عاهل مصر إلى أوربا للتعلم . وإلى العلماء الذين استقدمهم للاستفادة منهم .

غَرَسَ الطبَّ فى ثَرَى مُلْكِهِ الخِصْـــبِ، ورَوَّى من دَوْحِهِ كُلَّ عُودِ[٦٣]

وأَتَى بَعْدَهُ المجـــدِّدُ « أَسْمَا عِيلُ » ذُخرُ المُنَى ثِمَالُ الْجُودِ[٦٤]

وَ « فُؤَادٌ » تعيشُ ذِكرَى « فُؤَادٍ » فى نعيمٍ من رَحْمةٍ وخُلُودِ ![٦٥]

رَدَّ مَجْـــداً لِمصْرَ لَوْلاَ نَدَاهُ وَحِجَاهُ ما كانَ بالمَرْدُودِ[٦٦]

كلَّ يوْمٍ لَهُ بنــــاءٌ مَشِيدٌ للمعالى ، إلى بِنَاءٍ مَشِـــيدِ[٦٧]

ما اعْتَلَى الطِبُّ قِمَّــةَ النَّجْمِ إلاَّ بِجَنَاحٍ من سَعْيِهِ المَحْمُودِ[٦٨]

سَعِدَتْ مِصرُ بالجَهَابِذِ فى الطِبْـــبِ، فَكَمْ مِنْ مُحَاضِرٍ وَمُعِيدِ ![٦٩]

وَعَلَى رَأْسِهِمْ أبو الحسن الجَرَّا حِ، مَنْ كَالرَّئِيسِ أَوْ كَالْعَمِيدِ؟[٧٠]

*
* *

(٦٣) يقول : إن محمد على أول من أنشأ مدرسة للطب فى مصر . فاستفاد من عمله هذا جميع المصريين .

(٦٤) (ذخر) : ذخرته من باب منع . إذا أعددته لوقت الحاجة إليه . (والاسم) الذخر . (الثمال) الغياث الذى يقوم بأمر قومه . (المعنى) : انتقل الشاعر الى ذكر اسماعيل باشا الذى تابع أعمال جده وحقق أمانى مصر . ويشير الى ما عرف عنه من السخاء والجود .

(٦٥) يدعو (الشاعر) لذكرى المغفور له الملك (فؤاد) بأن تعيش فى نعيم خالد دائم .

(٦٦) (الندى) الجود والكرم (الحجا) العقل والمراد هنا الرأى والتدبير والعقل السديد .

(٦٧) يشير الشاعر إلى آثاره القائمة . وما أقام من مؤسسات علمية وغيرها .

(٦٨) (المعنى) كان رقى الطب فى مصر إلى هذا الحد العظيم الذى وصل إليه راجعا إلى عنايته وتشجيعه .

(٦٩) الجهبذ : النقاد الخبير . والجمع جهابذ — يذكر الشاعر أن فى مصر أطباء ممتازين ولهم من المساعدين من حذقوا فنهم ومهروا فى صناعتهم

(٧٠) وهو فى هذا البيت يخص بالذكر استاذ الجراحين ورأس النطاسيين على إبراهيم باشا عميد كلية الطب

أَيُّهَا الوَافِدُونَ من أُمَمِ الشَّرْ ... قِ وأَشْبَاله الأُبَاةِ الصِّيدِ[٧١]

اِهْبِطُوا مِصرَ ، كَمْ بِهَا مِن قلوب ... شَفَّهَا حبكم ، وكَم مِنْ كُبُودِ[٧٢]

قَدْ رَأَيْنَا فِى قُرْبِكُمْ يَوْمَ عِيدٍ ... قَرَنَتْهُ المُنَى إِلَى يَوْمِ عِيدِ[٧٣]

إِنَّ مِصرًا لكم بلادٌ وأَهْلٌ ... لَيْسَ فى الْحُبِّ بَيْنَنَا من حُدُودِ[٧٤]

جَمَعَتْنَا الفُصْحَى فما من وِهَادٍ ... فَرَّقَتْ بَيْنَنَا وَلا من نُجُودِ[٧٥]

يَصِلُ الحبُّ حَيْثُ لا تَصِلُ الشَّمْ ... سُ ، ويَجْتَازُ شَامِخَاتِ السُّدُودِ[٧٦]

*
* *

أُمَّةَ العُرْبِ آنَ أَنْ يَنْهَضَ النَّسْ ... رُ ، فَقَدْ طَالَ عَهْدُهُ بالرُّقُودِ[٧٧]

صَفِّقِى بالْجَنَاحِ فى أُذُنِ النَّجْ ... مِ ، وَمُدِّى فَضْلَ العِنَانِ وسُودِى[٧٨]

---

(٧١) اشباله: جمع شبل وهو ولد الأسد — الأباة: جمع أبى: وهو الذى يأنف الذل والصغار . ينادى الشاعر القادمين إلى مصر لحضور المؤتمر نداء الفخور بشجاعتهم وشممهم وعظمتهم

(٧٢) شَفَّها حُبّكم : هز لها وأنحلها : يقول : اهبطوا مصر بين أهلها الذين يخلصون لكم الحب ويضمرون لكم المودة احتراما لا يداخله ريب ولا شك

(٧٣) المُنى : جمع مُنيه وهى ما يتمناه الانسان . إلى يوم عيد : كان افتتاح المؤتمر يوم وقوف الحاج بعرفات — يرحب بالضيوف ويرى أن القرب منهم عيد تسر به النفوس وتطمئن القلوب ويقول إن العيد بمقدمكم قد صادف عيد الأضحى فمصر بكم فى عيدين

(٧٤) إن بلادكم مصر وإن الحب محا الحدود الجغرافية التى بيننا

(٧٥) الفصحى : هى اللغة العربية . الوهاد : جمع وهد وهو الأرض المنخفضة . والنجود : جمع نجد وهو الأرض المرتفعة

(٧٦) يقول : إن الحب لا يعوقه بعد المسافات ولا يقف دونه سد أو حائل .

(٧٧) يستحث الشاعر . الأمم العربية ويدعوها إلى النهوض مشبها إياها بالنسر الجاثم الذى قضى وقتاً طويلا فى رقاد ووجوم

(٧٨) يقول : ارتفعى بأعمالك إلى النجوم وارسلى عنانك تبلغى غاية السبق وتسودى .

وأَعِيدِي حَضَارَةً زانَتْ الدُّنْـــيَا فكم وَدَّتِ المُنَى أَنْ تُعيدِي (٧٩)

إِنَّمَا المَجْدُ أَنْ تُرِيدِي وَتَمْضِي ثُم تَمْضِي سَبَّاقَةً وَتُرِيدِي (٨٠)

لا يَنَالُ العُلاَ سِوَى عَبْقَرِيٍّ راسِخِ العَزْمِ كالصَّفَاةِ جَلِيدِ (٨١)

* * *

قَدْ أَعَدْنَا عَهْدَ العُرُوبَةِ فِي مِصْـــرَ وذِكْرَى فِرْدَوْسِهَا المَفْقُودِ (٨٢)

وَبدأْنَا عَصْراً أَغَرَّ سَعِيداً بِمَلِيكٍ مَاضٍ أَغرَّ سَعِيدِ (٨٣)

قَدْ حَبَاه الشبابُ رأياً وعَزْماً عَلَوِيَّ المَضَاءِ والتَّسْدِيدِ (٨٤)

قام بالأَمْرِ أَرْيَحِيًّا رَشِيداً فَذَكَرْنَا بِهِ عُهُودَ « الرَّشِيدِ » (٨٥)

إِنَّ حُبَّ « الفَارُوقِ » وَهْوَ وَحِيدٌ فِي مَكانٍ مِنَ القلوب وَحِيدِ (٨٦)

---

(٧٩) يذكرها بمجدها القديم وبحضارتها الأولى التى ازدانت بها الدنيا والتى تجيش صدور العرب جميعا أملا فى عودتها إلى الظهور

(٨٠) يقول : لا ينال المجـد إلا بالإرادة القوية ثم بتنفيذ هذه الإرادة وأن تتعدد هذه الإرادة بتعدد الأعمال .

(٨١) العبقرىّ : الكامل من كل شىء والسيد الذى ليس فوقه شىء . الصفاة : الحجر الصلد الضخم .

(٨٢) الفردوس : فى الأصل البستان وهو من أسماء الجنة ويريد بالفردوس المفقود . ما كان للعربية من مجد وحضارة فى أيام ازدهارها .

(٨٣) الأغر : الأبيض من كل شىء .

(٨٤) حباه أعطاه بغير عوض . التسديد : صدق الرمى والاصابة . علوى . نسبة إلى جده العظيم محمد على باشا .

(٨٥) الأريحى : السهل الخلق الكريم . رشيدا : كامل الهداية . والرشيد : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى العظيم زها الاسلام والعلم والأدب فى أيامه .

(٨٦) يقول : إن الفاروق وحيد بين المـلوك بصفاته العالية لذلك خصصت لحبه القلوب فيها مكاناً وحيـدا .

أَلْسُنُ الْعُرْبِ كُلُّهَا دَعَوَاتٌ ضَارِعَاتٌ بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ (٨٧)

أَبْصَرُوا فِي السَّمَاءِ مُلْكاً عَزِيزاً رافعَ الرَّأسِ فَوْقَ صَخْرٍ وَطِيدِ (٨٨)

وَرَأَوْا عَاهِلاً يَفِيضُ جَلالاً مِنْ هُدَى ربِّه العَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨٩)

عَاشَ لِلْمُلْكِ وَالعُرُوبَةِ ذُخْرًا فِي نعيمٍ مِنَ الْحَيَاةِ رَغِيدِ (٩٠)

---

(٨٧) ضرع إلى الله : تذلل .

(٨٨) يقول : إن العرب ملكهم الإعجاب وتوجهوا بالدعاء لنصر الفاروق وتأييده حينما رأوا ملكا عظيما رفيع الشرفات ثابت الدعائم .

(٨٩) العاهل . الملك الأعظم كالخليفة — ختم شاعرنا قصيدته بخير ما يختم به قول وهو أن يحفظ الله المليك للملك الذى يفخر به والقومية العربية التى هو حاميها وراعيها يقول : كانت هذه الدعوات منهم لأنهم رأوا ملكا قد أسبغ عليه رب العالمين ثوبا ضافيا من الهدى والتقوى

(٩٠) يختم القصيدة بالدعاء بحياة المليك وأن يحفظه الله ملجأ للعرب والدين فى نعمة وارفة وعيش ناعم رغيد

الدّعوةُ إلى الوئام

أنشدها الشاعر بين يدى سعد زغلول باشا سنة ١٩٢١

لبَّيْكَ يا مِلْءَ القُلُو بِ وَأَثْبَتَ الأَبْطالِ قَلْبا(١)

نادَيْتَ قَوْمَكَ لِلْحَيا ةِ فَأَقْبَلُوا عَدْوًا وَوَثْبا(٢)

وَرَفَعْتَ صَوْتَكَ وَالقُلُو بُ خَوَافِقٌ وَهَلاً وَرُعْبا(٣)

أَلَّفْتَ بَيْنَ العُنْصُرَيْنِ وَكُنْتَ لِلرَّحْمٰنِ حِزْبا(٤)

---

(١) لبيك : نحن مقيمون على طاعتك مخلصون لك محبون ، والخطاب للمرحوم سعد زغلول باشا . والأبطال : جمع بطل وهو الشجاع ، يقول نحن مقيمون على طاعة الزعيم الذى ملأ قلوب بنى وطنه إكباراً وإعجاباً ، وجمعهم على محبته والإخلاص له بما امتاز به من صفات عالية وبطولة فائقة وثبات على الحق .

(٢) العدو : الجرى . والوثب : الطفر والقفز ، يقول إنك دعوت قومك لما يحييهم وهو الجهاد فى سبيل العزة والاستقلال فسارعوا إلى إجابتك والتفوا حول رايتك .

(٣) خوافق : جمع خافق أى مضطرب . والوهل : الفزع ، والرعب : الخوف . يقول إنك رفعت صوتك مطالباً الأقوياء بحقوق بلادك فى وقت اضطربت فيه القلوب فزعاً وخوفاً ، يصفه بالجرأة والشجاعة ، ويشير إلى ذهابه مع نفر من أصحابه إلى دار العميد البريطانى وإبلاغه صوت الشعب المصرى ، كان ذلك عقب أن وضعت الحرب الكبرى أوزارها فى نوفمبر سنة ١٩١٨ وخرجت منها بريطانيا ظافرة منتصرة ، ولهذا كانت مطالبة سعد باستقلال بلاده فى ذلك الوقت شجاعة ومخاطرة تعرض بسببها للاعتقال والنفى .

(٤) يريد بالعنصرين مسلمى مصر وقبطها . وفى الشطر الثانى اشارة إلى الآية القرآنية الكريمة « أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون » الآية ٢٢ من سورة المجادلة ، ومعنى البيت أن سعداً ألف بين قلوب المصريين وجمعهم على الجهاد فى سبيل العزة والكرامة ، ومثل هذا الجهاد يحبه الله ويرضاه ، وفى اضافة الحزب للرحمن تبشير بالنصر والفلاح

نَبَذُوا الشِّجَارَ وَأَبْدَلُو ... هُ لِمِصْرَ إِخْلاصاً وَحُبّا(٥)

وَتَبَادَرُوا صَوْبَ النَّجا ... ةِ لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ ثَقْبَا(٦)

وَسَعَى الْهِلالُ إِلَى الصَّلِيـ ... بِ وَأَقْبَلَا جَنْباً فَجَنْبَا(٧)

وَالسَّيْفُ مَسْلُولٌ وَسَيْـ ... لُ الْمُرْجِفِينَ يَعُبُّ عَبّا(٨)

وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ وَمِصْـ ... رُ تَرْقُبُ الْقَدَرَ الْمُخَبّا(٩)

فَوَقَفْتَ فَانْحَنَتِ الرُّءُو ... سُ فَكُنْتَ أَعْلَى النَّاسِ كَعْبَا(١٠)

---

(٥) نبذوا : طرحوا وتركوا . والشجار : المنازعة ، يقول إنهم تركوا التنازع والخصام ، وأحلوا محله حب مصر والإخلاص لها ، والمعنى أنهم تحابوا واتحدوا فى نصرة وطنهم على اختلاف مذاهبهم .

(٦) تبادروا : تسارعوا . والصوب : الجهة ، والمعنى أنهم سارعوا إلى الوسائل التى تنجيهم وتعزهم راجين أن يجدوا بها ثغرة ومنفذا ينفذون منه إلى ما يريدون من سلامة الوطن وعزته واستقلاله ، ولا ريب أن الاتحاد ونبذ الشقاق أقوى أسباب النجاة والسلامة .

(٧) يقول إن الهلال سعى إلى الصليب وأقبلا مقترنين مصطحبين ، والمعنى أن مسلمى مصر وقبطها قد اجتمعوا واتفقوا على انقاذ وطنهم وإسعاده . بين الشاعر فى هذا البيت وثلاثة الأبيات قبله فضل سعد فى التأليف بين عناصر المصريين وطوائفهم وأحزابهم ، وجمعهم على نصرة الوطن واعزازه .

(٨) سل السيف : أخرجه من غمده . المرجفون الذين يخوضون فى أخبار الفتن ونحوها . ويعب : يتتابع ويسمع له صخب ، وهذا كناية عن الشدة والطغيان ، يقول ان سيف الأقوياء كان فى ذلك الوقت مسلولا على الرقاب ، وكان المرجفون ينشرون أخبار الفتن ويبثونها بين الناس كالسيل الصاخب المتتابع .

(٩) واجفة : مضطربة . وترقب : تنتظر . والقدر ما يقدره الله ويقضى به . والمخبأ : المستتر ، يقول إن الأرض كانت حينئذ مضطربة ومصر تنتظر مصيرها الذى يخبئه لها القدر ، يشير بذلك إلى اضطراب الأفكار وتبلبلها عقب الحرب الكبرى واتجاه الشعوب الضعيفة إلى مؤتمر فرساى منتظرة تقرير مصيرها والبت فى أمرها .

(١٠) الكعب : العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم ، والمراد بأعلى الناس كعباً أرفعهم شأناً وأعظمهم همة ، يقول إنك وقفت فى هذه الظروف العصيبة تدعو قومك إلى الجهاد فأجابوا دعاءك ، وانحنت لك الرءوس تعظيما واجلالا ، وكنت أعظم الناس همة وأرفعهم شأناً وأسبقهم إلى طلب عزة الوطن والجهاد فى سبيله .

وَخَطَبْتَ بِالصَّوتِ الْجَهِيـــرِ فَمَا امْرُؤٌ إلا وَلَبَّى[١١]

وَبَرَزْتَ كَاللَّيْثِ الْهَصُو رِ دَعَتْهُ أَشْبَالٌ فَهَبَّا[١٢]

كَالسَّيْفِ سُلَّ مِنَ الْقِرا بِ مُثَقَّفَ الْحَدَّيْنِ عَضْبا[١٣]

يا سَــعْدُ أنْتَ لَها إذَا لَهَبُ الجِدَالِ عَلَا وَشَبَّا[١٤]

يا سَــعْدُ أَنْتَ لَها إذَا ما صَرْصَرُ الْأَحْداثِ هَبَّا[١٥]

تَسْعَى إلى بارِيسَ كالْـــمُخْتارِ ضَمَّ إلَيْهِ صَحْبا[١٦]

يا خادِمَ الْوَطَنِ الْأَمِيـ نَ خَدَمْتَهُ شَرْقًا وَغَرْبًا[١٧]

---

(١١) الصوت الجهير : الرفيع العالى . ولبى : أطاع ، يقول إنك خطبت فى الناس بصوتك الجهير فما سمعك إنسان إلا أطاعك وسار على مذهبك ، يصفه بالمقدرة الخطابية من جهارة الصوت ، وبلاغة القول وشدة التأثير .

(١٢) الليث : الأسد . والهصور : القوى الشديد البأس من الهصر وهو الجذب والكسر والدفع . والأشبال : جمع شبل وهو ولد الأسد . وهب : قام وثار . يشبه سعداً بالأسد الهصور دعته أشباله للذود عنها فثار وتقدم للقتال ، يصفه بالشجاعة وشدة البأس .

(١٣) سل : أخرج . والقراب : غمد السيف ، والتثقيف التسوية . والعضب : القاطع ، شبه سعداً بالسيف أخرج من غمده وقد ثقف حداه وأتقنت صناعته فكان عضبا قاطعاً بتاراً .

(١٤) الجدال : شدة المخاصمة . وشبت النار : توقدت . يقول لسعد أنت للخصومة إذا توقدت نارها وارتفع لهيبها تقرع الخصم بالحجة الدامغة والبرهان القاطع ، يصفه بأنه مدره المصريين ومحاميهم الأكبر والمقدم فى اللسان عند الخصومة .

(١٥) الصرصر من الرياح : ما كان شديد الصوت ، أو شديد البرد . والأحداث : نوب الدهر ومصائبه . وهبت الريح : هاجت وثارت ، يقـول إن سعداً رده لقومه وعون لهم على الحادثات الشديدة والنوب الجائحة .

(١٦) يريد بالمختار النبي محمداً صلى عليه وسلم . والصحب : جمع صاحب ، يشبه سعداً وهو يسعى مع أصحابه أعضاء الوفد المصرى إلى باريس سنة ١٩١٩ لإسماع المؤتمرين فيها صوت مصر وإعلاء كلمتها وإظهار حقها بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يجاهد مع أصحابه لإعلاء كلمة الله

(١٧) يقول إن سعداً خادم لوطنه أمين أعلى أمره وأظهر حقه ونشر قضيته حتى اكتسب عطف الأحرار على مصر فى كل مكان ، يشير بذلك إلى جهاد سعد فى البلاد الأوربية ، ثم إرساله بعض أصحابه لبسط قضية مصر فى البلاد الأمريكية حتى وجه أفكار الناس إلى مصر ، وحملهم على الاهتمام بالقضية المصرية .

كُنْ لِلْوِزَارَةِ سَاعِـداً ... وَتَوَحَّــدَا رَأْياً وَلُبَّا[١٨]

سَــعْدٌ وَعَـدْلِى يَعْمَـلَا ... نِ فَمَا أَجَلَّ وَما أَحَبَّا[١٩]

سَــعْدٌ وَعَـدْلِى يَعْمَـلَا ... نِ فَلا نَخَافُ الْيَوْمَ خَطْبَا[٢٠]

صِـــنْوَانِ فِى حُبِّ الْبِـلا ... دِ وَنِيلِهَا الْمَيْمُونِ شَبَّا[٢١]

كُونا يَدًا فِى الْحَادِثَا ... تِ وَذَلِّلا ما كَانَ صَعْبَا[٢٢]

دَامَ الْوِفاقُ وَدامَ سَــعْــدٌ صَائِبَ الآراءِ نَدْبَا[٢٣]

الشَّعْبُ أَنْتَ فَمَنْ رَآ ... كَ فقدْ رَأَى فَرْدًا وَشَعْبَا[٢٤]

---

(١٨) يريد بالوزارة وزارة عدلى يكن باشا سنة ١٩٢١ وكانت تتأهب لمفاوضة الحكومة الإنجليزية فى حل القضية المصرية معتمدة على ثقة سعد وتأييده . والساعد : ما بين المرفق والكف ، سمى ساعداً لأنه يساعد الكف فى بطشها وعملها . واللب : القلب ، يطلب إلى سعد أن يؤيد الوزارة العدلية ويتحد معها رأياً وقلبا حتى تكلل المفاوضة بالنجاح ، وقد كرر هذا المعنى فى الأبيات الآتية وحض الوفد والوزارة على التعاون ، وأشاد بفضلهما جميعاً ، وفضل الوفاق ، وذلك لأن سعداً فى ذلك الوقت كان يطلب مفاوضة الإنجليز باعتباره زعيما للشعب المصرى ووكيلا عنــه فى طلب الحرية والاستقلال ، وكانت الوزارة تبغى الانفراد بالمفاوضة لأنها هيئة رسمية تفاوض هيئة رسمية مثلها وهى الحكومه الانجليزية .

(١٩) أجل : أعظم ، يقول ما أعظم اشتراك سعد وعدلى فى العمل لخير الوطن وإسعاده ، وما أحب ذلك إلى نفوس المصريين ! !

(٢٠) الخطب النازلة والأمر الشديد ، والمعنى أن اشتراك سعــد وعدلى فى العمل قوة عظيمة تطمئن المصريين وترد عنهم الخطوب .

(٢١) الصنو : الأخ الشقيق . والميمون : المبارك . وشب : نشأ وترعرع ، يقول إن سعداً وعدلى أخوان متشابهان نشآ فى حب البلاد ونيلها المبارك ، وشبا على الاخلاص والوفاء

(٢٢) الحادثات : نوب الدهر ونوازله . وذلله : ألانه وسهله ويسره ، يطلب إليهما أن يتحدا فى الحادثات ويذللا الصعاب بقوة اتحادهما .

(٢٣) صائب : اسم فاعل من صاب الغرض أى أصابه ، والآراء الصائبة السديدة المبرأة من الخطأ . ورجل ندب : خفيف فى الحاجة نجيب ، يدعو بدوام الائتلاف والوفاق ، ودوام سعد الندب ذى الرأى الصائب والتدبير المحكم والبصيرة والحذق .

(٢٤) خص الشاعر فى هذا البيت سعداً بالزعامة والسيادة وتمثيل إرادة الشعب وحسن النيابة عنه ، فهو يقول أنت وحدك الشعب فمن رآك رأى فيك شخصا واحداً وشعبا ممثلا فى ذلك الشخص

وزارة سعد

ألقيت أمام سعد زغلول باشا حينما زار وزارة المعارف سنة ١٩٢٤ وكان رئيسا للوزراء

اليَوْمُ يومُكِ مِصْرُ   لله حَمْدٌ وَشُكْرُ (١)
فَلَنْ يَرُوعَكِ رِقٌّ   وَلَنْ يَمَسَّكِ أَسْرُ (٢)
وَكُلُّ ما فيكِ صَفْوٌ   وَكُلُّ مَنْ فِيكِ حُرٌّ (٣)
سَعْدٌ يَحُوطُ بَنِيهِ   وَهْوَ الأَعَزُّ الأَبَرُّ (٤)
دَعَتْهُ مِصْرُ فَلَبَّى   وَالوَجْهُ يَعْلُوهُ بِشْرُ (٥)
فِي سَاعَةٍ لَيْسَ فِيهَا   مِنَ الفِرَارِ مَفَرُّ (٦)
المَوْتُ يَحْصُدُ حَصْداً   وَالسِّجْنُ لِلْحُرِّ قَبْرُ (٧)
والأَرْضُ تَهْتَزُّ رُعْباً   فَمَا لَهَا مُسْتَقَرُّ (٨)

(١) اليوم يومك ، أى هذا يوم مجدك الذى تفخرين به على الأيام .
(٢) يروعك : يخيفك ويزعجك . والرق : العبودية . والأسر القيد .
(٣) صفو . أى خالص من كل ما يشوبه مما يكدر .
(٤) يحوط بنيه : يشملهم برعايته ويحفظهم مما ينوبهم .
(٥) لبي : أجاب ، يقول : إنه أجاب دعوة مصر مستبشراً مسرعاً إلى نصرتها
(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى قيام سعد بالمطالبة بحق مصر فى وقت كان يحجم غيره عن التقدم ويولى خوفا .
(٧) يصف حال مصر إبان ثورتها سنة ١٩١٩
(٨) مستقر : استقرار واطمئنان .

يَسْرِى مَعَ اللَّيْلِ هَمٌّ وَيَخْنُقُ الشَّمْسَ ذُعْرُ[٩]

تَحَدُّثُ النَّاسِ هَمْسٌ كَأَنَّمَا هُوَ فِكْرُ[١٠]

وَمِصْرُ تَرْقُبُ سَطْراً لِلْمَــوْتِ يَتْلُوهُ سَطْرُ[١١]

إِذَا نِدَاء جَهِــيرٌ يَهُزُّ مِصْرَ وَزَأْرُ[١٢]

زَأْرُ الْهِزَبْرِ الْمُفَدَّى سَعْدٍ وَنِعْمَ الْهِزَبْرُ[١٣]

دَعَوْتَ قَوْمَكَ حَتَّى أَسْمَعْتَ مَنْ فِيهِ وَقْرُ[١٤]

وَقُمْتَ فِيهِمْ خَطِيباً لَهُ عَلَى الْقَوْلِ أَمْرُ[١٥]

مُفَصَّلَاتٌ قِصَــارٌ لَهَا رَنِينٌ وَنَبْرُ[١٦]

وَحِكْمَةٌ فِي بَيَانٍ إِنَّ الْبَيَانَ لَسِحْرُ[١٧]

قَلْبٌ أَبِيٌّ شَمُوسٌ عَلَى الْخُطُوبِ وَصَدْرُ[١٨]

---

(٩) أى إذا جن الليل عم الهم الناس وسادهم الحزن على ما كان فى يومهم . والشمس تكاد تحتجب ذعراً وخوفاً مما يقع نهاراً من أهوال .

(١٠) الهمس : الصوت الخفى يقول إن حديث الناس كان همساً خوفا من عواقب ما يقولون حتى كأن الحديث فكر لا يعبر عنه صوت

(١١) أى أن الموت والفناء كتب عليها . فهى ترى كل يوم سطراً بعــد سطر من هذا القضاء المكتوب .

(١٢) الجهير : المرتفع . والزأر : صوت الأسد وبه شبه صوت الزعيم الراحل .

(١٣) الهزبر : الأسد .

(١٤) الوقر : الصمم .

(١٥) له على القول أمر : أى أنك كنت مالكا لناصية القول لا يستعصى عليك منه شىء .

(١٦) مفصلات قصار : أى كلمات بينــة الدلالة وافية بالإبانة على قصرها . والنبر : ارتفاع الصوت . ويريد برنينها ونبرها : أثرها النافذ إلى الأسماع والقلوب .

(١٧) الحــكمة : القولة الصادقة ذات الرأى الصائب ، والبيان : حسن القول وجمال صياغته .

(١٨) الأبى : الذى يأبى الدنية كبرا . وشموس على الخطوب ، أى لا يذل لها ولا يخضع .

وَعَزْمَةٌ مِنْ حَـدِيدٍ لها عُـرَامٌ وَأَزْرُ (١٩)

أَبَتْ عَلَى الدَّهْرِ لِينًا سِيَّانِ عُسْرٌ وَيُسْرُ (٢٠)

بَانِي الجِبَــالِ بَنَاهَا مَنِيعَةً لا تَخِــرُّ (٢١)

فلم يَكُنْ غيرَ سعدٍ لمصرَ رِدْءٌ وذُخْرُ (٢٢)

ولم يكُنْ غيرَ سَعْدٍ للناس وِرْدٌ وذِكْرُ (٢٣)

جاءوا إليكَ سِراعًا لهم أزيزٌ وهَدْرُ (٢٤)

الشيـخُ يتـلوه قَسٌّ والقَسُّ يتلوه حِبْرُ (٢٥)

ودِينُهم حُبُّ مِصْرٍ وغيرُ ذلكَ كُفْرُ (٢٦)

فى كلِّ قلبٍ يقينٌ وحسنُ عَزْمٍ وصَبْرُ (٢٧)

وليس فى الكفِّ بيضٌ وليس فى الكفِّ سُمْرُ (٢٨)

---

(١٩) العرام : الشدة والحدة . والأزر : القوة .

(٢٠) يقول : إن عزيمته لم تخضع للدهر لأنه لا يبالى برخائه ولا بشدته .

(٢١) لا تخر : لا تقع ولا تتزعزع . جعل عزمته كالجبال قوة وثباتا لا تضعف أمام الشدائد .

(٢٢) الردء : العون والناصر . والذخر : ما تعده لوقت الحاجة .

(٢٣) الورد : ما يتلوه الانسان ويردده . جعل اسم سعد كالورد لا تفتر الألسن عن ذكره .

(٢٤) الأزيز : صوت القدر عند غليانها . والهـدر : صوت الرعد والفحل . ويريد بهما ارتفاع الأصوات بالهتاف له وفى تشبيه أصواتهم بالأزيز والهدر دليل على كثرة وفودهم .

(٢٥) يشير بالشيخ والقس والحبر الى اجتماع المسلمين والمسيحيين واليهود تحت رايته .

(٢٦) يقول : إن عقيدتهم اجتمعت على حب مصر وعلى أن كل نكول عن نصرتها كفر وجحود لحقها .

(٢٧) يقول : إن عدتهم كانت اليقين بعدالة حقهم وصـدق العزم فى المطالبة به والصبر على ما يلقون فى ذلك من شدائد .

(٢٨) البيض : السيوف . والسمر : الرماح . أى إنهم كانوا عزلا من السلاح لا يريدون حربا ولكن يطلبون حقا .

فَقَدْتَهُمْ نحوَ نَخْرٍ لِمصرَ يتلوه نَخْرُ (٢٩)

رُوحٌ من اللهِ جاءت من السماءِ ونَصْرُ (٣٠)

ونَهْضَةٌ كان فيها للهِ قَبْلَكَ سِرُّ (٣١)

سِرْ بالسَفِينَةِ هَوْناً فليس ثَمَّةَ صَخْرُ (٣٢)

البحرُ صافٍ أمينٌ وأنتَ بالسَفْرِ بَرُّ (٣٣)

تَعِيشُ مِصْرُ وتبقَى فقُرَّةُ العَيْنِ مِصْرُ (٣٤)

---

(٢٩) كانوا جندك فقدتهم بحسن رأيك من نخار إلى نخار .

(٣٠) يقول : إن فوزك كان من توفيق الله وجميل رعايته .

(٣١) يقول : إن هذه النهضة لم تبلغ ما بلغت إلا بسر من ارادة الله وعونه .

(٣٢) هونا : أى سيرا هادئا لينا . أى أن المستقبل أمامك موات لا عقبات معه .

(٣٣) السفر : المسافرون ويريد بهم المصريين . وبر : وفى بهم حريص عليهم .

(٣٤) يدعو لمصر بأن تعيش وتبقى لأنها قرة عين المصريين وموطن عزهم ومجدهم .

يا أبا الأمة

تهنئة سعد زغلول باشا من خطر العدوان عليه وقد ألقيت هذه القصيدة فى حفل حاشد فى ٢١ من يوليه سنة ١٩٢٤ .

يَا أَبَا الأُمَّةِ يا مَنْ ذِكْرُهُ   مَلأَ الدُّنْيَا حَدِيثاً عَطِرَا(١)

هَزَّ مِصْرًا نَبَأٌ فاضَتْ لَهُ   عَبَرَاتُ الْقَوْمِ تَجْرِى مَطَرَا(٢)

هُرِعُوا نَحْوَكَ كَالْبَحْرِ إِذَا   سُجِّرَتْ أَمْوَاجُهُ أَوْ زَخَرَا(٣)

بَيْنَ شَكٍّ وَيَقِينٍ قاتِلٍ   يَنْشُرُ الْخَوْفَ وَيَطْوِى الْحَذَرَا(٤)

---

(١) الذكر : الصيت والثناء والشرف . وعطر : مضمخ بالطيب معطر يمدح سعداً بأنه أبو الأمة المصرية ، والزعيم العظيم الذى ملأ صيته الدنيا حديثاً معطراً بالثناء

(٢) النبأ : الخبر . وفاضت : كثرت حتى سالت . والعبرات : جمع عبرة وهى الدمعة ، يقول إن نبأ العدوان على سعد قد روّع مصر وحزنها ففاضت دموع أهلها تجرى كالمطر ، وذلك لجلال شأنه وعظم قدره وشرف منزلته واجتماع القلوب إلى حبه

(٣) هرعوا : أعجلوا وحملهم النبأ العظيم الهائل على الإسراع . وتسجير الماء : تفجيره وزخر : طما وارتفع وامتلأ ، يقول إن هذا النبأ الهائل قد أفزعهم وحزنهم وأعجلهم إليك وحملهم على الإسراع نحوك كأنهم البحر الزاخر الطامى قد سُجرت أمواجه وجرت مياهه ، يشير بذلك إلى ما كان يومئذ من ترك الناس أعمالهم وبلدانهم ومسارعتهم إلى حيث الزعيم المحبوب ليطمئنوا عليه، وفى ذلك تصوير بليغ لشدة اهتمام الناس بسعد وعظم منزلته فى نفوسهم

(٤) الطى : ضد النشر . والحذَر : الاحتراز والتوقى . يقول : إن الناس لما بلغهم نبأ الاعتداء على سعد وهرعوا إليه كالبحر الزاخر المسجور كانوا بين شك فى صحة ذلك النبأ ، ويقين يحمل إليهم الهم القاتل ، وينشر على وجوههم الخوف والوجل ، ويطوى فى نفوسهم الاحتراز والتوقى ، والمعنى أن الناس لما جاءهم هذا الخبر اشتد وقعه فى نفوسهم فكانوا بين شاك مرتاب فيه يفزع بآماله إلى الكذب ، ومصدق يكاد يقتله التصديق وقد أظهر الخوف من عواقب المصيبة ، وطوى التوقى من صروف الدهر والحذر منها لأن المصائب بعد هذه الكارثة أصبحت لديه شيئاً هيناً وأمراً أمَما .

بِوُجُوهٍ مَرَّةً آمِـــلَةٍ وَهْيَ حيناً باسِراتٌ كَدَرَا (٥)

تَرتَجِي الرَّحْمنَ فِي مِحْنَتِهَا ثُمَّ تَخْشَى فِي الْمُصابِ الْقَدَرَا (٦)

كُلُّهُمْ يَسْأَلُ عَنْ سَعْدٍ وَمنْ عَيْنِهِ ماءُ الشُّئُونِ انْهَمَرَا (٧)

إِن سَعْداً غَرَسَ النَّبْتَ وَقَدْ شاءَ رَبِّي أَنْ يَذُوقَ الثَّمَرَا (٨)

كُلَّما رامُوا بِسعْدٍ ضَرَراً صانَهُ اللهُ وَكَفَّ الضَرَرَا (٩)

إِنَّ سَيْفاً فِي يَمِينِ اللهِ قَدْ هَزَّهُ بارِئُهُ لَنْ يُكْسَرَا (١٠)

عِشْ لِمِصْرٍ وَزَراً يَكلَؤُهَا لَمْ نَجِدْ غَيْرَكَ فِيها وَزَرَا (١١)

---

(٥) باسرات : جمع باسرة أى عابسة . والكدر : ضد الصفو ، والمراد بالكدر هنا الغم والحزن ، يقول : إن الناس أقبلوا على منزل سعد بوجوه يبسطها الأمل مرة ويعبسها الكدر مرة أخرى .

(٦) المحنة : البلية التى يمتحن بها الناس . والمصاب : الاصابة . والقدر : ما يقدره الله تعالى ويقضى به ، يقول : إن الناس يرجون من الله فى هذه المحنة سلامة سعد ، ثم هم يخشون فى مصابه قدر الله ، فهم بين رجاء وخوف .

(٧) الشئون : مجارى الدموع إلى العين واحدها شأن . وانهمر : انصب وسال . يقول : إن كل فرد من الناس يسأل عن صحة سعد وحالته ، والدموع تنهمر من عينيه حنانا وإشفاقا ، وهذا تصوير لأسمى عواطف المحبة والاخلاص والمودة التى لا تكون إلا بين المرء وولده أو أهله الأدنين .

(٨) المعنى أن سعداً غرس فى قلوب الناس محبته ببره وإحسانه وحسن دفاعه عنهم واحتماله الأذى فى سبيل عزهم ، وقد شاء الله تعالى أن يذوق ثمرة غرسه فرأى شدة اهتمامهم بأمره وحدبهم عليه فى هذه المحنة وغيرها .

(٩) رام الشىء : أراده وطلبه . وصانه : حفظه . وكف : منع ، يقول : إن سعداً ملحوظ بعناية الله تعالى محوط بحفظه وصيانته فكلما رام له خصومه ضرراً حفظه الله ووقاه ذلك الضرر .

(١٠) بارئه : خالقه . يقول إن سعداً سيف فى يد الله تعالى قد سلطه على أعدائه ، وسيف الله لا ينثلم ولا ينكسر ، شبه سعداً بالسيف ، وجعله فى يمين الله أى فى حفظه ورعايته . فالنصر مكفول به ، ولن يصيبه انثلام ولا تكسر

(١١) الوزر : المعقل والملجأ والمعتصم . ويكلؤها : يحفظها ، يدعو أن يعيش سعد لبلاده حصناً يعصمها من السوء ، ومعقلا يحفظها من الشر ، ويقول إننا لم نجد فى مصر غير سعد نلجأ إليه فى الشدائد ونعتمد عليه فى دفع النكبات ، والمعنى أنه قائد أبطالها وزعيم مجاهديها وملهمهم الرأى والعزم

أَنْتَ مِصْرٌ ، عِشْ لِمِصْرٍ إِنَّهَا ... بِكَ تَحْيَا وَتَنَالُ الْوَطَرَا (١٢)

بَطَلٌ أَيْقَظَ مِصْراً بَعْدَ مَا ... كَادَ يُرْدِي أَهْلَهَا طُولُ الْكَرَى (١٣)

بَعَثَ اللهُ بِهِ فَانْبَعَثَتْ ... رُسُلُ الْآمَالِ تَتْرَى زُمَرَا (١٤)

وَطَوَى اللهُ بِهِ عَهْداً مَضَى ... تَهْلَعُ النَّفْسُ لَهُ إِنْ ذُكِرَا (١٥)

قَادَ جَيْشاً مِنْ قُلُوبٍ حَوْلَهُ ... خَاضِعَاتٍ إِنْ نَهَى أَوْ أَمَرَا (١٦)

تَرْكَبُ الصَّعْبَ إِلَى مَرْضَاتِهِ ... وَتُلَاقِي فِي هَوَاهُ الْخَطَرَا (١٧)

---

(١٢) الوَطر : البغية والحاجة ، يقول إن سعداً مصر ، والمراد أنه أيقظها ونفخ فيها من روحه وهمته ، ثم يدعو أن يعيش مصدر قوة لبلاده فإنها بجهاده تحيا وتقوى وتدرك بغيتها من الحرية ولاستقلال

(١٣) البطل : الشجاع . ويُرْدِي : يهلك . والكَرَى : النعاس ، يقول : إن سعداً زعيم شجاع نبه المصريين من رقادهم ، وأيقظهم من سباتهم بعد أن كاد يهلكهم طول الكرى ، أي طول الإقامة على الضيم والغفلة عن الحقوق الضائعة والقعود عن الجهاد الذى يرفع شأن الوطن ويعيد إليه عزته .

(١٤) تترى : متواترة متتابعة . والزمر : الجماعات ، واحدتها زمرة ، يقول : إن الله تعالى بعث سعداً لإنهاض أمته وحضها على الكفاح والجهاد وطلب العزة والكرامة فانبعثت به رسل الآمال قوية كثيرة متتابعة تبشر المجاهدين بالفوز والفلاح ، جعل الآمال فى حياة العز والطموح إلى العلا رسلا تدعو إلى الجهاد والعمل المثمر .

(١٥) العهد : الزمان . وتهلع : تجزع أشد الجزع ، والجزع نقيض الصبر : يقول : إن الله طوى بسعد زمناً تحزن نفوس المصريين حزناً شديداً لذكراه ، والمعنى أن النهضة الوطنية السياسية الكبرى التى دعا سعد إليها وحمل رايتها قد فصلت بين عهدين متباينين ، وقد بلغ من تنكر المصريين للعهد الأول أنهم يجزعون لمجرد ذكره .

(١٦) المعنى أن سعدا قد ألف بين قلوب المصريين بعظمته وبطولته ، وحشدهم حول رايته ، وجمعهم على محبته ، وقادهم إلى سبيل العز والحياة الطيبة الكريمة ، فهم يطيعونه طاعة الجيش لقائده ويخضعون لأمره ونهيه خضوع حب وإجلال .

(١٧) المرضاة : الرضا . والهوى : الحب . والخطر : الإشراف على الهلاك وخوف التلف والمراد الهلاك والتلف . يقول : إن المصريين يركبون الصعب من الأمور لبلوغ رضا سعد ، ويلاقون الهلاك والتلف فى سبيل حبه وتأييده ، والمعنى أن دعوة سعد قد أثرت تأثيراً عظيما فى قلوب الناس فهم فى سبيل رضاه وحبه وتأييده يركبون أشق الأمور . بَين الشاعر فى هذا البيت والأبيات قبله عظمة سعد وبطولته ، وفضله على أمته ، ومكانته فى النفوس ، وسيهجو المعتدى الأثيم فى البيتين الآتيين ، ثم يختم القصيدة بتهنئة سعد والأمة بنجاته ، والدعاء له وللمليك بالحياة الطيبة الرفيعة .

شَلَّ زَنْدٌ قَدْ رَمَى زَنْدَ الْعُلاَ ... وَحَمَى اللهُ الرَّئِيسَ الأَكْبَرَا [١٨]

مَحَقَ اللهُ أَبَا لُؤْلُؤَةٍ ... وَوَقَى مِصْرًا فَأَبْقَى عُمَرَا [١٩]

إِنَّ مَنْ يَحْرُسُهُ بَارِئُهُ ... لا يُبَالِي بِالرَّدَى إِنْ خَطَرَا [٢٠]

فَهَنَاءً بِنَجَاةٍ كَشَفَتْ ... غُمَّةَ الْقُطْرِ وَطَابَتْ أَثَرَا [٢١]

عَاشَ سَعْدٌ وَالْمَلِيكُ الْمُرْتَجَى ... مَوْئِلُ الأُمَّةِ فِي أَسْمَى الذُّرَا [٢٢]

---

(١٨) شلت اليد تشل شللا من باب تعب إذا فسدت عروقها فبطلت حركتها . والزند : موصل طرف الذراع فى الكف ، والمراد اليد . والمراد حفظه وصانه ، يدعو بالشلل على الجانى ، وخص بالذكر يده لأنها أداة العدوان ، ويدعو للرئيس الأجل الأعظم بحفظ الله تعالى وصيانته .

(١٩) محق : محا وأهلك . وأبو لؤلؤة فيروز المجوسى عبد المغيرة بن شعبة وكان قد قتل غدراً أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، طعنه بخنجر وهو قائم يصلى سنة ٢٣ هـ . شبه الشاعر سعداً بعمر بن الخطاب والمعتدى عليه بأبى لؤلؤة ، ثم قال إن الله تعالى محق هذا المعتدى وأبطل عمله وخيب سهمه ، وحفظ مصر وصانها فأبقى لها عمرها ، ولا شك أن أحوال الحادثتين متشابهة ، ولهذا جاء التشبيه صادقا رائعا ، فسعد كان كعمر طيب السيرة ملأ قلوب الناس حبا وإعجابا وإجلالا ، والمعتدى كان كأبى لؤلؤة أثيما ممقوتا خارجا على إجماع الناس ، وقد اشتد اهتمام المصريين بسعد كاهتمام المسلمين بعمر .

(٢٠) البارىء : الخالق وهو الله جل وعلا . ولا يبالى : لا يكترث ولا يهتم . والردى : الهلاك . وخطر تحرك واهتز والمراد أتى ، يقول إن من يحميه حفظ الله تعالى وحراسته لا يهتم بالردى إذا خطر ولا يكترث للخطب إذا نزل ، والمعنى أن صيانة الله وحمايته ترد عن الإنسان الشر والأذى والعدوان أو المعنى أن من يعتمد على الله عز وجل ويستمد منه التأييد والصيانة يستشعر على الدوام الشجاعة وطمأنينة النفس فهو لا يبالى بالخطوب ولا يهتم بالكوارث .

(٢١) الغمة : الكربة والغم الشديد ، يهنىء سعداً بنجاته التى كشفت عن البلاد ما كان يغشيها من كرب وغم شديدين ، وتركت فى النفوس أثراً طيبا جميلا .

(٢٢) موئل : ملجأ : وأسمى : اسم تفضيل من السمو وهو الارتفاع والعلو . والذرا : جمع ذروة وهى من كل شىء أعلاه ، يدعو بالحياة الطيبة الرفيعة المرحوم سعد زغلول باشا ثم المغفور له الملك فؤاد بن اسماعيل ملاذ الأمة وموئلها ومعقد رجائها وملتقى آمالها .

تمثال سعد

احتفت الحكومة المصرية برفع الستار عن تمثال سعد زغلول باشا بالقاهرة والاسكندرية فى صيف سنة ١٩٣٨

إمْلَإِ الْأُفْقَ مِنْ سَنًا وَسَنَاءِ   وَتَرَفَّقْ بِهَامَةِ الْجَوْزَاءِ(١)

وَاسْمُ نَحْوَ السَّمَاءِ كَالْمَثَلِ الْأَعْـلَى تَجَلَّى مُحَلِّقًا فِى السَّمَاءِ(٢)

تَجْتَلِيكَ النُّفُوسُ طَالِعَ سَعْدٍ   وَتَرَاكَ الْعُيُونُ لَمْحَ رَجَاءِ(٣)

رَافِعٌ رَأْسَهُ يَشُقُّ بِهِ السُّحْـبَ فَتَمْضِى فِى رَهْبَةٍ وَحَيَاءِ(٤)

شَمَمٌ عَافَ أَنْ يَعِيشَ عَلَى الْأَرْ   ضِ فَفَازَتْ بِهِ طِبَاقُ الْجِوَاءِ(٥)

---

(١) سنا : ضوء . سناء : رفعة وشرف . هامة : رأس كل شىء وجمعه الهام . الجوزاء : برج فى السماء — أيها التمثال الذى يطاول بعلوه السماء ، أفض على الدنيا من نورك ورفعتك وارفق برأس الجوزاء فانك فى علوك تقف فوقه

(٢) اسمُ : اعل . المثل الأعلى : الحد الأقصى للكمال فى كل شىء . تجلى : ظهر . محلقا: مرتفعا . طاول السماء فى عليائها متجلياً فى هذا الفضاء برفعتك ، وارتفع كالمثل الأعلى ترنو إليه النفوس من كل صوب .

(٣) تجتليك : تستبينك وتراك . طالع سعد : فأل سعود . لمح رجاء : بارقة أمل . تستبينك النفوس فأل سعود للبلاد إذ أنك عنوان حريتها ، وتراك العيون بارقة أمل لها فى مستقبلها السعيد .

(٤) تمضى : تسير . رهبة : خوف . يعلو التمثال علواً كبيراً ويكاد يشق السحب فتسير خائفة مستحيية من جلاله وعظمته .

(٥) الشمم : الأنفة والإباء . عاف : كره وملّ . طباق : طبقات . الجواء : جمع جو . ذلك الإباء الذى اشتهر عن صاحب التمثال قد مل الاقامة على الأرض فاتخذ تمثاله الجو مسكنا .

مِنْ سِوَى ذِى الْمَضَاءِ وَالْهِمَّةِ الشَّمَّـــاءِ أَوْلَى بِالْقِمَّةِ الشَّمَّاءِ ؟[٦]

نَاظِرٌ يَعْـبُرُ الْوُجـودَ بِلَحْظَيْـــهِ فَيَجْتَازُ مُسْتَسِرَّ الْخَفَاءِ[٧]

تَتَجَـلَى لَهُ الْحَيَاةُ سُـطُورًا مِنْ ضِيَاءٍ لَا مِنْ حُرُوفِ الْهِجَاءِ[٨]

وَيَرَى مِنْ وَرَائِهَـا كُلَّ سِرٍّ جَلَّ مَكْنُونُهُ عَنِ الْإِفْشَاءِ[٩]

وَاقِفٌ كَالْخَطِيبِ فَانْتَبَـهَ الشَّرْ قُ وَمَدَّ الْأَعْنَاقَ لِلْإِصْغَاءِ[١٠]

رُبَّ صَمْتٍ مِنَ الْبَيَانِ رَهِيبٍ حُرِمَتْـهُ مَقَـــاوِلُ الْبُلَغَاءِ[١١]

وَإِذَا جَلَّتِ الْمَعَانِى تَسَامَتْ عَنْ قُيُودِ الْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ[١٢]

يَتَأَبَّى السَّيْلُ الَّذِى يَصْدَعُ الْأَجْبَـــالَ أَنْ يَحْتَوِيهِ جَوْفُ إِنَاءِ[١٣]

---

(٦) المضاء : النفاذ والإرادة القوية . الهمة : العزم القوى . الشماء : العالية . القمة : من كل شيء أعلاه — ليس بين التماثيل ما هو أحق بالارتفاع إلى أعلى الذرا من هذا التمثال ؛ إذ كان صاحبه ذا إرادة قوية وهمة عالية .

(٧) يعبر : يجتاز . اللحظ : مؤخر العين . مستسر : مستتر . يتراءى لمن يرى التمثال أن سعداً الممثل فيه ينظر إلى الوجود نظرات صادقه فيعرف خفايا الأمور .

(٨) تتجلى : تتكشف وتظهر . يخيل لمن يرى التمثال ويرى نظراته الثاقبة أن معضلات الحياة ومشكلاتها تتكشف له واضحة جلية كأنها سطور من نور لا حروف فى كتاب مسطور .

(٩) جل : عظم واستعصى . مكنونه : مستوره . ويرى سعد الممثل فى تمثاله من وراء الحياة أسراراً عظمت أن تعرف وتذاع .

(١٠) التمثال يمثل سعدا فى موقف الخطيب فنبه ذلك أمم الشرق فأقبلت تصغى إليه وتمد أعناقها

(١١) رهيب : عظيم أو مؤثر . مقاول : جمع مقول . وهو القائل المجيد . قد يكون الصمت أبلغ فى الإبانة وأشد فى التأثير من بيان أفصح البلغاء .

(١٢) جلت : عظمت . تسامت : تعالت وعظمت

(١٣) يتأبى : يمتنع . يصدع : يشق . الأجبال : جمع جبل . يحتويه : يجمعه . إذا كان ما يجول بالخاطر من المعانى عظيماً ساميا صار من المتعذر على الإنسان أن يجد لها من الألفاظ ما يترجم عنها ؛ كالماء الكثير الذى يشق الجبال ويجرفها لا يمكن أن يحبس فى إناء أو يصد جريانه .

وَإِذَا لَمْ تَعِ الْمَعَانِى فَنَقِّبْ ... تَجِدِ الْعَيْبَ كُلَّهُ فِى الْوِعَاءِ(١٤)

بَيْنَ مَعْنًى قَزْمٍ يَجُرُّ رِدَائَيْـــهِ ، وَمَعْنًى ضَخْمٍ قَصِيرِ الرِّدَاءِ(١٥)

رُبَّ فِكْرٍ فِى النَّفْسِ وَهْوَ مُضِىءٌ ... أَخْمَدَتْهُ فَهَاهَـــةُ الْفَأْفَاءِ(١٦)

* * *

كَانَ فِى مَوْتِهِ مِنَ الْخُلْدِ مَعْنًى ... فَوْقَ مَعْنَى الْحَيَاةِ وَالْأَحْيَاءِ(١٧)

عِشْتَ حُرًّا ، فَكَانَ خَيْرَ قَرِينٍ ... لَكَ بَعْدَ الْحَيَاةِ طَلْقُ الْهَوَاءِ(١٨)

تَزْدَهِى الطَّيْرُ بِالزَّعِيمِ وَتَهْفُو ... بِجَنَاحَيْنِ مِنْ هَوًى وَوَفَاءِ(١٩)

كُلَّمَا غَنَّتِ الْبِلَادُ بِسَعْدٍ ... رَدَّدَتْ فِى السَّمَاءِ لَحْنَ الْغِنَاءِ(٢٠)

وَهْوَ عَالٍ كَذِكْرِهِ ، مَلَأَ الْأَرْ ... ضَ ، وَأَلْوَى بِعَاصِفَاتِ الْفَنَاءِ(٢١)

---

(١٤) لم تع : لم تستبن . نقب : ابحث . الوعاء : الاناء . إذا لم تظهر لك المعانى سافرة جلية فسبب ذلك — لو بحثت — الأساليب الملتوية والألفاظ الغامضة

(١٥) قزم : قصير . الرداء : الثوب . فأحيانا تجد المعنى القليل يعبر عنه بألفاظ كثيرة لا يقتضيها المقام فتكون لغوا ، وطوراً تلقى المعنى العظيم يعبر عنه بألفاظ لا توضحه فيظل غامضا

(١٦) أخمدته : أخفته . فهاهة : عىّ . الفأفاء : مردد الفاء فى كلامه من العى . كثيراً ما تكون المعانى واضحة جلية فى النفس ولكن العيّ الألكن يجعلها بالتواء أساليبه خفية غامضة

(١٧) الخلد : البقاء والدوام . معنى : المراد نوع أو رمز . إن مات سعد بجسمه فقد حي بذكراه المجيدة حياة تفوق الحياة الدنيا

(١٨) قرين : مثيل ونظير . لقد عاش صاحب التمثال حر الضمير فناسب أن يكون تمثاله فى الفضاء غير المحدود

(١٩) تزدهى : تعجب وتفخر . تفخر الطير فى سمائها بسعد وترفرف عليه محبة وإخلاصاً

(٢٠) رددت : أى الطير . كلما أشادت البلاد بمناقب سعد ومآثره أجابتها الطيور فى عليائها مغردة بتلك المناقب والمآثر

(٢١) ألوى بعاصفات الفناء : ذهب بها وسحقها . العاصفة : الريح الشديدة . التمثال شامخ الذرا كذكرى صاحبه التى ملأت الدنيا واستعصت على أسباب الفناء

إِنَّ مَنْ لَمْ يُبَالِ بِالْمَوْتِ حَيًّا فَازَ مِنْ بَعْدَ مَوْتِهِ بِالْبَقَاءِ(٢٢)

* * *

فِي صَفَاءٍ مِنَ الطَّبِيعَةِ كَالْحَقِّ ، إِذَا لَمْ يَشِنْهُ ثَوْبُ الرِّيَاءِ(٢٣)

تَقْبِسُ الشَّمْسُ نُورَهَا مِنْهُ فِي الصُّبْحِ ، وَزُهْرُ النُّجُومِ عِنْدَ الْمَسَاءِ(٢٤)

فِي حَفِيفٍ مِنَ النَّسِيمِ رَفِيقٍ وَجَمِيمٍ عَذْبٍ مِنَ الْأَنْدَاءِ(٢٥)

لَا يُبَالِي الْأَنْوَاءَ مِنْ بَعْدِ ما عَاشَ حَيَاةً كَثِيرَةَ الْأَنْوَاءِ(٢٦)

تَحْتَهُ النِّيلُ فِي الْخَمَائِلِ يَمْشِي خَافِضًا طَرْفَهُ عَلَى اسْتِحْيَاءِ(٢٧)

سَارَ يُزْهَى بِشَاطِئَيْهِ طَلِيقًا نَحْنُ أَدْرَى بِنِعْمَةِ الطُّلَقَاءِ(٢٨)

يَزْأَرُ الْمَوْجُ فِيهِ غضبانَ أَنْ ضَاقَ بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنْ إِطْرَاءِ(٢٩)

هُوَ مَجْرًى مِنَ الْبَشَائِرِ وَالْآمَالِ مُثِّلْنَ فِي غَرِينٍ وَمَاءِ(٣٠)

---

(٢٢) لم يبال : لم يكترث . الذى لا يكترث بالموت وهو حى لشجاعته بقى بعد موته حيا بمحامده ومناقبه

(٢٣) لم يشنه : لم يعبه . الرياء : إظهار خلاف الباطن . التمثال فى بقعة ملئت بالمناظر الطبيعية الجميلة التى لم يشب جمالها بما يعيبه ، كالحق إذا لم يحاول إخفاؤه بالرياء والنفاق

(٢٤) تقبس : تستمد وتأخذ . زهر النجوم : الكواكب المشرقة . للتمثال نور ساطع حتى لكأن الشمس تستمد منه نورها عند شروقها والكواكب ضياءها فى الليل

(٢٥) الحفيف : صوت الشجر أو الطائر . الجميم : الكثير من كل شىء . الأنداء : جمع ندى . التمثال فى مكان حف بأشجار ذات حفيف جادها الندى

(٢٦) المراد بالأنواء الأولى : العواصف والأمطار ؛ وبالأخيرة : الأهوال والشدائد

(٢٧) الخمائل : جمع خميلة وهى الشجر الكثير الملتف . طرفه : عينه . يسير النيل تحت التمثال وسط الأشجار الكثيرة الملتفة مستحييا من عظمة التمثال وجلال صاحبه

(٢٨) يزهى : يفخر ويعجب . طليقا : حراً . انطلق النيل وهو حر طليق يسير فخوراً بما على شاطئيه . ولا غرو فالحرية نعمة كبرى قد عرفنا حلاوتها بعد جهاد طويل فى سبيلها

(٢٩) يزأر الموج : يحدث صوتاً كصوت الأسد فى شدته وقوته . الإطراء : حسن الثناء . لم يستطع النيل أن يوفى التمثال ما يستحقه صاحبه من حسن الثناء فزأر كالأسد الغضبان

(٣٠) مثلن : صورن . الغرين : ما يحمله ماء النيل من الطين . بالنيل حياة مصر ورغد عيشها ، فليس هو إلا آمالا صورت فى ماء وغرين

هُوَ حِيناً حَوْلَ الرُّبَا مِنْ نُضَارٍ وَهْوَ حِيناً مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ[٣١]

قَبَّلَتْهُ الْأَزْهَارُ وَهْوَ أَبُوهَا كَمْ حَنَانٍ فِي قُبْلَةِ الْأَبْنَاءِ![٣٢]

* * *

قِفْ كَمَا شِئْتَ وَقْفَةَ اللَّيْثِ يَا سَعْـدُ، قَلِيلَ الْأَنْدَادِ وَالنُّظَرَاءِ[٣٣]

مِصْرُ غِيلُ الشَّرْقِ الَّذِي عَلَّمَ الْأُسْـدَ صِيَانَ الْحِمَى، وَفَتْكَ الضِّرَاءِ[٣٤]

نَابُهَا الْحُجَّةُ الضَّرُوسُ، وَأَظْفَا رُ يَدَيْهَا عَزِيمَةُ الْبُسَلَاءِ[٣٥]

زَأَرَتْ مِصْرُ فَاسْتَطَارَ لَهَا الشَّرْ قُ، وَلَبَّى مُثَوِّباً لِلنِّدَاءِ[٣٦]

وَأَمَاطَ الْحِجَابَ عَنْ نَاظِرَيْهِ وَمَضَى يَسْتَخِفُّ بِالْأَرْزَاءِ[٣٧]

قِفْ مُشِيرًا إِلَى الْفَضَاءِ، فَذِكْرَا كَ مَدَى الدَّهْرِ مِلْءُ هَذَا الْفَضَاءِ[٣٨]

حَفِظَتْهَا الْأَبْنَاءُ أُنْشُودَةَ الْمَهْـدِ، وَكَانَتْ عَقِيدَةَ الْآبَاءِ[٣٩]

---

(٣١) الربا : جمع ربوة وهى ما ارتفع من الأرض . ماء النيل تارة حول الربا كالذهب اللامع وذلك أيام الفيضان ، وتارة أبيض صاف كالفضة

(٣٢) هو أبوها : هو السبب فى إنباتها

(٣٣) الليث : الأسد . الأنداد : جمع ند وهو النظير

(٣٤) الغيل : الشجر الكثير الملتف وهو موضع الآساد . صيان : حفظ . الحمى : ما يحمى ويحافظ عليه كالوطن . الضراء : جمع ضرو كذئب وهو الحيوان الضارى

(٣٥) الحجة : البرهان . الضروس : الطاحنة . العزيمة : قوة الإرادة . البسلاء : جمع باسل وهو الشجاع . سلاح مصر وعدتها فى كفاحها البرهان الذى لا ينقض والإرادة القوية فى بنيها الشجعان

(٣٦) الزئير : صوت الأسد شبه به صوت مصر فى المطالبة بحقها فى شدته وقوته . استطار : أسرع . لبى : أجاب النداء . مثوبا : مقبلا أو مردداً الإجابة .

(٣٧) أماط : نحى وأبعد . الحجاب : الستر الأرزاء : جمع رزء وهو المصيبة .

(٣٨) الذكرى : الصيت . مدى الدهر : طول الزمن . قف يا سعد وأشر بيدك إلى الفضاء ؛ فان ذكراك قد طبقت الأرض

(٣٩) الأنشودة : الأغنية . المهد . الموضع يهيأ للصبى

*
* *

قِفْ وَشَاهِدْ مِصْرَ الطَّلِيقَةَ تَجْرِى شَوْطَهَا، فِى تَوَثُّبٍ وَمَضَاءِ(٤٠)

ذَهَبَ الْقَيْدُ فِى الرِّيَاحِ وَوَلَّى وَبَدَا وَجْهُهَا وَضِىءَ الرُّوَاءِ(٤١)

لَيْسَ يَدْرِى حَلَاوَةَ النُّجْحِ إِلَّا كَادِحٌ ذَاقَ فِيهِ مُرَّ الْعَنَاءِ(٤٢)

وَنَعِيمُ السَّرَّاءِ يَجْهَلُ مَعْنَا هُ فَتًى لَمْ يَمَسَّ بِالضَّرَّاءِ(٤٣)

مَرْحَبًا بِالشَّدَائِدِ الدُّهْمِ، يَتْلُو هَا صَبَاحٌ مِنْ نِعْمَةٍ وَرَخَاءِ(٤٤)

عَلَّمَتْنَا أَلَّا نَبِيتَ عَلَى ضَيْـ ـمٍ، وَأَلَّا نَبْكِى بُكَاءَ الْإِمَاءِ(٤٥)

وَأَرَتْنَا أَنَّ النِّهَايَةَ لِلصَّبْـ ـرِ إِذَا حَاطَهُ كَرِيمُ الْإِبَاءِ(٤٦)

كِبْرِيَاءُ الشُّعُوبِ سِرُّ عُلَاهَا لَمْ تَسُدْ أُمَّةٌ بِلَا كِبْرِيَاءِ(٤٧)

---

(٤٠) الطليقة : التى انحل قيدها . الشوط : الجرى مرة إلى الغاية . مضاء : نفاذ فى الأمور . قف يا سعد وانظر مصر الحرة تسير فى سبيل الحضارة بخطا واسعة وعزم قوى وإرادة فعالة

(٤١) ذهب القيد فى الرياح : فك إسارها وأصبحت حرة . وضىء : مشرق . الرواء : حسن المنظر

(٤٢) كادح : مجد . العناء : التعب . لا يدرك حلاوة الفوز إلا من تعب فى سبيل الحصول عليه ولاقى الأهوال من أجله

(٤٣) السراء : الخير والمسرة . الضراء : الشدة والحزن . من لم يلاق الشدائد والآلام لا يدرك لذات النعيم وسرور الرخاء

(٤٤) الشدائد : المصائب . الدهم : السود . يتلوها : يعقبها . الرخاء : سعة العيش . إنا لنتقبل بالسرور المصائب والأهوال مادامت توصل إلى النعيم والهناءة

(٤٥) ضيم : ذل وظلم . الإماء : جمع أمة وهى الجارية

(٤٦) النهاية : آخر الشىء والمراد : الفوز والغلبة . حاطه . صانه . الإباء : الأنفة . علمتنا الشدائد أن الغلبة والفوز لمن يصبر صبرا جميلا وهو أبى النفس ذو أنفة وشمم

(٤٧) الكبرياء : الإباء والعظمة . سر : أصل أو أهم سبب . لم تسد : لم تعل . إباء الأمم ونفورها من الذلة والظلم أهم سبب فى تقدمها ورقيها ، وإنك لا تجد أمة ارتقت وهى ذليلة مستكينة

*
* *

إِنَّ تِمْثَالَكَ الَّذِى هُوَ رَمْزٌ لِلْأَمانِى ، وَالْهِمَّةِ الْقَعْسَاءِ(٤٨)

بَارِزٌ فِى الضَّمِيرِ مِنْ كُلِّ نَفْسٍ بَاعِثٌ نُورَهُ إِلَى كُلِّ رَائِى(٤٩)

قَدْ أَجَادَ الْمَثَّالُ مَا تَصْنَعُ الْكَفُّ ، وَمَا يَسْتَطِيعُ وَحْىُ الذَّكاءِ(٥٠)

غَيْرَ أَنَّ النَّفْسَ الْكَبِيرَةَ خَلْقٌ فَوْقَ طَوْقِ التَّصْوِيرِ وَالإِيحَاءِ(٥١)

مَنْ تُرَى يَسْتَطِيعُ تَصْوِيرَ فِكْرٍ لَكَ أَمْضَى مِنْ رَجْعَةِ الْأَصْدَاءِ؟(٥٢)

مَنْ تُرَى يَسْتَطِيعُ تَصْوِيرَ رَأْيٍ أَلْمَعِىٍّ كَالْكَوْكَبِ الْوَضَّاءِ؟(٥٣)

أَيْنَ مَنْ يَرْسُمُ الشَّهَامَةَ وَالْحَقَّ وَضِئَ السَّنَا بَعِيدَ السَّنَاءِ؟(٥٤)

أَيْنَ مَنْ يَرْسُمُ الْإِبَاءَ عَزِيزًا وَجَلَالَ الْهُدَى وَنُبْلَ السَّرَاءِ؟(٥٥)

---

(٤٨) رمز : إشارة وعلامة . الهمة . العزمة . القعساء : العالية

(٤٩) بارز : ظاهر . تمثالك الذى أصبح دليلا على آمال المصريين وهمتهم العالية . قد صار ملء سمع الناس وبصرهم هاديا إلى طريق المجد

(٥٠) المثال : صانع التماثيل . وحى : إلهام . إن صانع تمثالك قد أحسن صنع ما يدل على الشكل الظاهرى وأجاد فى كل ما يلهمه ذكاء الصناعة

(٥١) طوق . قدرة . الإيحاء : الإلهام . ليس فى قدرة المثال أن يصور النفس الكبيرة وما فيها من معان سامية ونزعات بعيدة المدى

(٥٢) أمضى : أنفذ . رجعة : رجوع . الأصداء : جمع صدى وهو ما يرجع على الصوت بمثل صوته . لا يمكن أحداً أن يصور فكرك الذى كان أسرع من رجوع صدى الصوت إلى صاحبه

(٥٣) الرأى الألمعى : الرأى السديد الواضح . الكوكب : النجم . الوضاء : المتألق

(٥٤) الشهامة . الإباء . وضىء السنا : ظاهر الوضوح . بعيد السناء : عظيم العلو . لا تجد من يقدر أن يصور الإباء والعدالة واضحة ظاهرة

(٥٥) نبل السراء : عظمة الشرف . لا يوجد من يمكنه أن يصور العزة والأنفة فى أحسن مظاهرها ، أو يصور عظمة الهداية والشرف

صَوِّرُوا شَخْصَهُ وَخَلُّوا الْمَعَانِى ... وَدَعُوهَا لِرِيشَةِ الشُّعَرَاءِ(٥٦)

نَحْنُ أَحْرَى بِالرَّسْمِ مِنْ أَلِفِ مِثَا ... لٍ ، وَأَدْرَى بِشِيمَةِ النُّبَغَاءِ(٥٧)

يَصْعَدُ الشِّعْرُ حَيْثُ لَا تَصِلُ الشَّمْـ ... ـسُ ، وَيَبْقَى عَلَى مَدَى الْآنَاءِ(٥٨)

هُوَ خَطُّ الْجَمَالِ فِى صَفْحَةِ الْكَوْ ... نِ ، فَهَلْ لِلْجَمَالِ مِنْ قُرَّاءِ ؟(٥٩)

*
* *

شَرَفًا سَعْدُ ، قَدْ لَقِيتَ مِنَ الْفَا ... رُوقِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنْ حَفَاءِ(٦٠)

مَلِكٌ يَقْدُرُ الرِّجَالَ ، وَتَعْلُو ... فِى حِمَاهُ مَرَاتِبُ الْعُظَمَاءِ(٦١)

كُلَّمَا اثْنَتِ الْمَعَالِى عَلَيْـهِ ... كَانَ فَوْقَ الْعُلَا وَفَوْقَ الثَّنَاءِ(٦٢)

---

(٥٦) المعانى : المراد صفاته المعنوية : كالذكاء والشجاعة مثلا . أيها المثالون ، يمكنكم أن تصوروا جسم سعد لكن يجب أن تتركوا صفاته المعنوية من عبقرية وسداد رأى ونحوهما للشعراء فهم القادرون على تصويرها

(٥٧) أحرى : أحق وأولى . شيمة : طبيعة وسجيه . نحن الشعراء أولى بالإبانة عن الخلال المعنوية ، وأعلم بسجايا العظماء منكم أيها المثالون ؛ إذ أنها بفننا أخص وألصق

(٥٨) مدى الآناء : طول الزمن . يذيع الشعر فى آفاق وأنحاء لا تصل إليها الشمس ، وهو خالد على طول الزمن

(٥٩) الشعر جمال الوجود ومتعة النفوس ، فلعل القراء يقبلون عليه ليتمتعوا أنفسهم بما فيه من المعانى السامية والأخيلة الرائعة

(٦٠) ما أنت أهله : ما أنت مستحقه . حفاء : إكرام وإعزاز . لك الشرف والفخار يا سعد ؛ فقد نلت من جلالة الملك ما تستحقه من الإعزاز والتكريم بتشريفه حفلة إزاحة الستار عن تمثالك

(٦١) يقدر الرجال : يزن الرجال ويعرف فضلهم

(٦٢) مهما بالغت مراتب المجد فى الثناء على جلالته لم تؤد ما يجب لجلالته من فروض الحمد وواجب الثناء ؛ إذ فضله وعلاه أكبر من أن يحيط بهما وصف أو يفى بهما إطراء

حُبُّهُ جَمَّعَ الْقُلُوبَ كَمَا تَجْـــمَعُ بِلُّورَةٌ شَتِيتَ الضِّيَاءِ(٦٣)

حِكْمَةٌ زَانَهَا الشَّبَابُ فَأَضْحَتْ قَبَسًا لِلْهُـــدَاةِ وَالْحُكَمَاءِ(٦٤)

وَجَـــلَالٌ لِمِثْلِهِ يَخْشَعُ الطَّرْ فُ، وَتَعْنُو الْقُلُوبُ بِالْإِيمَاءِ(٦٥)

قَدْ فَدَيْنَـــا لِوَاءَهُ فِي يَدَيْهِ وَفَدَيْنَـــاهُ حَامِلاً لِلِّوَاءِ(٦٦)

هَتَفَ الْمَجْدُ بِاسْمِهِ وَاسْتَضَاءَتْ بِسَنَاهُ زَعَامَـــةُ الزُّعَمَاءِ(٦٧)

قَدْ مَلَأْتُ الْوُجُودَ شِعْرًا بِمَدْحِيـــهِ، وَمَا زِلْتُ بَيْنَ بَاءٍ وَتَاءِ(٦٨)

يَنْتَهِي جُهْدُ كُلِّ مَدْحٍ وَوَصْفٍ وَمَـــدَى فَضْلِهِ بِغَيْرِ انْتِهَاءِ(٦٩)

---

(٦٣) جمع القلوب : جعل القلوب ملتفة حوله محبة له . شتيت : متفرق . محبـة الناس لجلالته جعلت قلوبهم ملتفة حوله ، متعلقة به كما تجمع البلورة الأضواء المتفرقة

(٦٤) حكمة : جزم وسداد رأى . قبسا : شعلة من النار . والمراد أن حزم جلالته وسداد رأيه أصبح المثل الأعلى والقدوة الحسنة للقادة ونوراً يستضىء به الرؤساء

(٦٥) جلال : عظمة . يخشع : يخضع . الطرف : العين . تعنو : تخضع . الإيماء : الإشارة

(٦٦) اللواء : العلم

(٦٧) المجـد : الشرف . استضاءت : استنارت . سناه : نوره . زعامة : رياسة . الزعماء جمع زعيم وهو سيد القوم

(٦٨) بمدحيه : بمدحى إياه . بين باء وتاء : فى أول الأمر . يقول الشاعر : لقد ملأت الدنيا شعراً فى حمد جلالته والثناء عليه ، ولا أزال أرى أنى فى المدح لم أتجاوز البداية

(٦٩) جهد : طاقة . مدى : غاية . إن المـدح والوصف ليعجزان عن الإحاطة بمكارم جلالة الملك ولمه التى لا آخر لها

ذِكرىٰ قاسِم أمين

أذيعت بدار الاذاعة فى سنة ١٩٣٨ لمرور ثلاثين سنة على وفاته

مَلَّ مِنْ وَجْدِهِ وَمِنْ فَرْطِ مَا بِهْ   وَأَرَاقَ الشَّرَابَ مِنْ أَكْوَابِهْ ! (١)

وَإِذَا الْقَلْبُ أَظْمَأَتْهُ الْأَمَانِيُّ ، فَمَاذَا يُرِيدُهُ مِنْ شَرَابِهْ ؟ (٢)

وَإِذَا النَّفْسُ لَمْ تَكُنْ مَنْبِتَ الْأُنْـــسِ، تَنَاءَى الْقَرِيبُ مِنْ أَسْبَابِهْ (٣)

وَأَشَدُّ الْآلَامِ أَنْ تُلْزِمَ الثَّغْـــرَ ابْتِسَاماً ، وَالْقَلْبُ رَهْنُ اكْتِئَابِهْ (٤)

---

(١) الوجد : مصدر وجد بمعنى حزن . الفرط : اسم من أفرط فى الأمر بمعنى جاوز فيه الحد ، والمراد من كثرة ما به من حزن . أراق الشراب : صبّه . أكواب : جمع كوب وهو الكوز لا عروة له . يتحدث الشاعر عن نفسه فى هذا البيت مستعملا ضمير الغائب ، ويصور ما يحيط به من أحزان ويأس .

(٢) الأمانى : جمع أمنية وهى ما يتمناه الانسان ويرغب فى الحصول عليه ؟ وأظمأت الأمانى القلب جعلته متعطشاً إليها راغباً فى إدراكها .

(٣) منبت : اسم مكان سماعى من نبت ينبت . الأنس : ضد الوحشة . تناءى : بعد . الأسباب : جمع سبب وهو العلة والباعث على الأمر .

(٤) الثغر : ما تقدم من الأسنان . رهن الشىء يرهن من باب قطع ثبت ودام فهو راهن . والرهن أيضاً الحبس من رهنته المتاع بالدين رهنا حبسته به . اكتئاب : حزن والمراد (بالقلب رهن اكتئابه) أنه دائم الاكتئاب مقيم عليه . يعنى الشاعر بهذين البيتين أن الأنس إذا لم تكن قرارته النفس ومنبعه القلب فليست أسباب الفرح وإن قربت بذات جدوى بل إن الحزن قد يبعد من تلك الأسباب ما كان قريباً إلى نفوس المحزونين . ومن أشد الألم وأنكاه أن يكره الثغر على الابتسام وفى القلب هم ناصب وحزن مقيم .

*
* *

كُلَّمَا اخْتَالَ فِي الزَّمَانِ شَبَابٌ عَصفَتْ رِيحُهُ بِلَدْنِ شَبَابِهْ ! (٥)

وَالنُّبُوغُ النُّبُوغُ يَمْضِي ، وَتَمْضِي كلُّ آمَالِ قَوْمِهِ فِي رِكَابِهْ (٦)

غَرِدٌ ، مَا يَكَادَ يَصْدَحُ حَتَّى يُسْكِتَ الدَّهْرُ صَوْتَهُ بِنُعَابِهْ (٧)

وَحَبَابٌ ، إِذَا عَلاَ الْمَاءَ وَلَّى فَاسْأَلِ الْمَاءَ هَلْ دَرَى بِحَبَابِهْ ؟ (٨)

وَسَفِينٌ ، مَا شَارَفَ الشَّطَّ حَتَّى مَزَّقَ الْيَمُّ دُسْرَهُ بِعُبَابِهْ (٩)

---

(٥) اختال الرجل : أعجب بنفسه ، وبه خيلاء أى كبر وإعجاب ومنه الخيل لاختيالها وهو إعجابها بنفسها مرحا . عصفت ريح الزمان به : أذهبته . لدن : لين . يقول كلما اعتد بنفسه شاب وأعجب بفتوته وما يكون له فيها من قوة الفكر والعزم لم يبق الزمان عليه فيذهب بشبابه الغض ويأتى على غصنه الرطيب .

(٦) النبوغ : العظمة والإجادة يقال نبغ الرجل ظهر وأجاد ، والنابغة العظيم. ركاب : جمع مفرده راحلة. يبكى الشاعر النابغين من الناس (ومنهم نابغتنا قاسم) تقتطفهم يد المنون فتطوى بموتهم آمال أقوامهم فيهم .

(٧) الغرد : التطريب فى الصوت والغناء من غرد كطرب فهو غرد (بكسر الراء) يصدح : صدح الرجل والطائر صدحا وصداحا رفع صوته بالغناء وفعله كمنع . بنعابه : النعاب صوت الغراب. يشبه الشاعر النبوغ بطائر غرد ما يكاد يستمتع الناس لصداحه وتغريده حتى تعدو عليه يد الدهر فتسكت صوته وتذهب بجمال تغريده وتستبدل بهذا الغناء الجميل نعابا بغيضا .

(٨) حباب : حباب الماء بفتح الحاء نفاخاته التى تعلوه . وهو فى هذا البيت يشبه النبوغ أيضا فى قصر عمره بحباب الماء ويقول فى تعجب وغرابة : سل الماء هل علم من أمر ذلك الحباب شيئا .

(٩) السفين : سفنه يسفنه قشرة ومنه السفينة لقشرها وجه الماء وجمع السفينة سفين وهو جمع شاذ لأن الجمع الذى بينه وبين واحده التاء يكون فى المخلوقات لا المصنوعات ، ومنهم من يقول إن السفين مفرد كالسفينة . شارف الشىء : أشرف عليه . الشط : الشاطىء . الدسر : خيوط تشد بها ألواح السفينة . واحدها دسار ككتاب . اليم : البحر ولا يجمع. عبابه : أمواجه . يشبه الشاعر النبوغ بسفينة لم تكد تبتعد عن الشاطىء وتحاذره حتى صدمتها أمواج البحر فمزقتها .

*
* *

بَخِلَ الدَّهْرُ أَنْ يُطَوِّلَ لِلْعَقْـــلِ ، فَيَجْرِى إِلَى مَدَى آرَابِهْ (١٠)

كُلَّمَا سَارَ خُطْوَةً وَقَفَ الْمَوْ تُ ، فَسَدَّ الطَّرِيقَ عَنْ طُلَّابِهْ (١١)

وَابْتِدَاءُ الْكَمَالِ فِى عَمَلِ الْعَا مِلِ بَدْءُ الشَّكَاةِ مِنْ أَوْصَابِهْ (١٢)

ضِلَّةً نَكْتُمُ الْمَشِيبَ فَيَبْدُو ضَاحِكًا سَاخِرًا خِلَالَ خِضَابِهْ (١٣)

أَيْنَ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُرْشِدَ الدُّنْـــيَا ، وَسَوْطُ الْمَنُونِ فِى أَعْقَابِهْ ؟ (١٤)

أَيُّهَا الْمَوْتُ : أَمْهِلِ الْكَاتِبَ الْمِسْـــكِينَ يُرْسِلْ أَنْفَاسَهُ فِى كِتَابِهْ (١٥)

---

(١٠) طول له : أمهله . مدى : غاية . آراب : جمع إرب وهو الحاجة والمطلب . يقول إن الدهر ضنين بأن يطيل أعمـــار النابغين حتى يصلوا إلى تحقيق أغراضهم السامية من نفع الناس وإسعادهم .

(١١) يقول كلما سار العقل والعقلاء فى طريق التقدم والنبوغ خطوة جأهم الموت فسد عليهم الطريق وأبعدهم عن الغاية التى يطلبون .

(١٢) الشكاة : الشكوى . أوصاب : جمع وصب المرض . يقول إن الدهر لا يترك العاملين يتمون عملهم ولا يدعهم يصلون إلى ما تصبو إليه نفوسهم من تحقيق أغراض وغايات بل يصيبهم حين يقربون من الـكمال بالأمراض والأوصاب التى تقعدهم عن إدراك آمالهم وأمانيهم . ولقد كان الشاعر حكيما فى الأبيات الثلاثة .

(١٣) الضلة : بكسر الضاد عدم الهدى . الخضاب : صبغ يوضع على الشعر لاخفاء الشيب . يقول إن الدهر لا بد أن يصيب الناس بالأوصاب والإعياء فمن الضلال والخداع أن نكتم مظهر هذا بالخضاب والأصباغ فان ذلك ليس بمغن شيئا عن ضعفنا وفتورنا ، وإن ما نلطخ به رءوسنا من الخضاب مثار سخرية من المشيب . أفلا تراه يبدو واضحا على رغم هذا كأنه يسخر منا .

(٤) سوط : السوط فى الأصل الخلط وسميت المقرعة سوطا لأنها تخلط اللحم بالدم والجمع سياط وأسواط . المنون : الموت . أعقاب : جمع عقب وهى مؤخر القدم . يرشد الدنيا : يقود أهلها إلى الخير والهداية . يقول ليس من انسان فى هذا الوجود يستطيع أن يدرك غايته من هداية العالم وقيادتهم إلى طريق الخير ما دام الموت من ورائه والمنية فى أعقابه فالأجل قصير عن إدراك الغايات والعمر ينقضى دون تحقيق الأمانى .

(١٥) أمهله : انتظر عليه وأبقه . يرسل أنفاسه فى كتابه : يسطر ما يجول فى خاطره على صفحات القرطاس . يطلب إلى الموت ألا يتعجل القضاء على الـكاتب فيختطفه قبل أن يبعث بما يضطرب فى نفسه من خواطر مما قد يسعد الناس ويهديهم طريق الرشد والسداد .

آهِ لَوْ يَشْتَرِى الزَّمَانُ قَرِيضِى بِسِنِينٍ تُعَدُّ لِى فِى حِسَابِهْ (١٦)

مَا حَيَاتِى ؟ وَالْكَوْنُ بَعْدَ جِهَادٍ لَمْ أَزَلْ وَاقِفاً عَلَى أَبْوَابِهْ (١٧)

تَظْمَأُ النَّفسُ فِى حَيَاةٍ هِىَ الْقَفْـــرُ ، فَتَرْضَى بِنَهْلَةٍ مِنْ سَرَابِهْ (١٨)

أَنَا قَلْبِى مِنَ الشَّبَابِ وَجِسْمِى أَثْخَنَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ بِحِرَابِهْ (١٩)

أَمَلٌ هَـذِهِ الْحَيَاةُ ، فَهَلْ يَعْـــثُرُ بِىَ الْمَوْتُ دُونَ وَشْكِ طِلَابِهْ ؟ (٢٠)

كُلَّمَا رُمْتُ لَمْحَةً مِنْ سَنَاهُ هَالَنِى بُعْدُهُ وَطُولُ شِعَابِهْ (٢١)

---

(١٦) آه : كلمة توجع . قريضى . قرض الرجل الشعر قاله وفعله كضرب . يتمنى الشاعر أن يشترى الزمان منه شعره بسنين يطول بها عمره ويمد فى أجله حتى يصل الى ما تطمح اليه نفسه من علو ومجد وهداية للناس وإرشاد .

(١٧) يقول ليست حياتى بعد الجهاد الطويل والعناء الشديد إلا قطرة من بحر هذا الكون ، وليس جهادى مهما طال وعظم إلا فاتحة طريق الجهاد ومبدأ تفنى الأعمار والأجيال دون الوصول إلى غايته ومنتهاه .

(١٨) القفر : الأرض لا نبات فيها ولا ماء . بنهلة : واحدة النهل وهو الشرب الأول ضد العلل وهو الشرب الثانى . السراب : ما تراه نصف النهار كأنه ماء وليس به . يقول إن النفس فى هذه الحياة دائمة التعطش إلى إدراك الغايات والوصول الى الآمال ولكن الحياة مجدبة قفر لاتواتى النفوس بما تحب فليس للنفوس الظمأى بعد هذا إلا الرضا ببرق قد يكون خابا وسراب يظنه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا . وتلك كناية عن قصر عمر الانسان واتساع آماله ورضاه من الدنيا حتى بالخداع والمطل .

(١٩) أثخنت العدو : أو هنته بالجراحة . بحرابه : حراب جمع حربة . يقول أنا وإن لمع صبح المشيب فى ظلام شعرى وأوهن الكبر جسمى لا زلت أحمل قلباً فتياً وفؤاداً ذكياً .

(٢٠) عثر بى الموت : أصابنى . طلاب : مصدر طالب بمعنى المطالبة .

(٢١) رمت : أردت . السنا : الضوء . هالنى : أزعجنى . شعابه : جمع شعب وهو الطريق فى الجبل . يقول فى البيتين السابقين إن هذه الحياة أمل كلها يسعى جميع من فيها إلى بلوغ أمله ، فالشاعر يستفهم متحسراً محزوناً فيقول هل يصيبنى الموت ولما أقرب من تحقيق أملى وأصل إلى غايتى ؟ وإنما حفزه إلى هذا الاستفهام بعد الأمل عن الآملين وطول طريقه على الراغبين وأنه كلما أراد قبسا من نور هذا الأمل يعلل به النفس ، بعدت عليه الشقة والتوى الطريق وطال .

مَا الَّذِى تَبْتَغِى يَدُ الدَّهْرُ مِنِّى ؟ وَدَمِى لا يَزَالُ مِلْءَ لُعَابِهْ (٢٢)

دَعْ يَرَاعِى يا دَهْرُ يَمْلَأُ سَمْعَ النِّـــيلِ، مِنْ شَدْوِهِ وَعَزْفِ رَبَابِهْ (٢٣)

كُلُّ شَىْءٍ لهُ نِصَابٌ سِوَى الْفَنِّ، فَلَا حَدَّ يَنْتَهِى لِنِصَابِهْ (٢٤)

* * *

عَصَفَتْ صَيْحَةُ الرَّدَى بِخَطِيبٍ وَهْوَ لَمْ يَعْدُ صَفْحَةً مِنْ خِطَابِهْ (٢٥)

سَكْتَةٌ أَسْكَتَتْ نَئِيجَ خِضَمٍّ عَقَدَ النَّوْءُ لُجَّهُ بِسَحَابِهْ (٢٦)

سَكْتَةٌ أَطْفَأَتْ مَنَارَ طَرِيقٍ كَمْ مَشَتْ مِصْرُ فى ضِيَاءِ شِهَابِهْ (٢٧)

---

(٢٢) تبتغى : تطلب . لعابه : ريقه ، يقول ما الذى يريده الدهر منى وأنا ما زلت هدف حدثانه ومرمى كوارثه ومصائبه ، وما زال دمى الذى امتصه يجرى بين ماضغيه وأسنانه .

(٢٣) يراعى : اليراع ، اسم جنس جمعى مفرده يراعة وهى القلم . شدوه : غنائه .

(٢٤) النصاب : المقدار المعين . يتمنى الشاعر فى البيتين أن يمد الله فى أجله ويطيل فى عمره ليسمع أبناء النيل ما يطربهم من شعره العذب بالنغمات الحلوة والألحان الساحرة لأن لكل شىء غاية ينتهى إليها ومدى لا يتعداه إلا الفنون الجميلة كالشعر والموسيقى فلا غاية لها ولا نهاية ، بل إنها دائمة التقدم والرقى والجمال، ما بقى الدهر وما أطال الله فى أعمار أصحابها .

(٢٥) عصفت : أطاحت وأذهبت . الصيحة : الصياح . الردى : الهلاك وفعله من باب تعب لم يعد : لم يجاوز . يقول اخترمت المنية قاسما فاهتصر ذلك الخطيب المفوه ولم يبعث إلى الناس إلا بالقليل مما اضطربت به نفسه العظيمة وانطوى عليه قلبه الكبير من إرشاد وإصلاح .

(٢٦) النئيج : الصوت . الخضم : البحر العظيم . النوء : النجم مال للغروب أو سقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعتـه فى المشرق وكانت العرب تنسب الرياح والأمطار إلى النوء، والمراد هنا العواصف التى تنشأ عن النوء .

(٢٧) المنار : المكان الذى ينبعث منه النور أو هو النور نفسه . ومعنى البيتين أن قاسما كان بحراً ثائراً مضطربا وكان مصباحا ينير الطريق للسالكين ، وبضيائه القوى اهتدت مصر ، وبموته سكت ذلك الصوت الذى كان يدوى فى آفاق الجهالة فيزيل الشكوك والخرافات وانطفأ ذلك النور الذى كان يمزق أستار الأباطيل والأوهام .

وَمَضَى (قَاسِمٌ) وَخَلَّفَ مَجْداً   تَفْرَعُ النَّجْمَ رَاسِيَاتُ قِبَابِهْ (٢٨)

٭
٭ ٭

قَدْ نَكِرْنَاهُ حِينَ قَامَ يُنَادِي   وَفَهِمْنَا مَعْنَاهُ يَوْمَ احْتِسَابِهْ (٢٩)

رُبَّ مَنْ كُنْتَ فِي الْحَيَاةِ لَهُ حَرْ   باً، شَقَقْتَ الْجُيُوبَ عِنْدَ غِيَابِهْ (٣٠)

وَتَحَدَّيْتَ شَمْسَهُ، فَإِذَا وَلَّـ   ـى تَمَنَّيْتَ لَمْحَةً مِنْ ضَبَابِهْ (٣١)

لَمْ يَفُزْ مِنْكَ مَرَّةً بِثَنَاءٍ   فَنَثَرْتَ الْأَزْهَارَ فَوْقَ تُرَابِهْ (٣٢)

يُعْرَفُ الْوَرْدُ حِينَمَا يَنْقَضِي الصَّيْـ   ـفُ، وَيُبْكَى النُّبُوغُ بَعْدَ ذَهَابِهْ (٣٣)

---

(٢٨) قاسم : هو الرجل الاجتماعى العظيم الذى دافع عن المرأة المصرية طول حياته وبذل فى سبيل تحريرها جهداً كبيراً وقوة فتية حتى تنهض إلى مكانة سامية وألف فى سبيل تحريرها كتابيه : تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة ، وهو من أصل كردى ولد سنة ١٨٦٥ م وبعد أن فاز بقسط كبير من العلم فى مصر سافر إلى فرنسا وهناك درس الحقوق ثم رجع الى مصر فى سنة ١٨٨٥م وعين قاضياً بالمحاكم الأهلية ثم مستشاراً واشترك فى إنشاء الجامعة المصرية وتوفى سنة ١٩٠٨ . تفرع : فرع القوم علاهم بالشرف والجمال . يقول أودى قاسم وترك لنا مجداً ثابت البنيان قوى الأركان يعلو على النجم رفعة وعظمة .

(٢٩) نكره ينكره من باب تعب ، وأنكره : ضد عرفه ، والمراد هنا لم نعترف بما أتى به من رأى . احتسابه : موته ، يقال احتسب فلان ابناً إذا مات ابنه صغيرا ، واحتسب بكذا أجراً عند الله : اعتده ينوى به وجهه لا يريد به الدنيا . يقول إننا جحدنا فضل قاسم فى حياته وعرفنا قيمته بعد موته

(٣٠) حربا محاربا ومخالفا . الجيوب : جمع جيب وهو ما ينفتح على النحر

(٣١) تحديت فلانا : إذا باريته فى فعل ونازعته الغلبة . ولى : ذهب . لمحة : اسم مرة من لمحه : أبصره بنظر خفيف . ضبابه : اسم جنس جمعى مفرده ضبابة وهى سحابة تغشى الأرض كالدخان .

(٣٢) لم يفز : لم ينل . الثناء : المدح والشكر . نثرت : وضعت . ومعنى الأبيات الثلاثة أن الانسان كثيرا ما يعادى أحد الناس ويخالفه فى رأيه ويشن عليه الغارة عنادا وعدوانا فيغالبه وينازعه ويضن عليه بكلمة ثناء وإطراء حتى إذا ما مات أنزله من نفسه منزلة المكرم المحبوب فبكاه حزنا ولوعة وتمنى لو تمتع به بصره مرة ونثر الأزهار فوق قبره اعترافا بفضله وتقديراً لسامى منزلته

(٣٣) يقول ليس بدعا أن يصدر ذلك من الناس فجمال الورد وحسنه لا يعرف إلا حين فوات وقته كذلك لا يعرف النبوغ إلا بعد ما يأتى الدهر على النابغين وتذهب بهم الأيام

كَمْ نَدَبْنَا الشَّبَابَ حِينَ تَوَلَّى وَشُغِفْنَا بِالْبَدْرِ بَعْدَ احْتِجَابِهْ ! (٣٤)

كَتَبَ اللهُ أَنْ يَعِيشَ غَرِيباً كُلُّ ذِي دَعْوَةٍ إِلى الْحَقِّ نَابِهْ (٣٥)

لا تَرَى فَوْقَ قِمَّةِ الطَّوْدِ إِلَّا بَطَلًا لا يَهَابُ هَوْلَ صِعَابِهْ (٣٦)

كُلُّ ذَاتِ الْجَنَاحِ طَيْرٌ، وَلَكِنْ عَرَفَ الْجَوُّ نَسْرَهُ مِنْ غُرَابِهْ (٣٧)

كَمْ رَأَينَا فِي النَّاسِ مَنْ يَبْهَرُ الْعَيْـــنَ، وَمَا فِيهِ غَيْرُ حُسْنِ ثِيَابِهْ (٣٨)

يَمْلَأُ الأَرْضَ وَالسَّمَاءَ رِيَاءً وَعُيُوبُ الزَّمَانِ مِلْءُ عِيَابِهْ (٣٩)

***

نَقَدَ النَّاسَ (قَاسِماً) فَرَأَوْهُ أَصْبَرَ النَّاسِ فِي تَجَرُّعِ صَابِهْ (٤٠)

---

(٣٤) والانسان دائما ينعى شبابه ويتمنى عوده حينما تدب الشيخوخة فى جسمه دبيب النمال ، وكثيرا ما يفتقد البدر فى الليلة الظلماء ويغرم به الناس بعد أن تستره السحب والغيوم .

(٣٥) كتب : قدر وفرض وقسم . نابه : ضد خامل . وفى هذا البيت يقول قد جرت سنة الله أن يجحد فضل النابهين فى أثناء حياتهم ويعيشوا غرباء بين أهليهم وعشيرتهم مكروهين منهم مبغضين حتى إذا اخترمتهم المنون وتمتع الناس بأفكارهم وآرائهم كالوا لهم الثناء والإطراء وما كان أحرى الناس أن يشجعوهم بالمديح والإطراء ولكن لن تجد لسنة الله تبديلا

(٣٦) قمة الجبل : رأسه وأعلاه . الطود : الجبل العظيم . يهاب : يخاف . هول : هالنى الشىء هولا من باب قال أفزعنى فهو هائل يقول : إن النابغ ما اعتزله الناس وجافوه إلا لأنه فوق قمة لا يستطيعون الوصول اليها

(٣٧) النسر : طائر كاسر قوى . والغراب طائر ضعيف .

(٣٨) يبهر العين : يملؤها إعجاباً

(٣٩) الرياء : أن تظهر للناس غير ما أنت عليه لتخدعهم عن حقيقة أمرك . عيابه : عياب جمع عيبة وهى الحقيبة . فى هــذه الأبيات الثلاثة يقول الناس متساوون فى الخلقة وإنما يتفاوتون بجليل الأعمال ونبيل الصفات فما أشبههم بالطير فكل ذى جناح طائر ولكن شتان ما بين النسر والغراب ويقول : كثيراً ما ترى من الناس من يروقك منظره حتى إذا بلوته ساءك مخبره ، تراه يملأ ماضغيه نخراً يرائى الناس ليعميهم عن دخيلة نفسه التى إن كشفت عنها تقززت نفسك منها

(٤٠) تجرع : من جرعت الماء كنفع جرعا إذا بلعته ، والجرعة من الماء كاللقمة من الطعام. صابه : الصاب عصارة شجر مر يقول : إن الناس قد ناقشوا قاسما آراءه ونقدوا ما أتى به فلم يضق بنقدهم بل صبر صبر الكريم على ما فيه من مرارة وإعنات شأن العظيم يدعم ما يأتى به بسعة الصدر وقوة الحجة

حُجَّةُ الْجَاهِلِ الْمِرَاءُ ، فَإِنْ شَا ءَ سُمُوًّا ، أَمَــدَّهَا بِسِبَابِه(٤١)

قَدْ يُغَشِّي الْوِجْدَانُ بَاصِرَةَ الْعَقْـلِ ، فَيُعْمِيهِ عَنْ طَرِيقِ صَوَابِه(٤٢)

صَالَ بِالرَّأْيِ (قَاسِمٌ) لاَ يُبَالِي وَمَضَى فِي طَرِيقِهِ غَيْرَ آبِه(٤٣)

كَمْ جَرِيءٍ لاَ يَرْهَبُ السَّيْفَ إِنْ سُـلَّ ، وَنِكْسٍ يَخَافُ مَسَّ قِرَابِه(٤٤)

وَالشُّجَاعُ الَّذِي يُجَاهِـرُ بِالْحَـقِّ ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ مُرُّ عَذَابِه(٤٥)

كَيْفَ يَهْدِي النَّصِيحُ إِنْ رِيعَ يَوْمًا مِنْ قِلَى مَنْ يُحِبُّ أَوْ إِغْضَابِه ؟(٤٦)

وَطَرِيقُ الْإِصْلاَحِ فِي كُلِّ شَعْبٍ عَسِرُ الْمُرْتَقَى عَلَى مُجْتَابِه(٤٧)

---

(٤١) المراء : من ماريته أماريه مماراة ومراء : جادلته بالحق أو بالباطل . سموا : رفعة وعلاء ومنه سمت همته إلى معالى الأمور بمعنى طلب العز والشرف . السباب : الشتم .

(٤٢) يغشى : يغطى . الوجدان : وجدان الشيء الحصول عليه والمراد به هنا الهوى . باصرة العقل : المراد بها ما به هدايته وإرشاده . أمدها : قواها وزودها .

(٤٣) صال عليه : استطال ووثب . غير آبه : غير مهتم . النكس : الجبان الضعيف .

(٤٤) قرابه : قراب السيف غمده . فى البيتين يصف قاسما بالشجاعة والجرأة ومضيه فى رسالته غير مبال بما يعترض فى طريقه ؛ ويقول إن الناس فيما يأتون به من جديد صنفان : صنف يجاهر برأيه لا يخشى السيوف الصلبة والأسنة المشرعة وصنف رعديد جبان يموت رأيه لأنه لا يستطيع عنه دفاعا ويجبن عند أول عقبة تقف فى سبيله .

(٤٥) يجاهر بالحق : يصدع به ويعلنه .

(٤٦) ريع : خاف وفزع . القلى : البغض . يقول فى البيتين ليس شجاعا من يعرف الحق ويكتمه وإنما الشجاع هو ذلك الذى يجاهر برأيه وإن لقى فى سبيل هذه المجاهرة أشد الآلام وأمر العذاب ، وبتلك الجرأة وهذا الإقدام تنجح دعوة الدعاة اما الداعى الجبان الذى يرتاع من كره من يدعوه أو إغضابه فلا تثمر دعوته ولا تنجح نصيحته .

(٤٧) المرتقى : مكان الصعود . مجتابه : اسم فاعل من اجتاب الطريق بمعنى قطعها ، والثلاثى جبت بضم الجيم وكسرها عند الإسناد إلى التاء . يقول إن سبيل إصلاح الشعوب غير معبدة بل هى دائما محفوفة بالمخاطر والصعاب بعيدة المنال على من يريدها .

يَعْشَقُ الشَّعْبُ مَنْ يُدَلِّلُهُ زُو   رًا ، بِمَذْقٍ مِنْ سُخْفِهِ وَكِذَابِهْ (٤٨)

*
* *

قُمْتَ لِلْجَهْلِ تَقْلِمُ الظُّفْرَ مِنْهُ   وَتَفُضُّ الْحِدَادَ مِنْ أَنْيَابِهْ (٤٩)

فِي زَمَانٍ كَانَ الْقَدِيمُ بِهِ قُدْ   سًا ، يُذَادُ الْجَدِيدُ عَنْ مِحْرَابِهْ (٥٠)

يَا نَصِيرَ النِّسَاءِ ، وَالدِّينُ سَمْحٌ   لَوْ وَعَيْنَا السَّرِيَّ مِنْ آدَابِهْ (٥١)

قَدْ خَشِينَا عَلَى الْحَمَائِمِ فِي الدَّوْ   حِ ، أَظَافِيرَ بَازِهِ أَوْ عُقَابِهْ (٥٢)

---

(٤٨) يدلله : يرضى رغباته . مذق : المذق الخلط والمزج من مذقت اللبن والشراب بالماء مذقا وبابه قتل . سخفه : سخف الثوب سخفا وسخافة رق لقلة غزله فهو سخيف ومنه قيل رجل سخيف وفى عقله سخف أى نقص والمراد بالسخف هنا الهراء من الكلام . الكذاب : الكذب . يقول لقى قاسم فى سبيل دعوته العنت والمشقة وكراهة الشعب وسخطه لأنه جاهر برأيه غير مبال بارضاء الشعب أو إسخاطه ، والشعوب إنما تميل إلى من يشبع رغباتها ولو كانت جامحة وينزل على إرادتها ولو بالزور والبهتان

(٤٩) تقلم : قلمت الظفر قطعته وما يسقط منه يسمى القلامة . الحداد : جمع حديد القوى . وناب حديدة أى حادة قوية . فض الله فاه : نثر أسنانه . يقول نصبت نفسك لمحاربة الجهل فى زمان قدس الناس فيه القديم وأنزلوه من نفوسهم منزلة العقيدة الثابتة وكرهوا الجديد ومقتوه إذا خالف ما ألفوا من قديم ، وما زلت فى نضالك حتى كسرت حدة الجهل وخضدت شوكته وتركته كحيوان مفترس قص ظفره وخلعت أنيابه

(٥٠) القدس : الطهر والمراد به هنا الشىء الذى لا يحل تغييره وتبديله . يذاد : يدفع ويطرد . المحراب : صدر المجالس أو محراب المسجد أو المسجد نفسه

(٥١) سمح : يسر . وعينا : أدركنا . سرى الآداب : شريفها وعاليها . يبكى الشاعر قاسماً نصير النساء والمطالب بحريتهن ويقول لقد لقيت فى سبيل عقيدتك ما لقيت من كيد الكائدين وعناد الذين حاربوك بسيف الدين ، وما كان الدين عسرا . ولو أدرك هؤلاء المعاندون آدابه الفاضلة وتعاليمه النبيلة ما جحدوا رأيك وما وقفوا فى طريق رسالتك

(٥٢) الحمائم : جمع حمامة . الدوح : الشجر العظام ومفرده دوحة . البـاز : طير جارح وكذا العقاب .

إنْ أَرَدْتَ الظِّبَاءَ تَمْرَحُ فِي السَّهْـــلِ ، فَطَهِّرْ أَكْنَافَهُ مِنْ ذِئَابِهْ[٥٣]

كَمْ ضِرَاءٍ وَسْطَ الْمَدَائِنِ أَنْكَى مِنْ ضِرَاءِ الضِّرْغَامِ فِي وَسْطِ غَابِهْ ![٥٤]

وَشِبَاكٍ ، مِنَ الْجَرَائِمِ وَالْخَتْـــلِ ، حَوَاهَا شَيْطَانُهُمْ فِي جِرَابِهْ[٥٥]

وَإِذَا مَا الْحَيَاءُ لَمْ يَسْتُرِ الْحُسْـــنَ ، فَمَاذَا يُفِيدُهُ مِنْ نِقَابِهْ ؟[٥٦]

***

قُمْتَ تَدْعُو الْبَنَاتِ لِلْعِلْمِ فَانْظُرْ كَيْفَ حَلَّقْنَ فَوْقَ شُمِّ هِضَابِهْ[٥٧]

وَزَهَا النِّيلُ بِابْنَةِ النِّيـلِ فَاخْتَا لَ ، يَجُرُّ الذُّيُولَ مِنْ إِعْجَابِهْ[٥٨]

---

(٥٣) الظباء : جمع ظبية . تمرح : ترتع وتلعب . السهل : الأرض المستوية . أكنافه : جمع كنف وهو الجانب .

(٥٤) ضراء : من ضرى الكلب بالصيد ضراء بكسر الضاد وفتحها فهو ضار إذا تعوده ، والمراد هنا بالضراء الجرأة والفتك . أنكى : من قولهم نكيت فى العدو من باب رمى إذا قتلت وأثخنت والاسم منه النكاية ، والمراد بأنكى هنا : أشد وأبلغ . الضرغام : الأسد . الغاب : جمع غابة

(٥٥) الختل : الخداع والمكر

(٥٦) نقابه : برقعه . يقول الشاعر فى الأبيات الخمسة : ليس كل من خالفك فى رأيك جاحداً لهذا الرأى أو منكرا فضل ما أتيت به ، بل إن كثيرين كانوا يقدرونه ويرون صوابه ، ولكنهم قد خافوا على فتياتهم من جموح الشباب وطيشهم ، فكان عليك وقد أردت أن تكون الفتاة إلى جانب الفتى أن تطهر أخلاق الشبان وتحفظ الفتيات من ذؤبانهم العادية ، فكثيراً ما يكون الفتك والعدوان فى المدن والحواضر أشد وأقسى من عدوان الضوارى فى الأدغال والغابات ، وكثيرا ما يتوسل وحوش الرجال إلى بلوغ غاياتهم الدنيئة ومآربهم الشريرة بشباك لحمتها الإجرام وسداها الخداع والمكر ؛ وكان عليك ثانيا أن تبعث فى روح المرأة العفة وتحفها بسياج من الحياء وأنت بعد حر فى رفع النقاب أو إبقائه فليس النقاب يمنع شراً أو يحفظ المرأة من الزلل والعثار إذا حرمت الحياء وبعدت عن فضيلة العفة .

(٥٧) حلق الطائر : طار فى دوران . شم : جمع شماء وأشم ، والشمم ارتفاع فى الجبل والأنف ، وشم الهضاب مرتفعها .

(٥٨) زها النيل : افتخر . اختال : سار فى عجب وخيلاء ، يقول الشاعر لقاسم : لقد جاهدت فى سبيل تعليم المرأة فلقيت فى ذلك المشقة ولم تفز فى حياتك بالغاية ، فانظر الآن من العالم الذى أنت فيه ، تعجب كيف تهافتت البنت على المدرسة وطارت فى سماء العلم وبزت الفتيان فاختال بهـا النيل عجبا وفاخرت مصر بها .

وَغدَا الْبَيْتُ جَنَّـــةً بِالَّتِى فِيـــهِ، خَصِيباً بِالْأُنْسِ بَعْدَ يَبَابِه(٥٩)

يَا فَتَى الْكُرْدِ، كَمْ بَزَزْتَ رِجَالًا مِنْ صَمِيمِ الْحِمَى، وَمِنْ أَعْرَابِه(٦٠)

نَسَبُ الْمَرْءِ مَا يَعُدُّ مِنَ الْأَعْـــمَالِ، لَا مَا يَعُدُّ مِنْ أَنْسَابِه(٦١)

كَمْ سُؤَالٍ بَعَثْتَ إِثْرَ سُؤَالٍ أَيْقَظَ النَّائِمِينَ رَجْعُ جَوَابِه(٦٢)

كُنْتَ فِى الْحَقِّ لِلْإِمَامِ نَصِيرًا وَالْوَفِىَّ الصَّفِىَّ مِنْ أَصْحَابِه(٦٣)

نَمْ هَنِيئًا، فَمِصْرُ نَالَتْ ذُرَا الْمَجْـــدِ، وَفَازَتْ بِمَحْضِهِ وَلُبَابِه(٦٤)

مِنْكَ عَزْمُ الدَّاعِى، وَفَضْلُ الْمُجَلِّى وَمِنَ اللهِ مَا تَرَى مِنْ ثَوَابِه(٦٥)

---

(٥٩) يبابه : اليباب : القفر .

(٦٠) فتى الكرد : قاسم لأنه كردى الأصل من بلاد كردستان أقليم من أقاليم العراق يقع جزء منه بين دجلة والفرات . بززت : غلبت . صميم : خالص . الحمى : المراد بالحمى هنا مصر . يقول كثيراً ما بز قاسم فى سحر بيانه العربى المصريين والعرب ، وهو كردى ليس من صميم اللغة فى شىء ، فأكسبه ذلك شرفا وعزة بين الناطقين بالعربية .

(٦١) يقول : وليس ذلك بدعا فنسب المرء ليس بالآباء والأجداد وإنما بالأعمال وحميد الخصال .

(٦٢) إثر : بعد . رجع : الرجع الصدى وترديد الصوت . يقول لقد كان الناس فى غفلة عن حقوق المرأة وفى جهل بمالها من مكانة ومنزلة حتى كشف قاسم بكتابته ونقاشه عن الحق ونبه الغافلين وأيقظ النائمين .

(٦٣) الامام : المرحوم الشيخ محمد عبده . الصفى : المختار . ويقول : إن قاسما بحرية فكره ونضج آرائه كان للمرحوم الامام نعم المؤازر والنصير ، ومن أجل هذا قدمه الامام واصطفاه وجعله من خاصة بطانته وأوليائه .

(٦٤) الذرا : جمع ذروة : وهي أعلى كل شىء . المحض : الخالص الذى لم يخالطه غيره . اللباب : لب النخلة قلبها ، ولب الجوز واللوز ونحوها ما فى جوفه ، واللباب لغة فى اللب ولب كل شىء خالصه ولبابه مثله

(٦٥) المجلى : السابق من أفراس الحلبة ، ويليه المصلى ، والثالث المسلى ، وآخرها وهو العاشر يسمى السكيت . يدعو لقاسم أن يسعد فى قبره وينعم بالراحة فى جوار ربه لأن أمنيته قد تحققت وأن مصر نالت ذروة المجد وفازت منه بلبه وخالصه . ويقول كل ذلك بفضل عزمتك الصادقة ودعوتك الصريحة وسبقك إلى ميدان الجهاد وليس الله بمذهب عمل عامل ولا بمضيع ثواب سباق إلى الخير منا ضل عن الحق .

العاشق الغضبان

سنـــة ١٩٠٤

هَجَرَتنا وهَجَرْنا زَيْنَبـــا وَصحا القَلْبُ الذى كان صَبَا[١]
طالما سُقْتُ فؤادِى نَحْوها فَنَبَتْ عنه مِطَالاً ، ونَبا[٢]
ودعوتُ الوَجْدَ للَّهْوِ بهـــا فأَبَتْ دَلاًّ عليـــه ، وأَبَى[٣]
نَعَبَ البَيْنُ بِنَا ، سقياً له ! فاستَعَدْتُ البَيْنَ لمّا نَعبا[٤]
ومَضى الشَوْقُ فما جادتْ له مُقْلَتى بالدَّمْع لمّا ذَهَبا[٥]
عَلِقتْ غَيْرِى وتَرْجُو صِلَتى ؟ عَجَباً مِمّا تُرَجِّى عَجَبا ![٦]

---

(١) صحا القلب : ترك الهوى وخلاه جانبا . وصبا : أحب وهوى .

(٢) نبت : بعدت . والمطال : التسويف بالوعد مرة بعد أخرى . أى إنها كانت إذا أحست منى ميلا جزتنى عليه بعدا ، فكنت أقابلها بمثله .

(٣) الدل : أن تظهر المرأة جرأة كأنها تخالف وما بها من خلاف . أى إنه كلما أيقظ هواه وحبه لها ليأنس بقربها ويتمتع ، تمنعت عليه مدلة فتمنع هو كذلك .

(٤) البين : الفرقة . ونعيبه : ايذانه بالشتات والبعد . وسقيا له : يدعو له بالسقيا . واستعاد الشيء : طلب إعادته . أى إنه لما كان غير آسف على فرقتها دعا للبين بالسقيا واستطاب نعيبه فطلب تكراره .

(٥) المقلة : العين . وجودها بالدمع : ارسالها له .

(٦) علقت غيرى : أحبته وتعلقت به .

هل يَحُلُّ الغِمْدَ سَيْفانِ معاً ؟ أو يضُمُّ الغِيلُ إلاّ أغْلَبا ؟[٧]

* * *

إنَّ هـذا الْحُسْنَ كالماء ، إذَا كَثُر النّـاهِلُ مِنْه نَضَبا[٨]

وهو مِثْل الزَّهْرِ، إنْ أكْثَرْتِ مِنْ شَمِّـهِ يا زَيْنُ ، أمْسَى حَطَبا[٩]

وهو مِثْلُ المَال ، إنْ أسْرفْتِ فِي بَذْلِهِ للسّائليـهِ ، سُلِبا[١٠]

* * *

قَدُّكَ المائسُ قد بَغَّضَ لِي كُلَّ غُصْنٍ بَيْنَ أنْفاسِ الصَّبا[١١]

وجَنَى خَدَّيْكِ قد زَهَّدَنِي فى حَديثِ الوَرْدِ يُزْهَى فى الرُّبا[١٢]

أبْصَروا البَدرَ فقالُوا : وَجْهُها ! فتَغَشَّيْتُ بثَوْبِى هَـرَبا[١٣]

فاْحتَجِبْ يا بدرُ عن أعْيُنِنـا وعَزِيزٌ عِنْدنا أنْ تُحْجَبا ![١٤]

---

(٧) الغمد : جفن السيف . والغيل : الشجر الكثير الملتف تتخذه الآساد مأوى لها . والأغلب : الأسد . يعجب لها من جمعها بين حب رجلين وينكر عليها ذلك ويقول : إن صح أن يجتمع سيفان فى غمد أو أن تضم الغابة أكثر من أسد تكون له الزعامة ، صح لك أن تجمعى بين رجلين على حبك .

(٨) الناهل : الشارب . ونضب : قل وذهب .

(٩) يا زين ، أى يا زينب .

(١٠) يشبه حسنها فى هذا البيت والبيتين قبله بالماء ، إن أباحته للوراد نضب ، وبالزهر إن كثر من يشمه ذوى وجف ، وبالمال إن أطلقت يدها بالجود به عادت صفراً خالية . فهو ينصح لها أن تبقى على حبه وتنفرد به .

(١١) القد : القامة . والمائس : اللدن المتثنى . والصبا : ريح تهب من الشرق فى بلاد العرب .

(١٢) جنى خديك : شبه حمرة خديها بما يجنى من الورد . يزهى : يزدهى حسنا ونضرة . والربا : الأماكن المرتفعة ، الواحدة ربوة ، وخص الربا لأن رياضها أطيب ما تكون هواء ، وأنضر زهرا .

(١٣) تغشيت : تغطيت .

(١٤) يظهر برمه بها فى هذا البيت والأبيات الثلاثة قبله ويقول : إنك قد بغضت إلى الأغصان اللدنة تتثنى مع الرياح لشبهها بقدك فى لينه وتثنيه ، كما زهدتنى فى سماع الحديث عن الورد لشبهه بخدك . وقد حجبت عينى حتى لا أرى البدر عند ما قالوا إنه يحكى وجهك وسألته لذلك أن يحتجب — وإن كان هذا عزيزا على — حتى لا أرى وجهك فيه .

*
* *

أنَا يا زَيْنَبُ ماءٌ ، فإذا هِجْتِنِي صِرْتُ لَظًى مُلْتَهِبا(١٥)
أرْكَبُ المَرْكَبَ صَعْباً خَشِناً إنْ دَعَتْنِي هِمَّتِي أنْ أرْكَبا(١٦)
ضارباً فى سُبُلِ المَجْدِ ولَوْ رَصَفُوها بالعَوالِي والظُّبا(١٧)

---

(١٥) هجتنى : أثرتنى . واللظى : النار
(١٦) ركوب الصعب كناية عن تحمل المشاق والاستهانة بها
(١٧) العوالى : الرماح . والظبا : السيوف . يقول فى هذا البيت والبيتين قبله : أنا فى حال الرضا كالماء سلاسة وليونة ، وإذا غضبت صرت كالنار لهيبا وحرقة . وإنى ألبى داعى العلا مهما كلفنى ذلك من ركوب المشاق ، وأجتاز السبيل إلى المجد وإن كان موطئى منها أسنة الرماح وشبا السيوف .

الشَّرِيد*

نشرت فى صيف سنة ١٩٣٨

أَطَلَّتِ الآلامُ من جُحرِهِ ... وَلُفَّتِ الأسْقامُ فى طِمْرِهِ (١)

بُرْدَتُهُ الليلُ ، على بَرْدِهِ ... وكِنُّهُ القَيْظُ ، على حَرِّهِ (٢)

مُشَرَّدٌ يأوى إلى هَمِّهِ ... إذا أوَى الطيرُ إلى وَكْرِهِ ! (٣)

---

* الشريد : رمز لزمر الأحداث الشاردة تخلت عنهم الأبوة السادرة ، وتخففت منهم الأمومة المستهترة . أو ألح على آبائهم فقر عارم ، وزمن نكد ، فأذهل الوالد عما ولد ، والمرضع عما أرضعت . أو طوى ذويهم الردى ، فخلفوهم زغب الحواصل لا ماء ولا شجر ، فانسلوا من ظلمة الأكواخ إلى ظهر الأرض ، يركبونها نهارا ، ويفترشونها ليلا ، يسدون الجوع بما ضمت صناديق القمامات ، ويقتلون الحياة بجمع أعقاب اللفافات ، فإذا جن عليهم الليل ، استداروا حول أنفسهم على الأرض فى جانب من الطريق ، وأسلموا للكرى عيونهم ، ولا عليهم أن يهرأهم البرد ، أو تمطرهم السماء ، أو تعصف بهم الريح ، أو يحتويهم الظلام . وكم شرقت بهم السبل ، وا كتظت المدن ، وكم تدافعوا أمام الفنادق ، وتزاحموا عند كل ناد ومحفل ، فكانوا زكام الأنوف ، وقذى العيون ، وحرج الصدور ، ومزرعة الجراثيم ، وموطن الأسقام ، وسلالة الإجرام . فحق للشاعر أن تتراءى خلال قصيدته فى الشريد ، سواكب الدمع السخين ، وخفقات القلب الحزين ، واستنهاض المحسنين ، واستنداء الموسرين .

والشريد مشكلة اجتماعية مصرية ، نبه إليها الشاعر ، وفحص عن دائها ودوائها بفن المطبوع ، وصدق الخبير ، فعسى أن يجد الشريد من عناية المصلحين ، وسخاء الموسرين ، ما يأسو جراحه ، ويشفى أسقامه ، ويصلح حاله

(١) أطلت : أشرفت . الطمر : الثوب البالى . المعنى : أن مأوى الشريد مبعث الآلام الجسمية له ومبعث الآلام النفسية لمن يراه ، وأن ثيابه البالية قد ضمت على جسم ناحل كله علل وأمراض .

(٢) البردة : كساء صغير مربع . الكن : السترة . المعنى : ليس له غطاء يدرأ عنه برد الليل ، ولا ساتر يقيه لفح الحر .

(٣) مشرد : مطرود منفر . أوى : أقام وسكن . المعنى : أن الطبيعة التى جادت على الطير — وهو دون الإنسان — بالعش يأوى إليه ، ضنت على الشريد بالسكن والمأوى ، فهو يقضى حياته طريدا منفراً لا يسكن إلا إلى همه وحزنه .

ما ذاق حُلْوَ اللثْمِ فى خَدِّهِ ولا حنانَ المَسِّ فى شَعْرِهِ(٤)

وَلاَ حَوَتْه الأمُّ فى صَدْرِها ولا أبٌ ناغاهُ فى حِجْرِه(٥)

قد صَبَرَ النَفْسَ على ما بهـا وانتظَرَ الموعودَ من صَبْرِه(٦)

***

البَطْنُ مهضومٌ، طواه الطَّوَى ونامَ أهلُ الأرضِ عن نَشْرِهِ(٧)

والوجهُ لليـأْسِ به نَظْرَةٌ يَقذِفُها الحِقْدُ على دَهْرِه(٨)

جَرَّحه الدهرُ، فمِنْ نَابِه تلك الأخاديدُ، ومن ظُفْرِه(٩)

قد كتب اللهُ على خَدِّه خَطًّا يَبينُ البُؤْسُ فى سَطْرِه(١٠)

وغار ضوءُ الحِسِّ من عَيْنِهِ وفرَّ لَمْحُ الأُنسِ من ثَغْرِه(١١)

---

(٤) اللثم : التقبيل . الحنان : العطف . المس : يريد إمرار اليد فى شعر الرأس .

(٥) المناغاة : مخاطبة الصبي بما يعجبه ويسره . المعنى : لم يدلل فى صغره ، ولم يحبه إنسان بعطفه ، فما ذاق حلو القبل ، وما شعر كما يشعر الأطفال بالعطف عليه فى لين الأنامل تعبث بشعره ، ولم تضمه إلى صدرها أم رءوم ، ولم يضاحكه ويعابثه أب رحيم .

(٦) الصبر : حبس النفس عن الجزع . الموعود : إشارة إلى ما وعد الله به الصابرين من الخير . المعنى : قد جنب نفسه الجزع لسوء حاله ، واعتصم بالصبر لينال أجر الصابرين

(٧) مهضوم : ضامر . الطوى : الجوع . نشره : إحياؤه . المعنى : لقد هزله الجوع فأذوى عوده ، حتى صار كالموتى ، والناس عنه غافلون ، ليس فيهم من تحركه الشفقة فيجود عليه بما يحييه .

(٨) المعنى : أنه يئس من عطف الناس وحنانهم ، فسخط عليهم وعلى زمانهم ، وصارت نظرات عينيه ، وملامح وجهه ناطقة بما يملأ صدره من الحقد ، وما تنطوى عليه نفسه من البغض .

(٩) الأخاديد جمع أخدود : وهو الحفرة فى الأرض ، والمراد بها الغضون والتجاعيد التى يطبعها الهم والبؤس على وجهه .

(١٠) جعل الدموع خطوطا كتبها الله على خده ليقرأ الناس فيها معانى البؤس والهموم .

(١١) المعنى : تدل نظراته الشاخصة الساهية على فقد حسه ، وذهاب شعوره ، كما يدل ثغره الواجم الساهم على نفوره من الإنسان ، وعدم أنسه بأحد .

والبِشْرُ، أينَ البِشْرُ؟ وَيْحى له ! يا رحمةَ اللهِ على بِشْرِهِ ! (١٢)
يجرُّ رِجْلَيْهِ بَطِىءَ الْخُطَا كالْجُعَلِ المكْدُودِ من جَرِّهِ (١٣)
إنْ نام أبْصرتَ به كُتْلَةً تجمعُ ساقَيْهِ إلى نَحْرِهِ (١٤)
احتَبَسَتْ « أوَّاهُ » فى قَلْبِهِ واختنقت « وَيْلاهُ » فى صَدْرِهِ (١٥)
وجفَّ ماءُ العَيْنِ فى مُوقِهـا ماذا أفَادَ العينَ من هَمْرِه ؟ (١٦)
سالتْ به نَهرًا على لُقْمةٍ فعادَ كالسائلِ فى نَهْرِه ! (١٧)
لا يَجِدُ المأوَى ، ولو رَامَهُ أحالَهُ الدهرُ على قَبْرِه (١٨)
هناكَ يَثْوِى هادئًا آمِنًا من شَظَفِ العَيْشِ ومن وَعْرِه (١٩)

---

(١٢) البشر : طلاقة الوجه . ويحى له : رحمتى عليه . المعنى : وقد بدا العبوس على وجهه ، وذهبت طلاقته وبشره ، ومن أين لمثله البشر والفرح ؟ وقد جافته كل أسباب الهناءة والسعادة ، فما أجدره بالرحمة ، وأحقه بالعطف ؟

(١٣) الجعل : دويبة معروفة . المكدود : المتعب . المعنى : تراه يمشى فى بطء وتثاقل ، كأنه الجعل المجهود فى تكوير القاذورات ودفعها بأنفه

(١٤) النحر : أعلى الصدر . المعنى: إذا نام جمع ساقيه إلى صدره ، وتضامت أجلاده ، فظهر كتلة متجمدة لا أعضاء ممدودة

(١٥) أوّاه : يقصد بها الشكوى . ويلاه : يقصد بها الألم . المعني : قد أسلم لله أمره وحبس شكواه فى قلبه ، وكتم آلامه فى صدره

(١٦) الموق : جانب العين مما يلى الأنف . همر الدمع : أنصبابه . المعنى : استنزف المسكين دموعه ، وجمدت عينه ، فلم يفده تذراف الدموع .

(١٧) كان يسكب الدموع غزيرة كالنهر من أجل لقمة يمسك بها رمقه ، ولكنه كان يعود بعد ذلك بما يعود به السائل من النهر والزجر والطرد .

(١٨) قد عز عليه أن يجد مأوى ، ولو أراد ذلك لأبى الزمن أن يحققه له فى الدنيا ، وما جاد عليه إلا بالقبر وهو مثوى الآخرة .

(١٩) يثوى : يقيم . وعره : صعبه . المعنى : فى قبره يجد المأوى الذى ينزل فيه هادئ النفس من شقاء الحياة ، آمنا مما قاسى فى الدنيا من ضنك العيش ، وأهوال الزمن .

فكم بصدرِ القبْرِ من ضَجْعةٍ أحنَى من الدهرِ ومن نُكرِهِ ! (٢٠)

*
* *

متْعَبَةُ الإنسانِ في حِسِّهِ وشِقْوةُ الإنسانِ من فِكرِه (٢١)

كيف يُرَجَّى الصَفْوُ من كائنٍ الحَمَأُ المسنونُ في ذَرِّه ؟ (٢٢)

لم يَسْمُ للأملاكِ في أوْجِهَا ولا هَوَى للوَحْشِ في قَفْرِه (٢٣)

رام اللُبابَ المَحْضَ من سَعْيِهِ فلم يَنَلْ منه سِوَى قِشْرِه (٢٤)

يسعَى ، وما يَدْرِي إلى نفعِهِ سَعَى حَثِيثاً ، أم إلى ضَرِّه (٢٥)

آمنتُ باللهِ ! فكم عالِمٍ أعجزه المحجوبُ من سِرِّه (٢٦)

*
* *

اللهَ في طِفْلٍ غزاهُ الضَّنَى بأدْهَمِ الخَطْبِ ومُغْبَرِّه (٢٧)

---

(٢٠) أحنى : أعطف . النكر : القبح والشناعة . المعنى كثيرا ما يكون في ضجعة القبر من العطف والراحة ما لا يكون في الدهر النكر ، والزمن المعاند .

(٢١) كلما أرهف إحساس المرء في الحياة ، واتسعت دائرة فكره ، زادت متاعبه وآلامه .

(٢٢) الحمأ : الطين الأسود . المسنون : المتغير المنتن . ذره : الذر أصغر النمل ، ويراد به أصل الانسان وجرثومته . المعنى : لا يرجى الصفو في دنيا طبعت على كدر ، ومن إنسان خلق من طينة نتنة ، وامتزج الشر بأصله وطبعه

(٢٣) الأوج : ضد الهبوط ، هوى : سقط . المعنى : لم يصف الانسان ، ولم يسم إلى مرتقى الملائكة ؛ فيرتفع عن الدنايا ، ولم يتجرد من العقل ؛ فيعيش بطبيعة الوحش في القفار .

(٢٤) اللباب : قلب الشيء . المحض : الخالص . المعنى : لقد أجهد نفسه في السعي ليدرك خير ما في الدنيا ، لكنه لم يدرك إلا ظاهراً من الحياة ، ولم ينل إلا سرابا من الأمل .

(٢٥) حثيثاً : مسرعا . يسعى الانسان في الحياة ، وهو لا يدرى عاقبة سعيه ؛ فقد تكون خيرا ، وقد تكون شراً .

(٢٦) يقول إن لله في خلقه شؤونا وأسراراً محجبة عجز العلماء عن إدراكها .

(٢٧) أدهم : أسود . أدهم الخطب : أشد المصائب وأفدحها . المعنى : راقبوا الله ، وارعوا هذا الطفل الذى وقع فريسة الفقر والمرض ، وحلت به المصائب الثقال .

في ظُلُماتٍ ، مَوْجُها زاخرٌ   كأنّهُ ذو النُونِ في بَحْرِهِ (٢٨)
والناسُ بالشاطِئ ، من غافلٍ   أو ساخرٍ ، أمْعَنَ في سُخْرِه (٢٩)
والمَوْجُ كالذُؤبانِ حَوْلَ الفتى   يسدُّ أُذْنَ الأُفْقِ منْ زَأْرِه (٣٠)
نادَى ، وما نادَى سوَى مَرّةٍ   حتّى طواهُ اليَمُّ في غَمْرِه (٣١)
تظنُّه طِفْلاً ، فإن حَقّقَتْ   عيناكَ ، لم تَعْثُرْ علَى عُشْرِه (٣٢)
كأنَّه الشّكُّ إذا ما مَشَى   أو ما يرَى النائمُ في ذُعْرِه (٣٣)
طَغَى به الجوعُ ، ففي دَمْعِهِ   ما فعلَ الجوعُ ، وفي نَبْرِه (٣٤)

*
* *

واهاً لكفٍّ لَصِقَتْ بالثرَى   وائْتَدَمَتْ بالبُؤْسِ من عَفْرِه (٣٥)

---

(٢٨) موج زاخر : ممتد مرتفع . ذو النون : سيدنا يونس وقد ابتلعه الحوت في البحر ؛ فنجاه الله من الغم وأخرجه .

(٢٩) أمعن في سخره : بالغ في استهزائه .

(٣٠) الذؤبان : جمع ذئب . الزأر : صوت الأسد ، ويقصد به هدير الأمواج . المعنى : يصور الشاعر الأهوال التي تنتاب هذا الشقي ؛ فتخيل أنه في خضم الحياة المظلمة أشد كربا من سيدنا يونس حين ابتلعه الحوت ، والناس على الشاطيء ينظرون ما بين غافل عما يعانيه هذا الشقي ، وهازيء مبالغ في هزئه وسخريته ، والحياة تتناوشه تناوش الذئاب ، وترعجه بزئيرها المدوي في الأفق .

(٣١) اليم : البحر . الغمر : الماء الكثير . المعنى : أخذته أمواج الحياة الزاخرة ، وظلماتها الحالكة ؛ فما نادى مرة ليستغيث حتى طواه اليم ، وأخذه الموج .

(٣٢) حققت عيناك : دققت النظر .

(٣٣) ذعره : خوفه . المعنى : يخيل إليك عند أول وهلة أن الشريد — وقد تقمص صورة الانسان — طفل كـكل الأطفال : فاذا تبينته لا تراه يبلغ من الطفل عشره ضئولة وضمورا ، ويقع جرمه أمام عينيك موقع الشك من نفسك ؛ فتارة تثبته وأخرى تنكره ، وقد تظنه بعض الأشباح المروعة ، التي يراها النائم في نومه فتفزعه وتقض مضجعه .

(٣٤) طغى : جاوز الحد . المعنى : لقد اشتد عليه الجوع واستبد به ، وفعل به ما فعل من الشقاء والعذاب ، وآية ذلك ما ترى من دمعه الذي لا يرقأ ، وصوته الذي يكبحه الحزن والألم .

(٣٥) واها : اسم فعل للتعجب ، ويراد به هنا التفجع . الثرى : التراب الندى . ائتدم : أساغ الخبز بالادام . العفر : التراب . المعنى : يتوجع الشاعر لهذا المسكين الذي درج في أحضان الفاقة ، وذاق أقسى صنوف البؤس .

ماذا على الإِحسانِ لو ردَّها نَديَّةَ الأطْرافِ من بِرِّهِ ؟(٣٦)

ماذا على الإِحسانِ لو ردَّها رَطيبةَ الألْسُنِ من شُكرِه ؟(٣٧)

كم بَسْمَةٍ أرسلَها مُحْسنٌ أزْهى من الرَّوْضِ ومن زَهْرِه !(٣٨)

ولُقْمةٍ سدَّتْ فماً جائعاً رجَّحَتِ المِيزانَ فى حَشْرِه !(٣٩)

ومِنَّةٍ كانت جَناحاً له طارَ بهِ الذائعُ من ذِكْرِه(٤٠)

ودَمْعَةٍ يَذْرِفُها مُشْفِقاً أصْفَى من المَذْخُورِ من دُرِّه(٤١)

لا تُزْهِرُ الجَنَّةُ إلاّ بما يَسْفَحُه الباكِى على وِزْرِه(٤٢)

لو عَرَفَ الإنسانُ ما أجْرُه ما ضَنَّ بالنَّفْسِ على أجْرِه(٤٣)

---

(٣٦) ندية الأطراف : غضة بضة بالاحسان .

(٣٧) رطيبة الألسن : تلهج بالثناء . المعنى ما ضر ذوى الاحسان أن يسعفوه بكرمهم وجودهم ؛ فيردوا شقاءه سعادة ، وضموره بضاضة ونضارة ، ويطلقوا لسانه بشكرهم والدعاء لهم .

(٣٨) أزهى : أنضر ، ويقال زها النخل يزهو إذا احمر أو اصفر ، وزها النبت بلغ .

(٣٩) رجحت الميزان : غلبت بها حسناته سيئاته . حشره : يوم حسابه فى الدار الأخرى ، المعنى : كثيراً ما يسد الجائع رمقه بلقمة من فتات الموسرين فينالون عليها يوم القيامة ثوابا يضاعف الحسنات ويذهب السيئات .

(٤٠) منة : نعمة . الذائع : المنتشر . المعنى : كثيراً ما ينال المحسن باحسانه شهرة ذائعة ، وصيتاً طائراً ؛ فيحسن فى الناس ذكره ، ويرتفع قدره .

(٤١) المذخور : المدخر المعد لوقت الحاجة . المعنى : كثيراً ما تكون الدمعة التى يذرفها الرحماء حنانا على الشريد ، وإشفاقاً عليه ، أغلى جوهراً ، وأصفى منظراً من الدر المدخر ؛ لأن شعاع الدمع ينعكس على البصائر ، وشعاع الدر ينعكس على الأبصار ، وحسبك أن فى الدمع رقة القلب ، وفى الدر قسوة الحجر الصلب .

(٤٢) يسفحه الباكى : يريقه ويذرفه . وزره : ذنبه . المعنى : قد يكون من وراء الدمع عمل مشكور ، وبذل سخى ، ألا ترى أن الجنة التى أعدت للمتقين ، قد ترعرعت أشجارها ، وزهت أزهارها ، بدموع المذنبين التائبين الذين أنابوا إلى ربهم ، فعفا عنهم ، وغفر لهم .

(٤٣) لو عرف الانسان مقدار ما أعده الله من الجزاء الأوفى للمحسنين ، لبذل نفسه كى يفوز بهذا الجزاء الحسن .

يبقَى قليلُ المالِ مِنْ بَعْدِهِ ويَذْهَبُ المالُ على كُثْرِهِ (٤٤)
بيضُ أيادِى المَرْءِ فى قَومِهِ أغْلَى من البيضِ ومن صُفْرِه (٤٥)
والحُرُّ ، لا يَنْعَمُ فى وَفْرِه حتى يَنالَ الناسُ من وَفْرِه (٤٦)
والمرءُ ، لا يُعْرَف مِقْدارُه أو تنْبِئَ الأحْداثُ عن قَدْرِه (٤٧)
والناسُ كالماءِ ، فمن ضَحْضَحٍ ومن عَميقٍ ، حِرْتُ فى سَبْرِه (٤٨)
ليس الذى يُنْفِقُ من يُسْرِه مِثْلَ الذى يُنْفِقُ من عُسْرِه (٤٩)
كم دِرْهَمٍ أُلْقِىَ فى سِجْنِهِ ولم يَنَلْ عَفْوًا مَدَى عُمْرِه ! (٥٠)
لم يَرَ حُسْنَ الصُّبحِ فى شمْسِه ولا جَمالَ الليلِ فى بَدْرِه (٥١)

(٤٤) وإن قليلا من الحمد يناله المرء بالعمل الطيب ليبقى له بعد موته ذكرا خالداً فى الدنيا ، وأجراً عظيما فى الآخرة . أما المال الذى أتعب نفسه فى جمعه فستأتى عليه يد الضياع وإن كثر .

(٤٥) بيض الأيادى : النعم المشهورة والبيض : هنا الدراهم . الصفر : هنا الدنانير . المعنى : إن الاحسان والنعم التى يسديها المحسن إلى قومه لأعظم جدوى ، وأكثر عائدة مما يعتز به الانسان من الأموال .

(٤٦) وفره (فى الشطر الأول) : المال الكثير . وفره (فى الشطر الثانى) : ما زاد عن حاجته . المعنى أن ذا الاحساس الشريف ، والعواطف السامية ، لا ينعم بالثراء ، ولا يهنأ بطيبات الرزق حتى ينال الناس من بره ، ويشركوه فى وفره .

(٤٧) يقول : إن الرجل لا تعرف مكانته بالأقوال وإنما تظهرها الحوادث وشدائد الزمان .

(٤٨) الضحضح : الماء القليل قرب القرار . السبر : الاختبار . المعنى : الناس شتى فى طباعهم وأحوالهم ؛ فنهم الواضح السهل ، ومنهم الداهية الماكر ، كما أن منهم من ينضب معينه ويظهر عجزه عند الخبرة ، ومنهم لا تدرك غوره ولا تعرف ما تنطوى عليه نفسه إلا بمشقة .

(٤٩) إن الذى يجود وما لديه قليل خير ممن يجود وما لديه كثير .

(٥٠) السجن هنا المكان الذى يدخر فيه البخيل ماله .

(٥١) حسن الصبح : إشراقه وجماله .

يطْمَعُ وَخْزُ الْجوعِ فى وَصْلِهِ ويُرْسِلُ الزفْراتِ من هَجْرِهِ (٥٢)

والمالُ كالْخَمْرِ ، إذا ما طَغَى ضاقت فِجَاجُ الأرضِ عن شَرِّه (٥٣)

متى يَهُبُّ العقلُ من نَوْمِه ؟ أو يستفيقُ المالُ من سُكْرِه ؟ (٥٤)

متى أَرَى النفسَ ، وقد أُطْلِقَتْ من رِبْقَةِ المالِ ومن أَسْرِه ؟ (٥٥)

متى أرَى الْحُبَّ كضَوْءِ الضُّحَى كُلُّ امْرِئٍ يَسْبَحُ فى طُهْرِه ؟ (٥٦)

متى أرَى الناسَ ، وقد نُزِّهُوا عن شَرَهِ الذِّئْبِ وعن غَدْرِه ؟ (٥٧)

أُخُوَّةُ الغُصْنِ إلى صِنْوِهِ وبَسْمَةُ الزَهْرِ إلى قَطْرِه (٥٨)

---

(٥٢) الوخز : الطعن بالرمح ونحوه . المعنى : يحبس البخيل ماله الكثير فى خزائنه ، ويدعه طى الثرى ، وظلمة الجدران ، ويبقى طول حياته بعيدا عن الأبصار ، فلا يظهر منه شىء فى الوجود ، على أن هناك كثيراً من الناس فعل الجوع بأمعائهم ما فعل وودوا لو أصابوا شيئا من هذا المال ؛ ليدفعوا به مخمصة ، ويتقوا متربة ؛ فيرسلون الزفرات حارة لحرمانهم وميسرة غيرهم .

(٥٣) يقول : إن المال يأسر العقول ، ويفعل بها فعل الخمر ؛ فإذا غلبت على إنسان ذهبت بلبه ؛ فملأ الأرض شرا وظلما .

(٥٤) يهب : ينتبه . الربقة : العروة فى الربق وهو الحبل يشد به : يقول : متى ينظر الناس بعقولهم ، وينتبهون من غفلتهم ؛ فيعلموا أن الحكمة تقتضيهم إنفاق المال فى وجوه البر وأعمال الخير ؟ . ومتى يفيقون من سكرة المال الذى يزين لهم حب الشهوات ويطوع لهم ارتكاب المنكرات ؟

(٥٥) متى أرى النفوس وقد تخلصت من استعباد المال ، وعادت صافية خيرة .

(٥٦) يود الشاعر أن يسود بين الناس الحب الخالص من الأغراض الخسيسة ، الحب الصافى صفاء ضوء الضحى يغمر الناس بطهره ، ويضمهم إلى صدره ؛ فيعيشون إخوة متحابين ، قد خلت قلوبهم من شوائب الحقد والحسد ، وتجافت عن البغض والغمر .

(٥٧) الشره : شدة الحرص على الطعام . الغدر : الخيانة ونقض العهد . المعنى : يود أن تصفو خلائق الإنسان ، وتتجرد نفسه من طبائع الحيوان ؛ فهو والذئب أخوان ، ما دام من طباعه الطمع والغدر .

(٥٨) الصنو : الواحدة من النخلتين فى أصل واحد . المعنى : ويود أن تربط الإنسان وأخاه الإنسان أخوة الانسانية ؛ فيعمل كل منهما فى معاونة غيره ، ويرمى الجميع إلى غرض واحد هو سعادة المجتمع ، كالأشجار تشعبت فروعا ، وائتلفت تربة وجذورا ؛ فيصبح هذا الاخاء وهذا التعاون مصدر سعادة للناس أجمعين ، وكالندى يقع على الزهرة فتبتسم له ابتسام محبة وشكر .

وَرَحْمَةٌ ، رَفَّافَةٌ لم تَدَعْ قلْباً يُوارِي النارَ في صَخْرِهِ (٥٩)
لا يُحْسَدُ الجاهُ على مالِهِ أو يُنْهَرُ البُؤْسُ على فَقْرِهِ (٦٠)

***

كم شارِدٍ في مِصْرَ ، يا كُثْرَه من عَدَدٍ، يَسْخَرُ مِنْ حَصْرِه ! (٦١)
ذَخِيرَةُ الأمةِ أبنــاؤُها ماذا أفادَ النِيلُ من ذُخْرِه ؟ (٦٢)
ماذا أفادَ النيــلُ من ساعدٍ أسْرَعَ مِنْ ضِغْثٍ إلى كَسْرِه ؟ (٦٣)
وأَرْجلٍ أوْهَنَ من هَمْسَةٍ ومن نسيمِ الصُبحِ في مَرِّه ؟ (٦٤)
ومن فتاةٍ ، فَجْرُها لَيْلُها ومن غُلامٍ ، ضَلَّ في فَجْرِه ؟ (٦٥)

---

(٥٩) رفافة : هفافة شاملة ، ويقال : رف الطائر بسط جناحيه . يرجو الشاعر أن تنتشر الرحمة بين الناس ، وتستل سخائم النفوس ؛ فلا يترك قلب يخفى في جوانحه نار الحقد والبغضاء .

(٦٠) الحسد : تمني زوال نعمة المحسود . ينهر : يزجر . يقول : من مظاهر الرحمة التي أود أن تسود بين الناس ألا ترى الفقير يحسد الغني على ما آتاه الله من فضله ؛ لأنه يحسن إليه ويبره ولا ترى الغني يحتقر الفقير لفقره ; لأنه يخدمه ، ويعينه على هناءته وسعادته .

(٦١) يا كثره : تعجب من كثرته . حصره : عده . المعنى : أن في مصر كثيرا من الشراد الهائمين على وجوههم لا يحصون عدا .

(٦٢) الذخيرة : المدخر . أفاد : استفاد

(٦٣) الضغث : الحشيش الرطب واليابس . المعنى : أبناء الأمــة عدتها في مرافق الحياة ، وفي الدفاع عن حريتها وسلامتها ، ولــكن النيل لم يتحقق رجاؤه في أبنائه ، فلا يزالون متأخرين في العمل ، واهنين في ميادين الحروب ، وكيف ينال النيل غايته من أبنائه ، والنشاط في العمل ، والانتصار في الحرب ، إنما يعتمد على القوة ، وهم في حال من الضعف والاعتلال ؛

(٦٤) أوهن : أضعف . الهمس : الصوت الخفي . المعنى : ماذا يستفيد النيل من نابتة تحملهم سيقان واهنة كأنها لضعفها الهمسة الخفية ، أو لرقتها نسيم الصبح العليل .

(٦٥) كذلك لا تستفيد مصر من فتاة استقبلت فجر حياتها ، وربيع شبابها بأحداث كظلام الليل ، ولا تستفيد من غلام ما كاد يدرج حتى ضل في فجر الحياة ، وتخبط في بيداء الشقاء ؛ لأن هذا وتلك لم تشعرهما الأمة بعطفها حتى يعترفا بفضلها ، ولم تتهيأ لهما البيئة التي تنبتهما نباتا حسنا ، وتعدهما للعمل النافع لهما وللوطن .

أَلْقَتْهُ مِصْرُ هَمَلًا ضائعاً فصال يَبْغِى الثَّارَ مِن مِصْرِهِ[٦٦]

غاصَ من الآثامِ فى آسِنٍ يَكرَعُ مِلْءَ الفَمِ من مُرِّهِ[٦٧]

أسرَى من الليلِ ، وأمْضَى يَدًا من عَبَثِ الليلِ، ومن مَكْرِهِ[٦٨]

كم ضاق من شِقْوَتِهِ عَصْرُهُ وضاق بالسُّخْطِ على عَصْرِهِ ![٦٩]

شَجًا بِحَلْقِ الوَطَنِ المُفْتَدَى وشَوْكَةٌ كالنَّصْلِ فى ظَهْرِهِ[٧٠]

مدْرَسَةُ النَشْلِ وَسَلٌّ المُدَى أسَّسَها الشَيْطانُ فى جُحْرِهِ[٧١]

إذا هَوَى الْخُلْقُ ، وضاع الحِجَا فكلُّ شَيْءٍ ضاع فى إثْرِه ![٧٢]

---

(٦٦) هملا : متروكا سدى بغير راع . المعنى : تركته مصر من غير راع يرعاه ويشرف على تربيته ويقوم بشئونه فانطلق يعيث فى الأرض فسادا ، ويرتكب الجرائم انتقاما من أمته التى لم تحسن اليه

(٦٧) آسن : ماء آجن فاسد . يكرع : يشرب الماء بفيه من موضعه من غير أن يتناوله بكفيه أو باناء . المعنى : وغل فى ارتكاب أشنع الآثام وأقبح الذنوب ، وألف ذلك واستمرأه ، وتعود الجرائم ، شأن المخلوقات التى تنشأ فى الماء الراكد ؛ فيطيب لها مرعاها وإن كان مراً .

(٦٨) أسرى من الليل : أمضى . والليل إذا يسر أى يمضى . والسرى : السير بالليل . المعنى : أنه يذرع الأرض شرقا وغربا ، ويمضى فى نواحيها كما يمضى الليل ، ويعيث فيها فسادا تحت جنحه ، ويصبح أخطر من ظلام الليل ورهبته ، وغدره ووحشته .

(٦٩) شقوته : شقاؤه . المعنى : وكثيراً ما حير أهل زمانه ، بما يرتكب من الجرائم والأوزار ، كما أنه يتبرم من أهل زمانه ، ويسخط عليهم لقسوتهم عليه ، وعدم أخذهم أمثاله بالبر والاحسان .

(٧٠) الشجا : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه . النصل : حديدة السهم والرمح والسيف . المعنى : وقد أصبح من علل الوطن الذى قعدت بنهوضه ، وعاقت تقدمه ، وصبت عليه المصائب صبا ؛ وكان مبعثا للتأخر والضرر ، كأنه الشجا يعترض الحلق ، أو النصل فى الظهر .

(٧١) أسس الشيطان فى جحر هذا الشريد مدرسة تلقى بها دروس الخطف والسرقة وسلب الناس ، وتعلم بها الفتك والقتل .

(٧٢) هوى : سقط . الحجا : العقل . إثره : بعده . المعنى : الخلق القويم ، والعقل الحكيم يعصمان صاحبهما من الزلل ، ويجنبانه الخطل ؛ فاذا فسد الخلق ، وذهب العقل ، ضل الانسان طريق الخير ، واتجه إلى الشر، وصار كالحيوان المفترس أو أضل . وقد حرم الشريد التربية التى تبنى الخلق الطيب ، والعقل الرشيد ؛ لأنه نشأ فى معقل الاجرام ، ودرج فى معهد الطيش ؛ فأصبح شراً يخشى شره ، ولا يرجى خيره .

من يُصْلِح الأُسْرَةَ يصْلِحْ بها ... ما دَمَّرَ الإفسادُ فى قُطْرِهِ (٧٣)

* * *

جنايةُ الوالدِ نَبْـذُ ابنِـهِ ... فى عُسْرِه ، إنْ كان ، أو يُسْرِه (٧٤)

لا تَتْرُكُ الذِئْبَةُ أجْراءها ... ولا يَغيبُ الـكلبُ عن وَجْرِه ! (٧٥)

البَيْتُ صَحْراءُ إذا لم تَجِدْ ... طفُولةً تَمْرَحُ فى كِسْرِه (٧٦)

فعاقبوا الآباء إنْ قصَّروا ... لا بُدَّ للسادِرِ من زَجْرِه (٧٧)

وأنقذوا الطِفْلَ ، فما ذَنْبُـه ... إنْ جَمَحَ الوالدُ فى خُسْرِه ؟ (٧٨)

---

(٧٣) دمر : أهلك . المعنى : أن التشريد نتيجة للفساد الذى يشيع فى الأسرة ، وعاقبة للخلل الذى يصدع بناءها ، ويحل روابطها ؛ فمن يعمل على إصلاح الأسرة ، ويسع فى إقامتها على دعائم المحبة والتعاون ، فانه يصلح ما أعقبه انهيارها من فساد .

(٧٤) إن من الجنايات التى لا تغتفر أن يترك بعض الآباء أبناءهم ، ويتخلوا عن رعايتهم وكفالتهم وهم الذين ألقوا بهم فى خضم الوجود ، ودفعوا بهم إلى معترك الحياة ، وليس هناك عقل أو عاطفة ، تسوغ ما فعلوا فانهم إن تركوا أبناءهم وهم فى ميسرة فقد برهنوا على أثرة منكرة ، وإن تركوهم لفاقة وإملاق ؛ فقد أبدوا خوراً وضعفاً تتجافى عنه الأبوة الرحيمة ، وتأباه الرجولة الـكريمة .

(٧٥) الأجراء : جمع جرو ، وهو صغير كل شىء ، وولد الكلب والأسد والذئبة . الوجر : الـكهف فى الجبل وجحر الضبع . المعنى : أن الحيوان لم يتجرد من العطف والحنان على أبنائه ، ولم يتخل عن رعايتها فى صغرها ، ولم يهجر مأوى زوجه وأولاده ؛ فما بال الانسان يبدو فى نبذ أولاده ، وقسوته وجفائه ، أخطر من الذئب والـكلب وقد خصه الله بالـكرامة ، وميزه بالعقل .

(٧٦) كسره : جانبه . المعنى : وكيف يطوع الانسان لنفسه أن تحرم رونق الطفولة ، والأطفال فى البيت جنته وهم أزهار المنى ، ورياحين الحياة ، وكل بيت لا يدرجون فيه ، ولا يمرحون يخيم عليه العبوس ، والسكون الجاف ، ويصبح كالصحراء لا إلف بها ولا أنيس .

(٧٧) السادر : الذى لا يبالى ما يصنع . الزجر : المنع .

(٧٨) جمح : ركب هواه . المعنى : هؤلاء الآباء الذين يركبون هواهم ، ولا يبالون أن يسيئوا إلى أبنائهم بتركهم يضرسون بحصر مهم ، ويسيئوا إلى أمتهم بهؤلاء الذين ينشئون جناة مجرمين ، هؤلاء يجب أن يزجروا بالعقوبة الصارمة . وإلا فما ذنب الأمة تبتلى برجال يزرعون فيها الجرائم ؟ وما ذنب الأطفال يشقون بحمق آبائهم ، ويتعسون بطيشهم ؟

رَبُّوهُ ، يَنْمــو ثَمَــرًا طيِّبًا ... لا ييأسُ الزارعُ من بَذْرِهِ (٧٩)
وعلِّموهُ عمَـــلًا صالحًا ... يَشُدُّ — إن كافَحَ — من أَزْرِهِ (٨٠)
ربُّوه فى الريفِ ، لعلَّ القرَى ... تُصْلِحُ ما أَعْضَلَ من أَمْرِهِ (٨١)
النَّفْسُ مِرْآةٌ ، وغُصْنُ النَّقَا ... يَطيبُ أو يَخْبُثُ من جِذْرِهِ (٨٢)
لعــلَّ هَمْسَ الغُصنِ فى أُذْنِهِ ... يُنْسِيهِ ما أَضْمَرَ من ثَأْرِهِ! (٨٣)
لعــلَّ أنْفاسَ نسيمِ الرُّبا ... فى صَدْرِهِ ، تُبْرِدُ من جَمْرِهِ! (٨٤)
النِيــلُ يستنجِدُ مُسْتَنْصِرًا ... فأَسْرِعوا الخَطْوَ إلى نَصْرِهِ (٨٥)
لا يذهبُ المعروفُ فى لُجَّــةٍ ... ولا يَكُفُّ المِسْكُ عن نَشْرِهِ (٨٦)

---

(٧٩) أحسنوا تربية هذا الطفل تجنوا منه الأعمال التى تنفع نفسه ، وتخدم أمته ؛ فان فيه عناصر الخير وبذور الحياة ، كالبذر الذى استكنت فيه الحياة ، فهو لا بد أن ينبت متى صادف تربة طيبة.

(٨٠) الأزر : القوة . يقول : يجب أن تعلموه عملا يكسب به عيشه ويعتمد به على نفسه ويبعثه إلى ميدان الحياة شديد الأزر ، قوى الساعد ، فيكافح فيها بسلاح مرهف ، لا ينبو ولا يتثلم.

(٨١) ابعثوا به إلى الريف حيث البيئة الصالحة ، وموطن الحرث والغرس ، والعيشة القانعة ، فلعل هذا المربى يصلح فاسده ، ويقوى معوجه وينبته نباتا حسنا ، وينضجه ثمراً طيبا .

(٨٢) نفس الطفل كالمرآة . تأخذ كل صورة تقع عليها ، أو كالعجينة تمثل صورة القالب الذى تصب فيه : أو كالغصن يطيب فى التربة الصالحة ويخبث فى التربة الخبيثة ، « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذى خبث لا يخرج إلا نكدا » فإذا نشأ الطفل فى هذه البيئة الريفية النقية أخرجت منه عاملا نافعا ، وشابا صالحا .

(٨٣) همس الغصن : صوته وحفيفه

(٨٤) يقول : ربما أنساه حفيف الشجر ، وأنفاس الزهر ، ونسيم الربا ، ما انطوى عليه من حقد على المجتمع ، وكراهية للابوة التى شردته ، ولعل ذلك يطيب من نفسه ، ويشرح من صدره فيثلج فؤاده ، وتنطفئ جمرة غيظه ، ويشعر بالراحة والطمأنينة فى حضن الطبيعة ، ولذة العمل .

(٨٥) يستنجد : يطلب الإنقاذ والغوث . المعنى : يناديكم النيل ، ويستغيث الوطن ، أن تمدوا يد المساعدة إلى هؤلاء المشردين ، والواجب الوطنى يقضى عليكم أن تسرعوا إلى إجابته ، وتلبوا نداءه ، وتعملوا على سعادته ، « ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » .

(٨٦) نشره : رائحته الطيبة . يقول : إن ما تقدمونه من خير ، وما تبذلونه لإنقاذ الشريد ، ستنالون عليه ثواب الله مضاعفا ، وهو إلى ذلك سينشر ذكركم ، ويرفع قدركم ، وينم عليكم ، كما تنم على المسك رائحته الطيبة .

رثاء عاطف

أنشدت فى حفل تأبين عاطف بركات باشا وكيل وزارة المعارف سنة ١٩٢٤

العَيْنُ عَبْرَى ، والنُّفُوسُ صَوادِى ... ماتَ الْحِجَا ، وقَضَى جَلاَلُ النَّادِى [(١)]

أَرَجَاءَ ذَا الوادِى الْخَصِيبِ جِنابُهُ ... ماذَا أَصَابَكَ يا رَجَاءَ الوَادِى ؟ [(٢)]

سَهْمٌ رَمَاكَ بِهِ الحِمَامُ مُسَدَّدٌ ... أَوْدَى بأَىِّ رَوِيَّةٍ وسَـدَادِ [(٣)]

وقَضَى على الآمَالِ فِى أَفْنَانِها ... فَذَوَتْ ولم تُمْهَلْ لوَقْتِ حَصَادِ [(٤)]

وأَصَابَ من قَبَسِ الزَّكَانَةِ شُعْلَةً ... وَهَّاجَـةً ، فَغَدَت فَتِيتَ رَمَادِ [(٥)]

---

(١) عبرى : يجرى دمعها حزنا . وصوادى : ظمأى من حرقة الحزن ولهيبه . والحجا : العقل . فى موته فناء للعقل لما كان يتصف به من عقل وفطنة . وقضى : فنى وذهب . والنادى : مجتمع القوم . وجلاله : أى من كان زينته ومصدر بهائه .

(٢) يا رجاء الوادى : أى يا من كنت مناط أمله ومعقد رجائه ، يقصد إليك فى الملمات . والجناب : الناحية .

(٣) الحمام : الموت . والمسدد : الذى يصيب الغرض ولا يحيد عنه . وأودى به : أهلكه وأتى عليه . والروية : الفطنة والعقل . والسداد : التوفيق فى الأمور وإصابة ناحية الصواب منها. يبكى فى الفقيد روية معها النجح وسدادا لايفوته القصد .

(٤) الضمير فى « قضى » يعود على السهم فى البيت السابق . والأفنان الأغصان ؛ الواحد : فنن (بالتحريك) . وذوت : ذبلت وجفت . يبكى آمالا غضة كانت تمتلئ بها نفس الفقيد فجاء الموت فحال دون نفاذها وتمامها .

(٥) القبس : الشعلة تقتبس من معظم النار . والزكانة : الفراسة والبصر بالأمور . والوهاجة المتقدة . والفتيت : ما تكسر وتحطم . يشبه توقد ذكاء الفقيد بالشعلة الوهاجة أتى عليها عامل الفناء فخبت نارها وغدت رماداً .

وطَوَى حُسَامًا مِنْكَ فِي جَفْنِ الثَّرَى ... قَدْ كَانَ يَسْتَعْصِي عَلَى الأَغْمَادِ (٦)

صُحُفُ الحَيَاةِ ، وأَنْتَ أَصْدَقُ قَارِئٍ ... لسُطُورِهَا ، تُطْوَى إِلَى مِيعَادِ (٧)

والوَرْدُ يَزْهُو نَاضِرًا فَوْقَ الرُّبَا ... ويَعُودُ حِينًا وهو شَوْكُ قَتَادِ (٨)

والمَاءُ يَجْتَذِبُ النُّفُوسَ نَمِيرُه ... وَلَقَدْ يَكُونُ المَاءُ غُصَّةَ صَادِي (٩)

مَا هَذِهِ الدُّنْيَا ؟ أَمَا مِنْ نِعْمَةٍ ... فِيهَا لغَيْرِ تَشَتُّتٍ ونَفَادِ ! (١٠)

قَدْ حَيَّرَتْ شَيْخَ المَعَرَّةِ حِقْبَةً ... فِي نَوْحِ بَاكٍ أَوْ تَرَنُّمِ شَادِي (١١)

تَعَبُ الحَيَاةِ يَجِيءُ من لَذَّاتِهَا ... ولذِيذُهَا يُجْنَى مِنَ الإِجْهَادِ (١٢)

---

(٦) الحسام : السيف القاطع . شبهه بالسيف مضاء فى الأمور ونفاذا فيها . وفى جفن الثرى أى تحت طيات التراب . ولما شبه الفقيد بالسيف جعل القبر له جفنا وغمدا . وقد كان يستعصى.. ألخ ، يصف امتناعه على الحوادث وإباءه ، وأنه كان قوى الشكيمة صعب المراس، ولكن للموت سلطانا وجبروتا ينطوى دونهما كل سلطان ويزول كل جبروت .

(٧) صحف الحياة : الأعمار والآجال ، جعلها كالصحف لما تضم . تطوى : تلف وتودع .

(٨) الربا ما ارتفع من الأرض ؛ الواحدة : ربوة . وخص زهر الربا لأنه بارتفاع منبته يمتنع عما تصاب به الأودية من غبار ثائر يغطيها فيذهب بنضرة زهراتها ، ذلك إلى ما تتمتع به الربا من جودة هواء ورقة نسيم تينع معه زهراتها وتنضر نوراتها . والقتاد : شجر صلب له شوك كالأبر

(٩) نميره : الصافى العذب منه . والغصة : ما يعترض فى الحلق فيتأذى به الأنسان . والصادى العطشان . يذكر فى هذا البيت والذى قبله تغير الأمور وعدم استقرارها على حال ضاربا المثل بزهر الربا وكيف أن زهراته تعود بعد النضرة ، يابسة ذاوية تحكى الشوك ملمسا وأذى؛ وبالماء يكون حينا نعمة وحينا نقمة، وكما يجد الأنسان فيه حياته يجد حتفه وسيعود الشاعر إلى هذا المعنى فيما يأتى.

(١٠) التشتت : الفرقة . والنفاد : الزوال والانتهاء . يعجب من سير الأمور فى هذه الحياة وكيف أن نعمها لا تنتهى إلا إلى زوال وإمحاء .

(١١) شيخ المعرة : أبو العلاء المعرى الشاعر المعروف بزهده . والحقبة المدة . ويشير بالشطر الثانى من هذا البيت إلى قصيدة أبى العلاء التى مطلعها :

غير مجد فى ملتى واعتقادى ... نوح باك ولا ترنم شادى

والتى فيها يسوى أبو العلاء بين البكاء والترنم وصوت النعى وصوت البشير ، ما دام أن كلا منهما منته إلى غاية

(١٢) يقول : إن لذات الحياة مصدر آلامها وتعبها ، كما أن هذه اللذات لا تنال إلا بالكد فى سبيلها ، فالحياة أولها تعب وأخرها تعب .

يَطْوِى بِسَاطَ الْعُرْسِ فيها مأتمٌ   فى إِثْرِه عِيدٌ من الأَعْيَادِ(١٣)

قَدْ كَانَ فِى رُزْءِ الْحُسَيْنِ بِكَرْبَلاَ   عيد اليَزِيدِ وعيدُ آل زِيادِ(١٤)

***

أَيَمُوتُ عاطِفُ، والكِنَانَةُ تَرْتَجِى   وَثَباتِه، واليومُ يَوْمُ جِلَادِ؟(١٥)

أَيَمُوتُ فى المَيْدَانِ، لم يُغْمَدْ له   سَيْفٌ، ولم يُخْلَعْ نِياطُ نِجادِ؟(١٦)

أَيَمُوتُ، والنَّصْرُ المُبِينِ مُلَوِّحٌ   بِلِوَائِه لطَلاَئِعِ الأجنَادِ؟(١٧)

وَيَغِيضُ ماءٌ كانَ أَيْسَرُ قَطْرةٍ   مِنهُ حَيَاةَ خَلاَئِقٍ وبِلادِ؟(١٨)

عُمْرٌ إذَا قَلَّتْ سِنُوه، فإنَّما   آثارُهُنَّ كثِيرَةُ التَّعْدَادِ(١٩)

كالعِطْرِ تَجْمَعُ قَطْرةٌ من مائِه   زَهْرًا، يَنُوءُ بغُصْنِه المَيَّادِ(٢٠)

---

(١٣) يذكر تقلب الأحوال فى الحياة وأن الانسان يخرج فيها من سرور إلى هم ومن هم إلى سرور لا دوام لهذا ولا لذاك . وقد يكون فى همك ما يسعد غيرك وفى سعادة غيرك همك .

(١٤) الرزء : المصيبة يرزأ تحت ثقلها الانسان فلا يقوى على حملها . وكربلاء : حيث قتل الحسين عليه السلام . واليزيد : هو ابن معاوية . وزياد : هو ابن أبى سفيان . ويريد بآله الشيعة الأموية التى خرجت على على بن أبى طالب .

(١٥) وثباته : حملاته . والجلاد : الجهاد والشدة .

(١٦) النجاد : حمالة السيف . ونياط الشىء : ما يعلق به ويشد ؛ الواحد : نوط .

(١٧) المبين : المحقق . وملوح : مشير . واللواء : العلم . وطلائع الأجناد : من فى المقدمة منهم . يندب الفقيد فى هذا البيت والبيتين قبله حاملا على الدهر باللائمة فى عدوانه على الفقيد أحوج ما تكون البلاد إليه . وأنه اختطفه والجهاد فى سبيل النهضة لا يزال حامى الوطيس ، وهو لم يغمد له سيف ولم تسكن له هائجة ، ونحن من النصر قاب قوسين أو أدنى . وفى هذا العدوان ما يفوت على الأمة ثمرة جهادها ويحرمها لذة انتصاراتها لحرمانها جهد عظيم كجهد الفقيد .

(١٨) غاض الماء : غاب وذهب . جعله لأمته كالماء حياة وإنعاشا .

(١٩) يشير إلى اخترام المنية للفقيد ولما تتقدم به السن . ثم يقول : هو وإن عاش سنين معدودة كانت حياته القصيرة حافلة بجلائل الأعمال التى يكثر عدها ويصعب حصرها .

(٢٠) ينوء : يعيا ويكل . والمياد : المتثنى لينا . جعل عمره على قلة سنيه كالنقطة من العطر تجمع مئات الأزهار .

كَمْ مِنْ فَتِيٍّ فى التُّرابِ ، وخَلْفَهُ ذِكْرٌ يُزاحِمُ مَنكِبَ الآبادِ[٢١]

ومُعَمَّرٍ عَبَرَ الوُجودَ ، فَما رَنَا طَرْفٌ إليهِ ولا بَكَى لبِعادِ[٢٢]

عُمْرُ الرِّجالِ يُقاسُ بالمَجْدِ الَّذى شادُوه ، لا بتَقادُمِ الميلادِ[٢٣]

*
* *

عَزٍّ (المعارف) مُطرِقًا فى عَاطِفٍ زَيْنِ الفِناء وسَيِّدِ الأنْدَادِ[٢٤]

للعِلْمِ والأخْلاقِ كانَ مُعاضِداً فطَوَى الحياةَ وفَتَّ فى الأعْضادِ[٢٥]

مازَالَ يَكْدَحُ، والخُطوبُ بمَرْصَدٍ والدَّاءُ يَطْغَى ، والزَّمانُ يُعادِى[٢٦]

لَمْ تَثْنِهِ الآلامُ عن غاياتِه أو تَلْوِه الأسْقامُ دُونَ مُرادِ[٢٧]

فاللَّيْلُ مَوْصُولٌ بيَوْمٍ حافِلٍ واليومُ مَعقُودٌ بلَيْل سُهادِ[٢٨]

---

(٢١) الآباد : جمع أبد (بالتحريك) وهو الدهر . يقول : كم من فتى حديث السن كالفقيد مضى وخلف من ورائه ذكرا يبق مع الدهر كتفا إلى كتف لا يقوى الدهر على مغالبته والذهاب به.

(٢٢) المعمر : الذى طال عمره وعلت سنه . وعبر الوجود : مات . جعل الحياة كالجسر يعبر عليه العابرون إلى الموت . ورنا : نظر . والطرف : البصر . أى كثير من الشيوخ الذين بلغوا من الكبر عتيا عاشوا نكرات وماتوا غير مأسوف عليهم .

(٢٣) أى إن الأنسان مذكور بعمله وما جدد ، لا بسنى عمره الكثيرة .

(٢٤) الفناء : الناحية والمكان . والأنداد : جمع ند ، وهو النظير والشبيه . جعله زينا لكل مكان يحل فيه ، وفوق نظرائه مكانة ومنزلة . وسيبسط فى الأبيات الستة الآتية آثار الفقيد وجهاده الذى سوده على غيره وجعله جمال الأندية وزينتها .

(٢٥) معاضدا : ناصرا ومؤازرا . وفت فى الأعضاد : أوهن وأضعف .

(٢٦) يكدح : يجد ويجاهد . والخطوب بمرصد : تتحين به الفرص وتتوقع به الدوائر . والداء يطغى : يستفحل . يشير إلى مرض السرطان الذى مات به الفقيد .

(٢٧) لم تثنه : لم تقعد به ولم تصرفه . ولم تلوه : لم تحوله وترجع به . يشير إلى همة الفقيد التى لم تعرف معنى الراحة مع الألم ، ولا السكون مع السقم .

(٢٨) يوم حافل : كثير الأعمال . والسهاد : الامتناع عن النوم . واليوم معقود بليل سهاد: أى نهاره متصل بليله فكل يومه نهار لا راحة ولا نوم فيه .

وكأنّما نصْحُ الطبيبِ بسَمْعِهِ هَذَرُ الوُشاة ، وزَفرةُ الْحُسّادِ[٢٩]

وَهَبَ الحياةَ كريمةً لبلادِهِ ومَضى إلى الأخرى صَريعَ جِهادِ[٣٠]

وإذا بذلتَ لمصرَ كلَّ عَزيزةٍ إلاّ الحياةَ، فأنتَ غيرُ جَوادِ[٣١]

* * *

حَمَلُوا على الأعوادِ خيرَ وديعةٍ (أعلمتَ مَنْ حَمَلوا على الأعوادِ؟)[٣٢]

في رَكْبِهِ زُمَرُ السَّمواتِ العُلا تَحْدُو مَطِيَّتَهُ لِخَيْرِ مَعادِ[٣٣]

والصبرُ ناءٍ ، والرؤوسُ خواشِعٌ والدَّمعُ جارٍ، والقُلوبُ صَوادِي[٣٤]

حَمَلوا على النَّعْشِ الكريمِ، سُلالةَ الْ حَسَبِ الكريمِ ،وصَفوةَ الأمجادِ[٣٥]

وتَحمَّلوهُ ليَدْفِنوا تحتَ الثَّرى شَمَمَ الأُباةِ، وصَوْلةَ الآسادِ[٣٦]

---

(٢٩) الوشاة : العيابون الذين يمشون بالسوء ويشيعون الأخبار الشائنة . وزفرة الحساد : ما تتنفس عنه صدور الحاسدين من ألم الحقد ولهيب الموجدة . يقول: إنه كان لا يأبه بنصائح الأطباء له بالإخلاد إلى الراحة حرصا على صحته ، وكان يعد مثل هذه النصائح كأخبار الوشاة وتأوهات الحاسدين التي ما كان يلتفت إليها ولا يعنى بأمرها .

(٣٠) الأخرى ، أي الحياة الأخرى . أي إنه بذل حياته عن طيب خاطر وقضى صريع جهاده ضحية في ميدان العمل لأمته .

(٣١) يقول : إن من بذل في سبيل مصر كل شيء وضن عليها بحياته فهو معدود في البخلاء لا الأمجاد والكرماء ، إذ الحياة في سبيل الوطن رخيصة .

(٣٢) الأعواد : النعش . والشطر الثاني مطلع قصيدة للشريف الرضي

(٣٣) الزمر : الجماعات . ويريد « بزمر السموات » الملائكة . وتحدو : تسوق وتدفع . ويريد « بالمطية » : نعشه . يذكر طيب مصير الفقيد وحسن جزائه على ما أسلفه

(٣٤) ناء : بعيد . وخواشع : مطرقة رهبة وخشية . وصوادي : جافة من حرقة الحزن ولهيبه . يذكر ما ملك الأنفس حين تشييعه من جزع والرءوس من إطراق وهيبة ، والدموع من جريان وانحدار ، والقلوب من حرقة وصدى .

(٣٥) سلالة الحسب : أي إنه كريم الأصول شريفها . وصفوة الأمجاد : أي إنه خيار من خيار وماجد من أمجاد .

(٣٦) تحملوه : حملوه . والشمم : العزة والامتناع . والأباة : جمع أبي وهو الذي يأبى الضيم والذلة . وصولة الآساد : بطشها وقوتها .

حَفَّ الشبابُ به ، وفى عَبَرَاتِهم كَمَدُ الجنودِ لمصْرَعِ القُوَّادِ(٣٧)

*
* *

يا رَامِيَ الأملِ البَعيدِ بهِمَّةٍ شَمَّاءَ تُدْرِكُ غايةَ الأبْعادِ(٣٨)

وعَقيدةٍ لو صُوِّرَتْ بمُماثِلٍ كانت تكونُ رَصانَةَ الأطْوادِ(٣٩)

لم يَزْهُها ضافِى المديحِ ، ولم تكن فى الحقِّ ترهبُ صولةَ النقَّادِ(٤٠)

وعزيمةٍ لا الزجرُ نهنهَ هَمَّها يوماً ولا فُلَّتْ ، من الإيعادِ(٤١)

كادت تَدُورُ مع الكَواكِبِ دَوْرَها بالنَّحسِ آونةً وبالإسْعادِ(٤٢)

كانتْ أحزَّ من المُدَى ، وأحدَّ مِنْ غَرْبِ الظُّبَى يُسْلَلْنَ يومَ طِرَادِ(٤٣)

وَثِقَتْ بخالِقها القَدِيرِ فشمَّرتْ مَحْمودةَ الإصْدَارِ والإيرَادِ(٤٤)

سِيشيلُ منه رَأتْ هَصوراً يَزْدَرِي ألمَ الإسَارِ ، وقَسْوةَ الأصْفَادِ(٤٥)

---

(٣٧) حف به : التف . والكمد : الحزن . يصف حزن الشباب عليه وقد تجلى فى عبراتهم بأنه كحزن الجندى تولى عنه قائده فتركه من غير مرجع يعود إليه فى المحنة والبلاء .

(٣٨) رامى الأمل : مدركه ومصيبه . والشماء : العالية . يندب طموحه نحو المعالى .

(٣٩) الرصانة : الرسوخ . والأطواد : جمع طود ، وهو الجبل العظيم .

(٤٠) لم يزهها : لم يبطرها فتطيش زهوا وعجبا . وضافى المديح : عريضه وعظيمه . والصولة : السطوة . أى انه لم يطر به المديح فيقعد به كما لم تخفه حملة النقاد فتثنيه عن غرضه .

(٤١) نهنه : خفف ولطف . وفلت : تكسرت . والإيعاد : التهديد .

(٤٢) أى إن عزيمته كادت تكون كالفلك الدوار تجلب السعد لأقوام والنحس لآخرين .

(٤٣) أحز من المدى : أحد وأقوى قطعا . وغرب الظبى : حد السيوف . ويسللن : ينتزعن من أغمادهن . ويوم الطراد : الحرب . أى إن عزيمته كانت أمضى من المدى وأقطع من السيوف

(٤٤) شمرت : جرت متجهة إلى ما تريد . والإصدار والإيراد ، الفعل والترك . أى إنه لحسن ثقته بربه ما كان ليجامل أو يخاف

(٤٥) سيشل : إحدى الجزر التابعة لانجلترا وتقع إلى الشرق من افريقية . وإليها نفى الفقيد مع المغفور له سعد زغلول باشا وغيرهما . والهصور : الأسد . ويزدرى : لا يعبأ . والإسار : الأسر . والأصفاد : القيود . يذكر قوة احتماله لألام النفى .

لَهْفِي عَلَيه ، والدّيارُ بَعِيدةٌ وخَيالُ مِصْرَ مُرَاوِحٌ ومُغادِي (٤٦)

مُتَوَثِّباً نحوَ المُحِيط كأنَّه صَقْرُ الفَلاةِ بِكفَّة الصَّيّاد (٤٧)

ما دكَّه عَصْفُ الخُطُوبِ ولا وَنَى لزَعازِع الإبْراق والإرْعاد (٤٨)

لا تَعْجَبوا ، مَنْ كان سعدٌ خالَهُ ألقَتْ له الأخلاقُ كلَّ قِيَاد (٤٩)

سَعْدُ الذي غَرَسَ المُهَيْمِنُ حُبَّه فِي كلِّ جارِحةٍ وكلِّ فُؤَاد (٥٠)

* * *

مُحْيِي القَضَاء رَمَاه فِي رَيعَانِهِ سَهْمُ القضاءِ ، فما له من فادي ! (٥١)

وثبتْ عَليه من المَنُونِ غوائلٌ وعَدَت عليه من الزّمان عَوادِي (٥٢)

شَيّدتَ دارًا للقَضاءِ فأصْبَحَتْ للدّينِ والأخْلاقِ خيرَ عِمادِ (٥٣)

---

(٤٦) مراوح ومغادى : يعاوده رائحا وغاديا . أى إنه كان فى نفيه لا يفتأ يذكر مصر على الرغم من بعده عنها .

(٤٧) الفلاة : المفازة ، وصقورها تعرف بالشدة والقوة . وكفة الصياد : حبالته . والصقر إذا احتوته الحبالة كان كثير النزوع إلى الخلاص منها فيضطرب فيها غير مستقر فى مكانه ضاربا بنفسه ذات اليمين وذات الشمال . يشبه توثب الفقيد نحو وطنه وهو فى منفاه وعدم استقراره فيه على حال ، بالصقر فى حبالته لا يطيب له بال حتى يخلص من ضيق الحبس إلى فسيح الحرية .

(٤٨) ما دكه : ما صدعه ونهنه من شدته . وعصف الخطوب : شدتها . ولاونى : ولاضعف ولا فتر ، وزعازع الإبراق والإرعاد : ويلات الوعيد والتهديد .

(٤٩) ألقت له كل قيـاد : أذعنت له وسلمت أمرها إليـه . أى إنه جاء كخاله سعد فى أخلاقـه وإبائه .

(٥٠) المهيمن : الله سبحانه

(٥١) محيي القضاء يشيد بأياديه على مدرسة القضاء الشرعى التى أنجبت قضاة أخذوا بيد القضاء ونهضوا به . وريعانه : اكتمال قوته . وسهم القضاء : سهم الموت . فماله من فادى : أى ما من أحد يمنع عنه الموت ويرد عنه عاديته .

(٥٢) غوائل المنون : عوادى الموت . وعوادى الزمان : ما يصيب به ويعدو ، يريد الموت .

(٥٣) العماد : ما يقوم عليه الشىء ويعتمد . يشير إلى عهده فى مدرسة القضاء الشرعى وآثاره فيها .

لو لم تَجِئْ يومَ الحِسابِ بغَيْرِها لَسَمَوْتَ فوقَ منازلِ العُبّادِ(٥٤)

وبَثَثْتَ رُوحَكَ في الشّيوخِ، فكلُّهم داعٍ إلى نُورِ النبوّةِ هادِي(٥٥)

وبَنَيْتَ بالأخلاقِ منهمْ دولةً بَلغتْ بحَوْلِكَ أبْعَدَ الآمادِ(٥٦)

الدِينُ سَمْحٌ، إنْ سَلَكْتَ سَبيلَه لِلْخَيْرِ، لا للشَّرِّ والإفْسَادِ(٥٧)

فلَكَمْ رَأينا في المَعابدِ أشْعَبًا للخَتْلِ يَلْبَسُ بُرْدَةَ الزُّهّادِ(٥٨)

*
* *

فَزِعت لك الأَقْلامُ فوق طُروسِها ومن المِدادِ لَبِسْنَ ثوْبَ حِدادِ(٥٩)

وتَكادُ تَلْتَهِبُ المَنابرُ حَسْرةً لمّا رَحَلْتَ، على خَطِيبِ إيادِ(٦٠)

والشِّعْرُ أضحتْ هاطلاتُ دُموعِهِ بَحْرًا، فناحَ عليكَ في الإنشادِ(٦١)

مَنْ لي، وظِلُّ الموتِ داجٍ بَيْننا بضِياءِ ذاكَ الكَوْكبِ الوَقّادِ!(٦٢)

---

(٥٤) سموت : علوت وارتفعت ، أي حسب الفقيد عملا يتقدم به إلى الله جهده في هذه المدرسة وما خدم به القضاء ، ولو لم يكن له غيره لرفعه الله به إلى منزلة العابدين .

(٥٥) يذكر أثره في بناء مدرسة القضاء وروحه التي نفثها في الشيوخ فأصبحوا بفضله دعاة الإصلاح والهداية

(٥٦) الآماد : الغايات ؛ الواحد : أمد .

(٥٧) سمح : هين لين . يندد بالجامدين الذين لا يريدون أن يجروا على روح العصر بما لا يضر الدين في شيء .

(٥٨) أشعب : طماع يضرب به المثل في شدة الطمع والنهم . والختل . الخداع والأخذ على غرة . أي كم من أناس يتزيون بزي الزهاد وليسوا منهم في شيء .

(٥٩) الطروس : الصحف . جعل حبر الأقلام كأنه لباس الحداد .

(٦٠) تلتهب حسرة : تتقد وتشتعل . وفي هذا إشارة إلى شدة الحزن . وخطيب إياد : هو قس بن ساعدة الإيادي خطيب العرب في جاهليتها . يندب فيه خطيبا مبينا لسنا فصيحا .

(٦١) هاطلات دموعه : دموعه الكثيرة المدرارة . يريد كثرة ما قيل في رثائه من الشعر وما تضمنته ألفاظه من عبارات وألفاظ كلها أسى وحسرة .

(٦٢) داج : مظلم يحجب ما بيني وبينك .

مَنْ لى بذاكَ الوجهِ، بَيْنَ غُضُونِهِ ... أسْطارُ أسْرارِ الحياةِ بوادِى ! (٦٣)

يا طالباً نُورَ اليَقِينِ حيَاتَهُ ... جاءَ اليقِينُ، فسِرْ بأَوْفَرِ زَادِ (٦٤)

وامْلأْ جُفونَكَ بالكَرَى فى غِبْطَةٍ ... قد كنتَ أحوجَ ساهدٍ لرُقادِ (٦٥)

واخلَعْ ثيابَ الداءِ عَــزَّ دواؤه ... والبَسْ بعَدْنٍ أنفسَ الأبْرادِ (٦٦)

واذْهبْ كما ذَهب الشباب مُشَيَّعاً ... بدمِ الجفونِ وحُرْقةِ الأكْبادِ (٦٧)

سَحَّتْ عليكَ مع الجَنُوب رَوَائِحٌ ... وهَمَتْ عليك مع الشَمالِ غوادِى (٦٨)

---

(٦٣) بين غضونه : بين ثناياه وعلى محياه . وبوادى : ظاهرة واضحة . يذكر فطنته وذكاءه .

(٦٤) الزاد : ما يتخذه المسافر عدة له فى سفره . ويريد به الأعمال الصالحة التى قدمها الفقيد فى حياته فهى زاده فى آخرته .

(٦٥) الكرى : النوم . والساهد : المؤرق الذى لا ينام .

(٦٦) عز دواؤه : امتنع على الشفاء ولم ينجح فيه علاج . وعدن : الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين . وأنفس الأبراد : لباس التقوى .

(٦٧) مشيعا : مودعا . يقول فى هذا البيت والأبيات الثلاثة قبله نادبا الفقيد : يا من دأب حياته فى الوصول إلى الحقيقة ، ها هى ذه قد جاءتك فسر مزودا بخير ما يتزود به المتقون ، واهنأ بنوم فيه الراحة والسعادة بعد ما اقض المرض مضجعك وحرمك النوم . ثم يودعه فى حرقة ويقول : أنت كالشباب كلاكما ذهب مبكيا عليه مأسوفا على فراقه .

(٦٨) سحت : أمطرت فى غزارة . والجنوب : الريح تهب من الجنوب . والروائح : السحب الرائحة . وهمت : أمطرت . والغوادى : السحب الغادية . يدعو لقبره بأن تمطره السحب . وقديما كانوا إذا دعوا لإنسان بالرحمة دعوا الله أن يمطر قبره .

رِثَاءُ أَمِين

يبكي الشاعر في هذه القصيدة صديق شبابه الأستاذ محمد أمين لطفي وكان وكيلا مساعداً بوزارة المعارف وقد أنشدت هذه القصيدة في جمع حافل بدار الابرا الملكية في آخر يناير سنة ١٩٣٦

أَتَدْرِي العُلاَ مَنْ شَيَّعَتْ حِينَ شَيَّعُوا ؟ ... وَمَنْ وَدَّعَتْ يَومَ الرَّحِيلِ وَوَدَّعُوا ؟[١]

بَكَيْنَا، فَلَمْ يَشْفِ البُكَا حُرْقَةَ النَّوَى ... وَلَـكِنْ إِذا ضَاقَ الفَتَى كَيْفَ يَصْنَعُ ؟[٢]

تَهِيجُ بنا الذِّكْرَى ، فَيَغْلِبُنَا الأَسَى ... وتدرِكنا رُحْمَى الإلهِ فَنَخْضَعُ[٣]

هو المَوْتُ سَهْمٌ فى يَدِ اللهِ قَوْسُهُ ... فَلاَ الحَزْمُ يَثْنِيه، ولا الكَفُّ تَدْفَعُ[٤]

نَرُوحُ إِلى حاجَاتِنا ، وَهْوَ راصِدٌ ... وننثرُ من آمالِنـا ، وهو يَجْمَعُ[٥]

* * *

(١) شيعوا : شيع الميت سار في جنازته • جعل الفقيد من العلا بمكان مكين فهو يستبكيها لفقدها علما من أعلامها وركنا من أركانها .

(٢) النوى : الفرقة والبعد . وحرقة النوى : لذعتها ، وما تصاب به النفس من لوعة وتحرق على ما فات • يقول قد بكينا طامعين في أن نخفف عن أنفسنا ما نجده من لوعة الفراق وحره فلم يجد ذلك شيئا . وهل يجد الحزين غير البـكاء تعلة .

(٣) تهيج : تثور • والأسى : الحزن . وتدركنا . . . الخ : أى يتداركنا الله برحمته فيلهمنا الصبر على ما كان فتسكن نفوسنا وتهدأ .

(٤) أى إن الموت بيد الله يصيب به من يشاء من عباده ولا يستطيع أن يدفع ذلك دافع .

(٥) راصد : مترقب بنا الدوائر ينتهز الوقيعة . ونثر الآمال : تشعبها وتعدد مناحيها أى إن الموت يأتى على ما يتعلق به الأنسان من آمال فيجمعها ويطويها .

بنفسي أميناً في ثياب شبابه ... يطير به الأمسُ الذي ليس يرجع(٦)

أقام كما تبقى الأزاهير لمحة ... وزال كما زال الخيالُ المودِّع(٧)

فقدناه فقدانَ الكميِّ سلاحه ... (وما بين قيد الرمح والرمح إصبع)(٨)

فقدناه، حتى قد فقدنا وجودنا ... فهل بقيت إلا جفونٌ وأدمع؟(٩)

فقدناه فقدانَ الأليف أليفه ... يصيح به في كل روضٍ ويسجع(١٠)

يسائل عنه الأفقَ، والطيرُ حُوَّمٌ ... ويستخبرُ الأمواهَ، والطيرُ شُرَّع(١١)

يدِفُّ فيحوى الأرضَ منه تأملٌ ... ويعلو فيعلو النجمَ منه تطلُّع(١٢)

---

(٦) بنفسي أميناً : أي أفدي أميناً بنفسي . وفي هذا إشارة إلى مكانة الفقيد من نفس الشاعر . وفي ثياب شبابه : أي إن الموت اعتبطه شاباً . ويطير به : يذهب . والأمس : يريد به اليوم الذي مات فيه الفقيد .

(٧) الأزاهير : جمع الأزهار . ويضرب المثل في القصر بأعمارها . واللمحة : النظرة وتطلق على الوقت القصير مجازاً . والخيال : ما يطيف بالنائم في نومه ، وما أقصر وقت اطافته . وفي وصف الخيال بالمودع إشارة إلى عدم أوبته ورجوعه ، وبهذا الوصف قوي التشبيه وملح

(٨) الكمي : الشجاع . وأعز ما يملك المحارب سلاح يدفع به عن نفسه ويذود عن حماه .

(٩) يذكر شدة الحزن عليه وما فعل هذا الحزن بالأجسام إضناء وهزالا حتى باتت الأجسام لا ترى لولا ما يدل عليها من جفون تدمع وعيون تبكي .

(١٠) الأليفان من الحمائم : الذكر والأنثى . ويضرب بالصلة بينهما المثل في الوفاء . وتسجع : تغرد نائحة .

(١١) الأفق : ما يحيط به حيث المطار والتحليق . ويقال : حوم الطائر : وذلك إذا دوم في طيرانه . وشرع : أي مجتمعة حول الماء لتشرب . وخص الأفق والأمواه لأن فيهما يوجد الطير عادة . يقول إن الأليف يسأل الطير في غدواتها وروحاتها عن أليفه ولم يترك مكاناً يظنه فيه إلا فتش فيه عنه .

(١٢) يقال : دف الطائر : وذلك إذا مر فويق الأرض . ويحوى الأرض . . . الخ أي يحيط تأمله بجميع ما على الأرض وذلك اقربه منها في طيرانه . يصف جهد الأليف وحرصه في البحث عن أليفه حتى إنه يهبط في طيرانه إلى الأرض ليسهل عليه رؤية ما عليها ثم يعلو ويصعد في العلو حتى لا يفوته مكان لا يمر به بصره . وهذا أبلغ ما يوصف به منقب باحث عن شيء فقده .

يظنُّ حفيفَ الدوحِ خَفْقَ جَناحهِ   إذا همستْ منه غصونٌ وأفرُعُ(١٣)

ويحسَبُ تحنانَ الغديرِ هَديلَه   فيحبِسُ من زَفْراتِهِ ثم يَسْمع(١٤)

لقد ملَّتِ الغاباتُ مما يجوسُها   وملَّ صِماخُ الليلِ ممّا يُرَجِّع(١٥)

له أنَّةُ المجروحِ أعيـــا طبيبَه   وضجَّ لما يشكو وِسادٌ ومَضْجَع(١٦)

كأنَّ جَناحَيْهِ شِراعُ ســـفينةٍ   دهتها من الأرواحِ نَكْباءُ زَعْزَع(١٧)

تضاحِكُهُ الآمالُ حِيناً فيرتجى   ويَجْبَهُهُ اليأسُ العبوسُ فيَخْشع(١٨)

لدَى كلِّ عُشٍّ صاحباه ، وعُشُّه   خَلِيٌّ من الأُلّافِ قَفْرٌ مُصَدَّع(١٩)

---

(١٣) الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة . وحفيف الدوحــة : صوت أغصانها وأوراقها بفعل الريح . وخفق الجناح صوته عند الطيران .

(١٤) تحنان الغدير : خرير مياهه الذى هو كأنات المشوق وحنينه . وهديل الحمام : سجعه . وزفراته : أنفاسه . يصف فى هــذا البيت والأبيات قبله لهفة الأليف على أليفه وكيف يصور له الهم القائم والذكر الملازم من حفيف الأشجار خفق جناحه ومن خرير المياه صوته فى هديله فيحبس أنفاسه ليخلص إليه سمع ما توهم صريحاً واضحاً إلا أنه سرعان ما يكذبه الحس فيما ذهب إليه .

(١٥) يجوسها : يذهب خلالها ويجىء . والصماخ : خرق الأذن حيث تنحدر منه إليها المسموعات . والترجيع : ترديد الصوت فى الحلق . يذكر كثرة تجواله فى البحث عن أليفه وطول بكائه عليه

(١٦) أنة المجروح : صوته فى توجعه وشكاتيه . وأعيا طبيبه : أعجزه عن معالجته لاستفحال الداء . وضج لما . . . الخ : أى إن فراشــه ضج من كثرة شكاته وطول توجعاته . وتشبيهه الأليف بجريح هذا شأنه ، له الأنة العميقة التى لا تبلغ أنة مبلغها ، دليل على شدة حزن الأليف وبعد غور ألمه .

(١٧) دهتها : أصابتها . والأرواح : الرياح . والنكباء الريح تنحرف عن مهبها وتقع بين ريحين . والزعزع : الريح العاصفة . يصف جناحيه فى عدم استقرارهما لطول طيرانه بالشراع تلعب به الرياح العاصفة الشديدة فلا يستقر على حال .

(١٨) تجبهه : تواجهه بما يكره أى إن الأمل فى وجود أليفه يقوى عنــده فيستبشر راجياً وييأس أخرى فيعود واجماً حزيناً .

(١٩) قفر : خال . ومصدع : أى قد تفرق جمع ساكنيه وتشتت شملهم .

عَزاءً عزاءً أيها الطـــيرُ إنما لـكل امرئٍ فى ساحةِ العمرِ مَصْرَعُ (٢٠)

فأَين من الطيرِ الهديلُ وَوُلْدُهُ ؟ وأين من الأملاكِ كِسْرَى وتُبَّعُ ؟ (٢١)

طوامٍ خِضَمٌّ لا يُنادَى وليدُه يطوِّحُهم آذِيُّهُ المتـــدفِّعُ (٢٢)

*
* *

رمتنى الليـالى قبلَ نَعْيِكَ رَمْيَةً عرَفتُ بها كيف القلوبُ تَقَطَّع (٢٣)

نِصالٌ حِداَدٌ قد أَلِمْتُ لِحَمْلِها وأَعْلَمُ أنى هالكٌ حين تُنْزَع (٢٤)

فلمـا رمانى سهمُك اليومَ وانطوتْ عليه جُنوبٌ خافقاتٌ وأَضْلع (٢٥)

أَمِنْتُ على قلبى السهامَ فلم يَعُدْ به بعدخطبِ الأمسِ واليومِ مَوْضِـع (٢٦)

---

(٢٠) يسأل الطير العزاء ويواسيه ذاكراً له أن الموت مصير الجميع ومنتهى الطواف .

(٢١) الهديل : فرخ من الحمام كان على عهد نوح يقال إنه مات عطشاً . وكسرى (بكسر الـكاف وفتحها) لقب لملوك الفرس . وتبع : لقب لملوك اليمن . يريد ملوك فارس وملوك اليمن وخصهم بالذكر لما كانوا فيه من عز ومنعة .

(٢٢) الخضم : البحر . ولا ينادى وليـده أى إنه لـكثرة ما يشغل الناس به لو مد الوليد يده إلى أعز الأشياء لا ينادى عليه زجراً به . يضرب مثلا فى الداهية تنزل بالناس فتذهلهم وتشغلهم . ويستعمل فى الخـير أيضاً . ويطوحهم : يذهب بهم . والآذى : الموج . يشبه الموت وشدة عصفه بالبحر إذا طغى أذهل الناس واجترفهم بأمواجه المتلاطمة .

(٢٣) يشير بهذا البيت والأبيات الثلاثة بعده إلى خطب (الشاعر) فى ابن له انتزعه القدر من بين يديه ناشئاً صغيراً .

(٢٤) النصال : جمع نصل ، وهو حديدة السكين والسيف والرمح . وحداد : حادة وألمت : تألمت وتوجعت . وتنزع : تستخرج (بالبناء للمجهول فيهما) . يشبه ما أصابه الدهر به بسهام محددة النصال قد استقرت فى جسمه فهو يحملهـا على ألم وضجر ، ثم هو لا يملك نزعها لأن فى انتزاعها هلاكه فهو يعيش بها آلماً متوجعاً .

(٢٥) انطوت عليه : انضمت عليه . وخافقات : مضطربات هماً وحزناً .

(٢٦) يقول فى هذا البيت والذى قبله : لم يترك حزن الأمس على مصابى فى ولدى ولا حزن اليوم على مصابى فى صديقى مكاناً من قلبى لحزن جديد فقد شغله حزنى عليهما .

*
* *

أأنسَى أميناً ، والشبابُ يَحُفُّنـا جديداً، وروضُ الوُدِّ بالوُدِّ مُمْرِعُ [٢٧]
بأرضٍ إذا غَصَّ النَّهـارُ بِغَيْمِها فوجهُ أمينٍ أينما لاح يَسطَعُ [٢٨]
نَسِيتُ به أهلي ، ويا رُبَّ صاحبٍ أبرُّ من ابن الأمِ قلباً وأنفعُ [٢٩]
يغالبني شَــوقٌ إلى الفنِّ رائعٌ ويجذِبُه مَيْلٌ إلى العلمِ أرْوَعُ [٣٠]
نروحُ ونغدو لاهِيَيْنِ ، ولم نكن نخاف رزايا الدهرِ أو نتوقَّعُ [٣١]
ونضحكُ للدنيا اللعوبِ وزُورِها ونمرَحُ فى زَهْوِ الشباب ونرتَعُ [٣٢]
وكنا نرَى الأيامَ أحــلامَ نائمٍ فأيقظنا منهـا الأليمُ المُرَوِّعُ [٣٣]
وكانت غِنـاءً كلُّها ثم أصبحت وليس بهـا إلاَّ الرِثاءُ المُفجِّعُ [٣٤]

*
* *

أتذكرُ إذ نمشى إلى الدرسِ بُكرَةً بِنُوتِنْجِهامٍ ، تستحِثُ فأُسرِعُ ؟ [٣٥]

---

(٢٧) والشباب يحفنا يحيط بنا بلهوه ومتاعه . وممرع مخصب معشب . يصف صادق ودهما وأيام شبابهما الأولى .

(٢٨) بارض : يقصد بلاد الانجليز وقد اشتهرت بغيومها واحتجاب شمسها . غصَّ النهار بغيمها : جعل الغيم يعترض فى وجه السماء فيشين كالغصة يقحم بها الحلق فتؤذيه . فوجه . . . الخ : جعله مفرجاً للكرب جالياً للهموم .

(٢٩) يصفه بأنه أعز عليه من أهله .

(٣٠) يريد بالفن : الشعر . وأروع من الروعة : وهى الجمال . يصف ميله الشعرى واتجاه الفقيد العلمى وأن اختلاف الميول لم يفرق بين اجتماع القلوب .

(٣١) رزايا الدهر : أرزاؤه وما يصيب به مما يعيا بحمله الانسان .

(٣٢) اللعوب من النساء : الحسنة الدل . يشبه الدنيا بها فى جمالها الجذاب وزخرفها الكاذب الخداع . وزهو الشباب خيلاؤه وما يصحبه من تيه وإعجاب .

(٣٣) المروع : المفزع . أى إنهما كانا فى هذا الوقت يريان الدنيا فى جمالها ولذائذها كأحلام النائم تمر لذلك هنيئة حتى إذا ما انتهى الشباب وحملا أعباء الحياة أفاقا من هذا الحلم اللذيذ

(٣٤) وكانت : أى الدنيا السابق ذكرها . والمفجع : الموجع المؤلم . يصف حياة سبقت بالنعيم والرغد وخلفت حياة ملؤها الهم والحزن .

(٣٥) بكرة : أول النهار . ونوتنجهام إحدى مدن انجلترا . وكانت فيها الجامعة التى تلقى فيها الشاعر والفقيد علومهما . وتستحث : تحفزنى للاسراع وتستنهضنى .

وقد حجب الشمسَ الضبابُ كأنَّما   تلا الليلَ ليلٌ عاكرُ اللونِ أسْفَعُ[٣٦]

بلادٌ كأنَّ الشمسَ ماتت بأُفْقِها   فظلّتْ عليها أعينُ السُّحْبِ تدمَعُ[٣٧]

كأنَّ المصابيحَ الخوافقَ حَوْلَنا   سيوفُ وَغًى فى ظلمةِ النَّقْعِ تلمَعُ[٣٨]

كأنَّ بياضَ الثلجِ يُنْثَرُ فوقَنا   صحيفتُك البيضاءُ بل هى أنصعُ[٣٩]

تُناقِلنى حُلْوَ الحديث كأنَّه   وقد رقَّ معناه الرحيقُ المُشَعْشَعُ[٤٠]

خِلالٌ كريماتٌ أرقُّ من الصَبا   وأنضرُ من وَشْيِ الرياضِ وأضْوعُ[٤١]

وَلِعْتُ بها عُمْرى ، وأكْبَرْتُ ربَّها   وإنى بأخلاقِ الكرامِ لمُولَعُ[٤٢]

وقد كنتَ عفَّ النفسِ واللفظِ والنُّهى   فلا الرأىُ مأفونٌ ولا القولُ مُقْذِعُ[٤٣]

تَكُدُّ كما كدَّ النِمالُ ، وترتوى   زُلالاً من العلمِ الصحيحِ وتَكْرَعُ[٤٤]

---

(٣٦) عاكر اللون مغبر غير صاف . والاسفع : الأسود المشرب حمرة . يصف الضباب وقد أحال النهار ليلا فكان النهار به كأنه ليل تلا ليلا .

(٣٧) يكنى بدمع السحب عن هطلها وإمطارها . يعلل كثرة المطر هناك بموت الشمس فالسحب لهذا تبكيها .

(٣٨) الخوافق : المضطربة . وكانت المصابيح تضاء نهاراً أيام الضباب . والوغى : الحرب . والنقع : الغبار تثيره الحرب . يشبه المصابيح وسط الضباب بالسيوف تلمع فى نقع الوغى .

(٣٩) ينثر : ينشر . جعل بياض الثلج فوق أرضها كبياض صفحة الممدوح نقاء وطهراً .

(٤٠) تناقلنى : أى تنقل إلى وأنقل إليك . والرحيق : أطيب الخمر وخالصها . والمشعشع المزوج منها . وهو أشدها أثراً ولعباً بالرءوس . جعل الحديث يدور بينهما كالخمر طيباً وفعلا .

(٤١) الصبا : ريح باردة منعشة . ووشى الرياض ألوان زهرها المختلفة . وأضوع أكثر رائحة وأذكى . يصف أخلاقه فى الحسن والطيب بوشى الروض ورائحته العطرة .

(٤٢) ولعت : أغرمت وشغفت بها : أى بالأخلاق . وربها : صاحبها .

(٤٣) العف : المترفع عن الدنايا . والنهى : جمع نهيه وهى العقل . والمأفون : الضعيف الفاسد الرأى . والمقذع : المفحش .

(٤٤) يضرب بالنمال المثل فى الجد المتصل والدأب المستمر . والزلال : العذب الصافى . وتكرع تشرب . يذكر همته فى التحصيل والدرس .

فتًى طَلب الدُّنيا كَريمًا فنالَها ... ولَيْس له فيما سِوَى المجْدِ مَطْمع(٤٥)

وَسَعْىُ كَبيرِ النَّفْسِ للنفْسِ مُكْبِرٌ ... وسَعْىُ صَغيرِ النَّفْسِ للنفْسِ مُخْضِع(٤٦)

وأَعْظَمُ أَخْلاَقِ الفَتَى هِمَّةُ الفَتَى ... وعَزْمٌ حَديدُ النَّصلِ لا يَتزَعْزَع(٤٧)

إِذَا وَفَّقَ اللهُ امْرأً فى طِلاَبه ... دَنَا الصَّعْبُ، وانْقَاد العَسيرِ المُمنَّع(٤٨)

قَنِعْنا بِمَا دُونَ القَليل، ولَمْ تَكُنْ ... بغَيْرِ جَليلاَتِ المَطَالِب تَقْنَع(٤٩)

وعُدْتَ وفِى يُمْنَاكَ أَسْمَى شَهادةٍ ... وأَشْرفُ عُنْوانٍ لِمصْرَ وأَرْفَع(٥٠)

رسَمْتَ لشُبَّانِ البِلاَدِ طَرِيقَهمْ ... فأَبْدَعْتَ فيما قَدْ رَسَمْت وأَبْدَعُوا(٥١)

ومَنْ طَلَب المجْدَ المَنيعَ فَما له ... سِوَى سِيرَةِ الأَبْطَالِ فى النَّاس مَهْيَع(٥٢)

* * *

وقد كُنْتَ فى كُلِّ المَناصِبِ سَيِّداً ... تَزِينُك فى الدُّنيا خَلاَئِقُ أَرْبَع(٥٣)

---

(٤٥) مطمع : مأرب وغاية .

(٤٦) مكبر ، أى رافع له ومعز . ومخضع : مذل مهين . أى على قدر الهمم يكون الجزاء ، فمن كانت همته عالية رفعته إلى منزلة سامية ؛ ومن انحطت به همته نزلت به إلى مواطن الذل .

(٤٧) لا يتزعزع : لا يتحرك فرقا وضعفا ، أى إن أحسن ما يهب الله للمرء همة عالية .

(٤٨) طلابه : طلبه . وانقاد : ذل ولان . والعسير الممنع : الصعب الممتنع .

(٤٩) الجليلات : العظيمة . يصف طموحه وبعد أمله فى الدرس والتحصيل .

(٥٠) يشير إلى درجته التى نالها .

(٥١) أبدعت : أتيت بالعجيب البديع . أى إنك كنت مثلا اقتدى بك غيرك من الشبان فساروا على منهجك .

(٥٢) المهيع : الطريق البين الواضح . أى من شاء أن يبلغ مبلغ العظماء فليضرب فى سبيلهم التى ضربوا فيها .

(٥٣) ذكر فى هذا البيت والأبيات الخمسة بعده صفات الفقيد الكريمة التى كان يتحلى بها .

حَزْمٌ كما تَرْضَى النُّهَى ، وتَوَاضُعٌ وعَزْمٌ كما تَرْضَى العُلاَ ، وتَرَفُّعُ (٥٤)

لكَ البَسْمَةُ الزَّهْرَاءِ تَلْمَعُ كالضُّحَى وتُدْفِىءُ مِنْ قَلْبِ الجَبَانِ فيَشْجُعُ (٥٥)

حَرِيصٌ على وُدِّ الصَّدِيقِ كأَنَّما مَودَّتُه العَهْدُ الذى لا يُضَيَّعُ (٥٦)

إِذا قَرَأَ الأَوْرَاقَ للرَّأْيِ فاتَّئِدْ فقَدْ قَرَأَ الأَوْرَاقَ للرَّأْيِ أَلْمَعُ (٥٧)

وإِن صَدَعَتْ بالحُكْمِ يوماً شِفَاهُهُ فلَيْس بغَيْرِ الحَقِّ والعَدْلِ تَصْدَعُ (٥٨)

*
* *

عَجِبْتُ لصَدْرٍ ضَاقَ بالدَّاء حِلْمُهُ وأَرْجَاؤُه مِنْ شَاسِعِ البِيدِ أَوْسَعُ (٥٩)

مَرِضْتَ ، فقُلْنا مَشْرَفِيٌّ بغِمْدِه تَوارَى ، ونَجْمٌ عَنْ قَلِيلٍ سيَطْلُعُ (٦٠)

ولَمْ نَدْرِ أَنَّ المَوْتَ باسِطُ كَفِّهِ إلى الغُصْنِ فى رَيْعَانِه وهو مُونِعُ (٦١)

---

(٥٤) النهى : جمع نهية ، وهى العقل ، وسمى العقل بها لأنه ينهى عن كل مرذول قبيح . وعزم كما ترضى العلا : أى إنه كان ذا عزمة وثابة إلى المعالى مترفعة عن الدنايا .

(٥٥) الزهراء : المشرقة الوضاءة . والبسمات الزهر : دليل السماحة والكرم . وتدفىء من قلب الجبان ، أى تبعث فى قلبه حرارة الشجاعة ، وهذا دليل على منزلته فى القلوب وتعلقها به حتى إن بسمته تخلق من الضعف شدة ومن الخور إقداما وشجاعة .

(٥٦) لا يضيع : لا يذهب ولا يفرط فى شأنه . يصف حرصه على مودة صديقه وأنها عنده عهد لا تحول عنه ولا تفريط فيه .

(٥٧) يقول : إنه كان سديد الرأى صادق الذكاء عند الفصل فيما يعرض عليه .

(٥٨) صدعت بالحكم : نطقت به وجهرت . أى إنه كان لا ينطق إلا عن حق وعدل .

(٥٩) البيد : جمع بيداء ، وهى الفلاة الواسعة . يشير إلى موته بعلة الصدر ويعجب كيف أن صدره الرحب لم يتسع لمثل هذا الداء ويقو عليه .

(٦٠) : المشرفى : السيف ، منسوب إلى المشارف ، وهى قرى من أرض اليمن ، وقيل من أرض العرب تدنو من الريف . وغمد السيف : جفنه . وتوارى : احتجب . يشبهه فى احتجابه مريضا بالسيف يحل الغمد إلى حين ، وبالنجم يختفى ليظهر ويعود إلى سيرته الأولى .

(٦١) ريعانه : اكتماله وتمام قوته . ومونع : قد أدرك ونضج . يشير إلى موته فى مقتبل عمره واكتمال قوته .

وأنّ النَّوَى الحَمْقاءَ شَدَّتْ رِحالَها — وأنّ أمينَ الرَّكْبِ للبَيْنِ مُزْمِعُ (٦٢)

وأَنَّ المَعالِي والمَكارِمَ والحِجا — سيَضْمَنُها قَفْرٌ من الأرْضِ بَلْقَعُ (٦٣)

وأنَّ قَضاءَ اللهِ حُمَّ ، فما لَنا — مَحِيصٌ ، ولا مِمَّا قَضَى اللهُ مَفْزَعُ (٦٤)

إذا بَرَعَ الطِّبُّ الحَديثُ فَقُلْ لَهُ — يَدُ المَوْتِ أَمْضَى مِنْ يَدَيْكَ وأبْرَعُ (٦٥)

وإنّ الفَتَى ماضٍ وماضٍ طَبيبُهُ — وعائدُه مِنْ بَعْدِه والمُشَيِّعُ (٦٦)

*
* *

أمِينُ ، وظِلُّ المَوْتِ يَفْصِلُ بيْنَنا — سَبَقْتَ ، وإنّي عَنْ قَليلٍ سأتْبعُ (٦٧)

ونَرْجِعُ للحُسْنَى كَما كانَ عَهْدُنا — فَلاَ نَشْتَكِي هَمًّا ولاَ نَتَوَجَّعُ (٦٨)

وما مَاتَ مَنْ أَبْقَى ثَناءً مُخَلَّداً — وذِكْراً يُسامِي النَّيِّراتِ ويَفْرَعُ (٦٩)

إذا ذَهَبَ المِسْكُ الذَّكِيّ فإنّه — يَزُولُ ويَبْقَى نَشْرُه المُتَضَوِّعُ (٧٠)

---

(٦٢) النوى : الفرقة ، ويريد بهـا الموت ، ووصفها « بالحمقاء » لأنها تفرق بين الناس عن عماية وطيش . والرحال : جمع رحل ، وهو ما يوضع على الراحلة . وشد الرحال : كناية عن الأهبة للرحيل . وأمين الركب ، هو الفقيد . ومزمع : عازم .

(٦٣) الحجا : العقل والفطنة . وسيضمنها : أى سيضمها ويحويها . والبلقع : التى لا أنيس بها . يشير إلى فلاة القبور .

(٦٤) حم القضاء : وقع . وما لنا محيص . أى ليس لنا عنه محيد ولا منه مهرب . ومفزع أى مكان نلجأ ونفزع إليه فنتقى به ما وقع .

(٦٥) يقول : إن الطب مهما بلغ عاجز عن أن يدفع الموت أو يغلبه .

(٦٦) أى إن كل الناس إلى فناء وليس أحد منهم بمخلد .

(٦٧) ظل الموت : حجابه .

(٦٨) يشير إلى ما سيكون من التقائه به فى الحياة الآخرة وإلى خلو هذه الحياة من الهموم والأوصاب .

(٦٩) يسامى : يباريها فى السمو والرفعة . والنيرات : الكواكب المضيئة المشرقة . ويفرع : يعلو . جعل مجده فوق النيرات علواً .

(٧٠) الذكى : الذى تسطع رائحته . ونشره : ما ينبعث عنه من رائحة طيبة . والمتضوع : المنتشر

نجيبُ متري

يرثى الشاعر صديقه المرحوم نجيب مترى صاحب مكتبة المعارف وقد توفى سنة ١٩٢٨

قُمْ وَانْثُرِ الزَّهْرَ عَلَى لَحْدِهِ ... وَابْكِ مَضَاءَ الْعَزْمِ مِنْ بَعْدِهِ(١)

هذَا « نَجِيبٌ » قَدْ ثَوَى مُفْرَداً ... كَأَنَّهُ الصَّمْصَامُ فِي غِمْدِهِ(٢)

مَقْصَدُهُ ضَاقَ بِهِ جِسْمُهُ ... وَنَفْسُهُ أَكْبَرُ مِنْ قَصْدِهِ(٣)

كَانَ عِصَامِيًّا بَعِيدَ الْمَدَى ... لا يَبْلُغُ الطَّرْفُ مَدَى حَدِّهِ(٤)

يَعْمَلُ كَالنَّحْلَةِ لا يَنْثَنِي ... وَكَمْ جَنَيْنَا الْحُلْوَ مِنْ شَهْدِهِ(٥)

---

(١) اللحد : الشق فى جانب القبر ، والمراد القبر نفسه . والمضاء : النفاذ والحدة . والعزم : الإرادة القاطعة القوية ، يقول قم وانثر الزهر على قبر المرثىّ تكريماً له وتعظيما . وابك على إرادة قوية قاطعة وعزم ماض نافذ ذهب بذهابه .

(٢) ثوَى : أقام . والصمصام : السيف الصارم القاطع الذى لاينثنى . يقول هذا « نجيب » قد أقام فى قبره فريداً وحيداً كأنه السيف القاطع أدخل فى غمده . شبه المرثىّ بالصمصام فى الحدة والمضاء والصلابة . وشبه قبره بالغمد لأن الانسان يتوارى فى القبر بعد الموت .

(٣) المقصَد والقصْد مصدر قصدت الشىء وله وإليه أى طلبته بعينه ، يقول : إن مقاصده وأغراضه ومطالبه فى الحياة كانت عظيمة فنهكت جسمه ، وكانت نفسه أكبر من تلك المقاصد ، يصفه بأنه كان فى حياته كبير النفس عالى الهمة بعيد المقصد فسيح الأمل .

(٤) عصاميا : معتمداً على نفسه عظيما بأعماله هماما ، وأصلها من قول النابغة الذبيانى :

نفسُ عِصامٍ سَوَّدت عِصامَا ... وعلمتــهُ الــكرَّ والاقداما

وصــيرته ملــكا هماما ... حتى عـــلا وجاوَزَ الأقواما

والمدى : الغاية . والطرف : العين . وحدُّ الشىء : منتهاه ، يقول : إن المرثى كان معتمداً على نفسه عظيما بأعماله رفيع الهمة يجرى فى الحياة إلى غاية بعيدة لا تدركها الأبصار .

(٥) لا ينثنى : لا ينصرف عن غايتــه ولا تكفه عن بلوغها الصعاب والعقبات . وجنى الثمر ونحوه . من باب رَمَى : التقطه وجمعه . والشُّهد : العسل فى شمعها ، يقول إنه كان يعمل كالنحلة فى دُءوبها ولظامها لا يصرفه عن غايته عائق ولا يقف فى سبيله شىء ، وكثيراً ما نفع الناس بثمار جده ولا سيما المؤلفون الذين عرفوا له الاتقان وحسن المعاملة .

مَلَّ نَهارُ القَيْظِ مِنْ كَدِّهِ وَضَجَّ نَجْمُ الصُّبْحِ مِنْ سُهْدِهِ(٦)

رَأْيٌ يُرِيكَ اللَّيْلَ شَمْسَ الضُّحَى وَهِمَّـةٌ كَالنَّجْمِ فِي بُعْدِهِ(٧)

وَطُهْرُ نَفْسٍ إِنْ تُرِدْ وَصْفَهُ فَانْظُرْ إِلَى الطَّلِّ عَلَى وَرْدِهِ(٨)

كانَ أَبًا بَرًّا يَعافُ الكَرَى لَوْ مَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى وُلْدِهِ(٩)

عَلَّمَهُمْ كَيْفَ يُحِبُّـونَهُ وَكَيْفَ يَبْكُونَ عَلَى فَقْدِهِ(١٠)

لا بَرِحَتْ ذِكْراهُ مِلْءَ النُّهَى ولا خَلَا مَغْناهُ مِنْ مَجْدِهِ(١١)

---

(٦) ملّ : سئم . والقيظ : حمارة الصيف وشدة حرّه . والكدّ : الشدة فى العمل وطلب الكسب . وضج : جزع وفزع فصاح وجلب . السهد والسهاد : الأرق والسهر، يقول إنه كان يكد ويدأب فى عمله نهاراً وليلا لا تثنيه حمارة الصيف ، ولا يغريه بالنوم طول الليل حتى ملّ نهار القيظ من كده ودأبه وضج نجم الصبح من سهاده وسهره ، مدحه بالدءوب والكد والجد فى سبيل تحسين عمله وإتقان صناعته وكسب الحمد والشهرة الطيبة وأنه كان يصل الليل بالنهار عاملا مجداً لا يبالى شدة حر النهار ولا متاعب سهر الليل .

(٧) الرأى : العقل والتدبير وحسن البصر بالأمور والحذق بها وجودة التصرف فيها . والضحى : جمع ضحوة وهى امتداد النهار حين تشرق الشمس وترتفع . والهمة . العزم القوى. يقول : لقد كان للمرثى رأى يجلو مهمات الأمور ويوضح غوامضها فيريك الليل المظلم البهيم شمساً مشرقة عالية وكانت له همة رفيعة وعزم قوى بعيد المدى بعد النجوم .

(٨) الطهر . النقاء من الأدناس والتنزه من العيوب . والطل : أضعف المطر والندى يكون فى الصباح فوق أوراق الزهر والشجر، يقول : إن نفسه نقية من الأدناس طاهرة طهارة الطل على أوراق الزهر . ففى هذا البيت تشبيه ضمنى بديع إذ الطل على الورد غاية فى الطهر والنقاء والجمال

(٩) براً : رفيقا رحيما من البر وهو الخير والفضل . ويعاف : يكره . والكرى : النعاس. والولد : جمع ولد ، ومرت الريح على ولده كناية عن أن يصيبهم أيسر ضرر وأخف مكروه ، يقول إنه كان لأبنائه أبا براً رحيما يعاف النوم ويتجافى جنبه عن المضجع إذا مسهم أقل شىء .

(١٠) يقول : إن هذا الوالد البر الرحيم قد ترك فى نفوس أبنائه أعظم أثر وأبلغه فأحبوه حيا وبكوه ميتا .

(١١) يريد بالذكرى الذكر الحسن والصيت والثناء . والنهى : جمع نهية وهى العقل . والمغنى: المنزل ، من غنى كرضى بمعنى أقام . والمجد : العز والشرف ، يقول : لا زال صيته والثناء عليه ملء عقول الناس ولا خلا منزله من مجده وعزه ، يدعو بخلود ذكره ومجده وآثاره الطيبة .

أعلام المجمع

في رثاء الأساتذة أحمد الاسكندرى وحسين والى ونلينو أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية . أنشدت بدار الأبرا الملكية فى فبراير سنة ١٩٣٩

غداً فى سَماء الْعبقَرِيّةِ نلتقى   وتجتمع الأَنْدادُ بَعْدَ التَّفرُّقِ[١]
وَنذكر عيْشًا كالأزَاهِرِ لم يَطُلْ   وَوُدًّا كَمَشْمُولِ الرَّحيقِ الْمُصَفّقِ[٢]
وَنَضْحك من آمالنا كيف أنَّها   أَصاخَتْ إلى وَعْدِ الزّمان الْمُلَفّقِ[٣]
ونَسْبَحُ فى أَنْهارِ عَدْنٍ كأَنَّما   سَرائِرُنَا مِن مائِها الْمُتَدَفّقِ[٤]

---

(١) غداً : الغد . المراد به هنا . ما بعد الحياة . العبقرية : مصدر صناعى من العبقرى وهو الكامل من كل شىء . الأنداد جمع ند . والند بكسر النون والنديد . المثل : يتسلى الشاعر عن فراق أقرانه بأنه سيلقاهم بعد هذا الفراق فى الدار الآخرة فى المكان المعد لعباقرة الناس وعظمائهم .

(٢) الأزاهر : الزهرة . نور النبات وجمعها أزهار . وجمع الجمع أزاهر وأزاهير . وتشبيه الحياة بالأزهار . يقصد به جمالها وقصر مدتها . الرحيق : صفوة الخمر . المشمول : البارد يقال (غدير مشمول) . هبت عليه ريح الشمال فأبردته . المصفق : المصفى بتحويله من إناء إلى إناء . يقول : وهناك نذكر تلك الحياة الجميلة القصيرة ونذكر ما كان من ود ممتع كالخمر تبعث فى الشاربين ببرودتها وصفائها لذة ومرحا .

(٣) الآمال : جمع أمل وهو الرجاء . وأصاخ له : استمع . الملفق : الخادع الكاذب . يقال (أحاديث ملفقة) أى أكاذيب مزخرفة : يقول : وهناك أيضا نضحك من تلك الآمال التى خدعها الزمان الملفق بوعده فاطمأنت إليه واغترت بزخرفه .

(٤) عدن : عدن بالمكان من باب قعد وضرب . أقام به . ومنه « جنات عدن » لانها مكان اقامة المتقين . سرائر : السريرة . السر وجمعها سرائر . يقول : وهناك نسبح فى أنهار الخلد وقد صفت منا السرائر والضمائر صفاء مياهها المتدفقة .

وَنَخْتَرِقِ الأجْواءَ بَيْنَ مُدَوِّمٍ   يَمُدُّ جَناحَيْهِ ، وبين مُصَفِّقِ (٥)

* * *

ذَكَرْتُ أحِبَّائِى، وقَدْ سارَ رَكْبُهُمْ   إلى غير آفاقٍ ، على غير أيْنُقِ (٦)

أُودِّعهم ما بَيْنَ لَوْعَةِ وَاجِدٍ   تَطِيرُ بهِ الذِّكْرَى، وَزفْرَةِ مُشْفِقِ (٧)

وَأبْعَثُ فى الصَّحْراء أنَّاتِ شَيِّقٍ   وهَلْ تَسْمَعُ الصَّحراءُ أنَّاتِ شَيِّقِ ؟! (٨)

تعلقتُ بالحَدْباءِ حَيْرانَ وَالِهاً   وكَيْفَ! ومَاذَا نافِعِى من تعلُّقِى ؟! (٩)

---

(٥) مدوم : دوم الطائر . حلق فى الهواء دون أن يحرك جناحيه . مصفق : من صفق الطائر بجناحيه حركهما فسمع لحركتهما صوت : يقول : وفى دار البقاء تخترق أرواحنا الأجواء كالطير مدومة تارة ومصفقة أخرى . طليقة فى فضاء الله ليس ما يحد من مرحها وحريتها .

(٦) ركبهم : الركب . ركبان الإبل اسم جمع أو جمع وهم العشرة فصاعدا . آفاق : الآفاق . النواحى الواحد أفق وأفق بضم الفاء وسكونها . أينق : جمع ناقة . وجمع الجمع . أيانق : عاد الشاعر إلى الحنين والأسى فذكر فى ألم ولوعة رحيل أحبائه إلى غير جهة من الجهات المعروفة راكبين غير ما يركب الناس فى دنياهم .

(٧) لوعة : اللوعة . حرقة فى القلب من هم أو حب . واجد : الواجد الحزين . زفرة : زفر يزفر زفيرا وزفراً . أخرج نفسه ممدوداً طويلا شأن المحزون المهموم . والزفرة . الواحدة منه . المشفق : الخائف : يقول : أودعهم وقد أحاطت بى الهموم وأقلقتنى الذكرى فأنا بين لوعة المحزون الثاكل وزفرة المشفق الخائف .

(٨) أنات : مفردها أنّة . وهى الواحدة من الأنين صوت يرسله المتوجع . شيق : الشيق كالكيس المشتاق : الشاعر فى هذا البيت مفجوع أذهله الحزن فهو يرسل أنينه فى جوف الصحراء بين مقابر أحبائه علهم يجيبون . ثم يعود إلى نفسه منكراً متحسرا . ماذا يجدى فى صحراء الفناء الأسى والأنين ؟ .

(٩) الحدباء : النعش . والها : الوله . ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد، وفعله من باب تعب . والواله . المذهوب بعقله من شدة الحزن ، يقال (رجل واله وامرأة واله ووالهة) . أذهل الحزن الشاعر فتعلق بنعش صديقه يظن أن فى ذلك سلوة وعزاء . ولكنه لا يجد من ذلك شيئاً فيسأل نفسه فى تعجب الذاهل وحسرة المخفق : وماذا نافعى . . . . . ؟

لَمَسْتُ فلم أَلْمِسْ سوى أَرْيَحِيَّةٍ من النُّورِ، لُفَّتْ فى رِدَاءٍ مُخَلَّقِ (١٠)

* * *

أَتُدْفَنُ فى الأرض الكنوزُ وفوقها خَلائِقُ، إلى لألآئِهَا جِدُّ مُمْلِقِ ؟ (١١)

ويَمْضِى الحِجَا ما بَيْنَ يومٍ وليلةٍ كَلَمْحَةِ طَرْفٍ أو كَوَمْضَةِ مُبْرِقِ ؟ (١٢)

يضيق فضاءُ الأرض عن هِمَّةِ الفتى ويُجمَعُ فى لَحْدٍ من الأرض ضيِّقِ (١٣)

تَبَابٌ لهذا الدَّهْرِ، مَاذَا يُرِيدُه ؟ وأَىُّ جديدٍ عنده لم يُمَزَّقِ ؟ (١٤)

يُصَدِّعُ من أَعْلامِنَا كلَّ راسخٍ ويُطفِئُ من أَنْوَارِنَا كلَّ مُشْرِقِ (١٥)

---

(١٠) أريحية : الأريحية . الارتياح للندى . والأريحى . الواسع الخلق . مخلق : الخلوق والخلوقة ضرب من الطيب . والمخلق . ما وضع عليه الخلوق . ما زال الشاعر فى ذهوله ولما يصدق ما أبصر وما سمع من موت صديقه . فهو يلمسه بيديه مدرجا فى كفنه . ولكنه لا يلمس فى ذلك الكفن العبق سوى أريحية يفوح شذاها ويشع نورها .

(١١) الكنز : المال المدفون . لألآئها . اللألاء البريق واللمعان . جد مملق : مفتقر جدا . يتعجب الشاعر وينكر دفن النفائس فى الأرض وظهرها فى حاجة ملحة إليها . يشبه أصدقاءه بجوهر ثمين وضاء غيب فى جوف الثرى وحرم الناس لألاءه وهم أحوج ما يكونون إليه .

(١٢) الحجا : العقل والفطنة . طرْف : الطرف العين . كلمحة : اللمحة . النظرة العجْلى . مبرق . المبرق . اللامع من أبرقت السماء بمعنى لمعت . ويتعجب أيضاً من امتداد يد الفناء إلى هذا الحجا الفذّ بتلك السرعة التى تشبه لمحة الطرف وومضة البرق .

(١٣) همّة : الهمة بالكسر : العزم القوى . لحْد : اللحد . القبر . صوّر فى هذا البيت همم أصدقائه التى ضاق عنها فضاء الأرض وعجب أن يحتويها ضيق القبر . وهو فى هذا جدّ حكيم .

(١٤) تَباب : التباب : القطع والإهلاك . وتبًّا له . دعاء عليه بالهلاك . يدعو على أحداث الدهر وغوائله . ويسأل فى استفظاع وفزع عما يريده بعد هذه الحوادث الجسام، ثم يرجع إلى نفسه مبيناً أن هذا شأن الدهر يذهب بكل نفيس ويمزق كل جديد .

(١٥) يصدع : الصدع . الشق فى شىء صلب . والتصديع . التحطيم . أعلامنا : العلم . الجبل الطويل أو هو عام . وجمعه . أعلام . راسخ : رسخ رسوخا ثبت . وأرسخه أثبته . فالراسخ . الثابت . مشرق : المشرق . المضىء من أشرقت الشمس أضاءت : يبين سبب دعائه على الدهر بأنه يودى بالراسخين فى العلم ومن يهتدى بضوئهم من العلماء .

هُوَ المُوتُ مَا أَغْنَى اسْمُه عَنْ صِفَاتِه وعن كل أَلْوَانِ الكلامِ المُنَمَّقِ! (١٦)

رَمَتْنِي عَوَادِيه ، فإنْ قلتُ إنَّهَا مَضَتْ بأمانِيَّ الحياة فَصَدِّقِ! (١٧)

*
* *

أَأَحمدُ أين الأمسُ ، والأمسُ لم يَعُدْ سِوَى ذِكرياتٍ للخيال المُؤَرِّقِ (١٨)

كأنّي أراكَ اليومَ تخطُبُ صائِلاً وتَهدِرُ تَهْدارَ الفَنيقِ المُشَقْشِقِ (١٩)

تُنَافِحُ عن بِنْتِ الصَّحارِي مُشَمِّراً وتَفْتَحُ مِن أسْرارِها كُلَّ مُغْلَقِ (٢٠)

مَضَى حَارِسُ الفُصْحَى تُخَلِّده اسْمُه كما خلَّدَ الأَعْشَى حَديثَ المُحَلَّقِ (٢١)

---

(١٦) ألوان الكلام : ضروبه وأنواعه . المنمق : المحسن المزين من نمقه بمعنى حسنه وجمله

(١٧) عواديه : مصائبه ونكباته ومفرده عادية . أماني : جمع أمنية وهي ما يتمناه الانسان ويؤمل الحصول عليه . يقول : إن الذي صدّع راسخ أعلامنا وأطفأ مشرق أنوارنا هو الموت . وفي وقع اسمه على النفوس من الفزع والرهبة ما يقصر عنه تصويره بكل أصناف الكلام المزخرف . وحسبك في تصديق أن غوائله قد أجتاحت أمانيّ في الحياة وآمالي .

(١٨) للخيال : الخيال والخيالة . ما تشبّه لك في اليقظة والحلم من صورة . والجمع أخيلة . المؤرّق المقلق المسبب للسهر من أرّقه . أسهره . ينادي الشاعر صديقه متسائلا عن الأمس متحسراً على ذهوبه بمتعه ولذائذه غير تارك وراءه إلا ذكريات مؤلمة تسهّدُ الشاعر وتقض مضجعه .

(١٩) صائلا : مستطيلا واثباً من صال . وثب واستطال . تهدر تهدار الفنيق : هدر الفنيق . ردد صوته في حنجرته . والتهدار : مصدر منه . المشقشق : البعير يخرج من فيه ما يشبه الرئة إذا هاج ويسميها العامة (الفلة) . ذكر الشاعر صديقه في حفل تأبينه تخيّل إليه أنه يراه يخطب متدفقاً متحمساً يصاول إخوانه ويقرعهم بحججه في قوة وفتوة .

(٢٠) تنافح : تدافع . بنت الصحارى : كناية عن اللغة العربية . مشمراً : مجتهداً . أسرارها : خفاياها ومعضلاتها . مغلق : مقفل . يقول : وإنما كانت صولاتك وجولاتك في خطبك دفاعاً عن العربية وحلا لمشكلاتها وتوضيحا لغامضها

(٢١) حارس الفصحى : حاميها والمدافع عنها . خلده اسمه : أبقاه وأدامه . الأعشى : هو أعشى قيس أبو بصير من فحول شعراء الجاهلية . المحلق كمعظم : لقب عبد العزّى بن حنتم وكان فقيراً خامل الذكر مدحه الأعشى بقصيدته التي مطلعها :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي تعشق

فنبه ذكر المحلق وعلا شأنه ، وخلد التاريخ اسمه .

فَقَدْنَا به زَيْنَ الْفَوَارِسِ ، إن رَمَى   أَصَابَ وإنْ يُرْخِ الْعِنَانَيْنِ يَسْبِقِ .(٢٢)

فَقُلْ للَّذِى يَسْمُو لَنَيْلِ غُبَارِهِ   ظَلَمْتَ العِتَاقَ الشَّيْظَمِيَّاتِ فَارْفُقِ (٢٣)

إذا ما رَمَى عِنْدَ الجِدَالِ عَبَاءهُ   رَمَاكَ بِسَيْلٍ يَقْذِفُ الصَّخْرَ مُغْرِقِ (٢٤)

فَجَانِبْ إذا كُنتَ الحَكِيمَ سُؤَالَهُ   وَأَطْرِقْ إلى آرائِهِ ثُمَّ أَطْرِقِ .(٢٥)

*
* *

أَأَحْمَدُ ، إنْ تَعْرُرْ بِوَالِى تَحِيَّه   وَبَلِّغْهُ أَشْوَاقَ الفُؤادِ المُحَرَّقِ (٢٦)

---

(٢٢) يرخى : أرخى للفرس . طوّل من حبله . العنانان : تثنية عنان . وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة . يقول : إن الأدباء فقدوا بفقد الاسكندرى إماما تزدان به محافل الأدب ومجالس العلم . إن حاج يصيب بحجته سواء المفصل ، وإن أرخى للسانه العنان بزّ الأقران وسبق النظراء .

(٢٣) العتاق : من الخيل . النجائب ، ومفرده عتيق ككريم . الشيظميات : واحدها شيظمى وهو الفرس الرائع بطول جسمه وقوته . ارفق : ترفق وتلطف . يقول : إن نبوغ الفقيد وعلو كعبه فى الأدب لا يدركه فيه مدرك ، وإن من يتطلع إلى إدراك أثارة من شأوه ظلم نفسه وأرهق مطاياه ، فجدير به أن يعدل عن الإرهاق والظلم إلى الرفق فليس ببالغ غايته .

(٢٤) الجدال : المجادلة . المخاصمة ، والمراد بها هنا المناقشة فى مسائل الأدب . العباء : العباءة والعباية . يقذف : قذف بالحجارة . رمى بها . يصف الفقيد بقوة الحجة ونصوع البرهان فاذا ما احتدمت المناقشة وخلع عنه عباءته فعل المتوثب للنزال ، لم يقف أمامه شيء .

(٢٥) على العاقل الحكيم أن يجتنب حواره وجداله . وحسبه أن ينصت إلى آرائه ، ويصغى إلى حجته .

(٢٦) والى : هو المرحوم الأستاذ حسين والى عضو المجمع اللغوى وأحد فحول العربية فى عصر النهضة . تخرج فى الأزهر وزاول مهنة التدريس فيه وفى مدرسة القضاء الشرعى ، وتدرج فى مناصب الأزهر السامية . ولما أنشئ المجمع الملكى للغة العربية اختير عضواً فيه وكانت مواقفه فيه خالدة ، وآراؤه حكيمة ، وله عدة مؤلفات فى الأدب واللغة ورسم الحروف معظمها لم يطبع بعد . أشواق : جمع شوق وهو نزاع النفس وحركة الهوى . المحرّق : من حرقه بالنار يحرقه بالغ فى الإحراق .

طوَيناه صيَّادَ الأَوابدِ لَمْ يَدَعْ　　عَزِيزًا عَلَى الأفهامِ غَيْرَ مُوَثَّقِ (٢٧)

لَهُ نَظْرَةٌ لم يَحْتَمِلْ وَقعَ سِحْرِهَا　　غريبُ ابنِ حُجْرٍ أو عَويصُ الفَرَزْدَقِ (٢٨)

أَحَاطَ بآثار الخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدٍ　　إِحاطَةَ فَيَّاضِ الْبَيَانِ مُدَقِّقِ (٢٩)

إِذَا مَسَّ بالكَفِّ الجبينَ تدافَعَتْ　　جُيُوشُ المعانِى فَيْلقًا إِثْرَ فَيْلَقِ (٣٠)

* * *

ويومًا مع الإِسكندرىّ رأيتـه　　يُجاذِبُه فَضْلَ الْحَدِيثِ المُشَقَّقِ (٣١)

---

(٢٧) الأوابد : الوحوش ، والمراد عويصات المسائل وغرائبها مما يعز فهمه . الموثق : المحكم المتقن . ينادى الفقيد متحسراً ويطلب إليه أن يبلغ ما يتأجج فى فؤاده من شوق إلى علم آخر طواه الموت وقد كان حلال المشكلات واضح الآراء يذلل ما يعز فهمه ، ويبين ما يصعب توضيحه . وفى هذا وفاء الشاعر لإخوانه وأنداده .

(٢٨) ابن حجر : امرؤ القيس إمام شعراء الجاهلية . عويص : من عوص الكلام صعب . والعويص من الشعر ما صعب فهم معناه . الفرزدق : أحد فحول الشعراء الأمويين مشهور بصلابة الشعر وغرابتـه ، يصف المرحوم الشيخ حسين والى بدقة النظر وثقوب الفكر وسرعة الفهم حتى كأن نظراته العجلى سحر يكشف به مُعميات ابن حجر وعويصات الفرزدق .

(٢٩) الخليل بن أحمد : هو واضع علم العروض وصاحب كتاب العين . أول معجم لغوى ، وأستاذ النحاة والأدباء فى العصر العباسى . كان غاية فى الفصاحة والذكاء . المدقق : المبالغ فى البحث المستقصى . وفى هذا البيت يصف والياً بغزارة المادة وسعة الاطلاع فى علوم اللغة وآدابها وآثار عظمائهـا وأئمتها .

(٣٠) تدافعت : تدافعوا فى الحرب . دفع بعضهم بعضاً . الفيلق : الجيش . يصوّر لنا والياً مفكراً يلمس جبينه بكفه فتنثال عليـه شواهد اللغة وقوافيها يزحم بعضها بعضا فيتدفق بها لسانه وتقوى بها حجته .

(٣١) الاسكندرى : هو المرحوم الأستاذ أحمد على السكندرى . حجة الأدب العربى واللغة العربية ، تلقى دروسه فى الأزهر ، ثم فى دار العلوم ، ثم كان مدرسا فى المدارس الأميرية ، فناظراً لمدارس المعلمين فأستاذاً بدار العلوم ، فعضواً فى مجمع فؤاد اللغوى توفى سنة ١٩٣٨ م . يجاذبه : يجذبه حوّله عن موضعه كجاذبه . والمراد هنا النقاش والمجادلة ، لأن كلا يجذب الآخر لرأيه بكلامه . جذب الشىء فضل : الفضل هنا بمعنى الطرف . المشقق : شقق الكلام أخرجه أحسن مخرج .

فَهَـذَا يَرَى فِي لَفْظَةٍ غَيرَ مَا يَرَى أخوه ، ويختارُ الدليلَ وَينْتَقِي (٣٢)

فقلت أرى ليثاً وليثاً تجمَّعَـا وأَشْدَقَ مِلْءَ العَيْنِ يَعْشِى لأَشْدَقِ (٣٣)

وأَعْجَبَنِي رأىٌ سَلِـيمٌ وَمَنْطِقٌ يَصُولُ على رأيٍ سليمٍ ومَنْطِقِ (٣٤)

وقد لوَّحتْ أَيْدِيهِمَا فكأنَّهـا إشاراتُ راياتٍ تروحُ وتلْتَقِي (٣٥)

ولم أَرَ في لفْظَيْهِمَا نَبْرَ عَائِبٍ ولم أَرَ في عَيْنَيْهِمَا لَمْحَ مُحْنَقِ (٣٦)

فقلتُ هِيَ الفُصْحَى بخَيرٍ وَإِنَّهَا بأَمثالِ هَذَيْنِ الحَفِيَّيْنِ تَرْتَقِي (٣٧)

*
* *

---

(٣٢) انتقى الشيء : اختـاره . يقول : إنه رأى الفقيدين واليا والاسكندرى يتحاجان وكلاهما يدلى برأيه بخير ما تسمع من لفظ مبين ومنطق عربيّ سليم .

(٣٣) ليثا : الليث الأسد والليث البليغ وهو المراد هنا . أشدق : الشدَق . سعة الشدق وخطيب أشدق بليغ .

(٣٤) يصول : صال على قرنه يصول صولا وصيالا . استطال وسطا . يذكر الشاعر أنه رآهما في جدالهما . فرأى بليغين يتحاوران وخطيبين لسنين يتصاولان في جمال بيان وجلال هيبة . وأعجبه منهما حجة تدفعها حجة . ومنطق يطاول منطقاً . ورأى سديد يصاول رأيا سديداً .

(٣٥) لوّحت أيديهما : ألاح بسيفه . لمع به ، كلوّح . والمراد هنـا . حركة الأيدى واضطرابها عند الجدال . رايات : جمع راية وهى العلم . يشبه الشاعر حركات أيدى الفقيدين في زيهما العربى الفضفاض وقد احتدم الجدال واشتد الحوار . يشبههمـا بإشارات رايات تخفق جيئة وذهوبا .

(٣٦) نَبر : نبر فلانا بلسانه . نال منه . لمْح : لمح إليه اختلس النظر ولمح البرق لمع . محنق : الحنق ، الغيظ أو شدته . حنق حنقـًا وأحنق غضب ، كأن الشاعر خشى أن يفهم السامع أن جدالهما المحتدم قد يحرج صدريهما أو ينال من أناتهما . فبين أن غاية كل إقناع الآخر في رحابة صدر وسعة حلم فلا تسمع منهما لفظا نابيا ولا تلمح على وجهيهما سمة من سمات الغيظ والحنق .

(٣٧) الحفيّين : الحفيّ كغنيّ : العالم المستقصى في البحث . تفاءل الشاعر خيراً للفصحى بما رأى من عناية هذين العبقريين بها وأيقن أنها لا بد أن ترتقى ويسمو شأنها بحفاوتهمـا بها وحفاوة أمثالها .

وَلَمْ أَنسَ نَلِّينُو وقَدْ جَاء فَيْصَلاً ... بِحُجَّةِ بَحَّاثٍ وَرَأْيِ مُحَقِّقِ (٣٨)

وَفِكْرٍ لَهُ مِنْ فطْرَةِ الرُّومِ دِقَّةٌ ... ومِنْ نَفَحاتِ العُرْبِ حُسْنُ تَأَلُّقِ (٣٩)

يُنَسِّقُ عِـلم الأوّلين مُجَاهِدًا ... ولاَ خَيْرَ فى عِلْمٍ إِذَا لَمْ يُنَسَّقِ (٤٠)

تَقَاسَمَهُ غَرْبٌ وشَرْقٌ فَأَلَّفَتْ ... مَنَاقِبُهُ ما بَيْنَ غَرْب ومَشْرِقِ (٤١)

فَدَعْ ما يُغَطِّى الرّأس واسْمَعْه لا تجِدْ ... سِوَى عَرَبِيٍّ فى العُرُوبَةِ مُعْرِقِ (٤٢)

---

(٣٨) نلينو : هو المستشرق الايطالى الكبير الأستاذ نلينو ولد فى تورينو من أعمال إيطاليا سنة ١٨٧٢ م . وأتقن دراسة الرياضيات والفلك والفلسفة والفقه وتاريخ الأديان وفد إلى القاهرة فى بعثة إيطالية سنة ١٨٩٣م ، ليتزود من علوم الشرق ، ولا سيما العلوم الاسلامية ثم عاد إلى وطنه فاشتغل مدرسا للعلوم العربيـة فى المعهد الشرقى بنابولى وفى جامعة روما ثم بلرم . فأستاذاً للتاريخ الاسلامى بجامعة روما ، وألقى محاضرات هامة فى الجامعة المصرية بين عامى سنة ١٩٠٩ و سنة ١٩١٣ ثم دعاه المغفور له الملك فؤاد سنة ١٩٢٦ ليكون أستاذاً بكلية الآداب واختير عضواً فى مجمع فؤاد اللغوى كما اختير عضواً فى مجمع إيطاليا وفى الجمعيتين الشرقيتين الانجليزية والألمانية ، وفى مجمع دمشق العلمى . توفى سنة ١٩٣٨ م . فيصلا : الفيصل . كالفصل : الحق من القول أو القضاء بين الحق والباطل ، يقال حكم فاصل وفيصل . بحجة : الحجة : البرهان ، يذكر الشاعر زميله نلينو ذكرى الوفاء فيتحدث عن خدماته للعربيـة وكيف كان رأيه فاصلا فى معضلاتها بما وهب له من قوة الحجة وتمحيص الرأى .

(٣٩) فطرة : الفطرة : الخلقة والطبيعة التى خلق الناس عليهـا . دقة : دق الشىء دقة : صار دقيقا . نفحات : النفحة من الريح : الدفعة . من نفح الطيب . والنفحة أيضا : العطية . من نفحه بشىء : أعطاه إياه . تألق : تألق البرق : لمع . ينسق : ينظم . يقول : إن نلينو جمع بين العقلين الآرى والعربى ، فأفاد من الأول الدقة والتمحيص ، ومن الثانى السهولة والوضوح .

(٤٠) يقول : إن فضله كان عظيما فى تنظيم علوم العربية وآدابها حتى جنى الناس ثمرات هذا التنظيم الذى لا خير فى علم بدونه .

(٤١) مناقبه : جمع منقبة وهى الفعل الكريم ضد المثلبة . يقول : إن هذا المستشرق تعلم من الشرق كما تعلم من الغرب وخدمهما جميعا بعلمه ، فكانت آثاره العلمية العظيمة ، وجهوده الثقافية الكبيرة صلة ربطت الشرق بالغرب ، وآخت بينهما فى مضمار العلم والأدب .

(٤٢) ما يغطى الرأس : كناية عن القبعة ، لأن هذا هو المراد هنا ، العروبة : عَرُب لسانه عروبة إذا كان عربيا فصيحا . معرق : أصيل فى العربية . لما كان تعلم نلينو العربية مظنة ألا يبلغ فيها حد إجادة العرب الخلص . دفع الشاعر ذلك بأنك إن تحدثه غاضا النظر عن قبعته فلن ترى إلا عربياً معرقاً فى العروبة لهجة وبيانا .

إِذَا صَالَ أَلْقَى الرُّمحَ كُلُّ مُنَازِلٍ — وإِن هو دَوّى سَفَّ كلُّ مُحَلِّقِ (٤٣)

عَشِقْنَاه وَضَّاحَ الْخَلاَئِقِ مُخْلِصًا — وَمَنْ يَكُ وضَّاحَ الخلائق يُعْشَقِ (٤٤)

فَيَا مَجْمَعَ الفُصْحَى عَزَاءً فَكُلُّنَا — إِلَى الشاطِئِ المَوْعُودِ رِكابُ زَوْرَقِ (٤٥)

ومَا عَقِمَتْ أُمُّ اللُّغَاتِ وَلاَ خَلَتْ — خَمَائِلُهَا مِنْ سَجْعِ كلِّ مُطَوَّقِ (٤٦)

بَنَاكَ فُؤَادٌ خَيْرُ من يَبْتَنِي العُلاَ — وأَعْظَمُ نَهَّاضٍ وَأَكْرَمُ مُغْدِقِ (٤٧)

وَيَحْمِيكَ فَارُوقٌ بِظِلِّ سَمَاحِهِ — وَيُمْلِيكَ بالرَّأْيِ السَّدِيدِ المُوفَّقِ (٤٨)

---

(٤٣) منازل : من نازل نزالا ، وهو أن ينزل الفريقـان عن إبلهما إلى خيلهما ليتضاربا . دوّى : دوى الطائر : طار فى الهواء ولم يحرك جناحيه . وسف الطائر : هبط إلى الأرض . يشبه الشاعر نلينو فى قوة حجته وظفره بالمناظرين بالشجاع الذى لا يصمد أمامه منازل كما يشبهه إذا حلق فى سماء الفكر بطائر تهاب باقى الطيور التحليق معه فى سمائه فتلوذ بالهبوط إلى الأرض خشية وكلالا .

(٤٤) وضاح : الوضاح : الجلى الظاهر والأبيض اللون الحسنه . الخلائق : جمع خليقة وهى الطبيعة . يقول : إن نلينو كان محبوبا من زملائه أثيراً عند أصدقائه . لأنه كان ذا خلق كريم . ومن تحلى بكرم الأخلاق ومقته النفوس وعشقته القلوب .

(٤٥) الشاطئ الموعود : الآخرة . الزورق : السفينة الصغيرة . يعزى الشـاعر المجمع اللغوى فى علمائه الراحلين ، ويذكر أن الفناء شاطئ الحياة وغاية الكون ، وأن الأحياء لا بد أن تقلهم سفينة المنون من العالم المشهود إلى العالم الموعود .

(٤٦) عقمت : عقم إذا منع من الولد . سَجع : سجعت الحمامة صوتت . السجع فى الـكلام مشبه بسجع الحمام . خمائلها : جمع خميلة وهى الشجر الملتف والموضع الكثير الشجر . والمراد بخمائل العربية أنديتها ومحافلها . مطوّق : طوق كل شىء ما استدار به ، ومنه قيل للحمامة ذات طوق ومطوقة . إن فقدت العربيـة من فقدتهم من أعلامها ، فهناك أبطال يتممون رسالتهم العربية التى أنجبت هؤلاء العباقرة وما تزال حافلة بالعبقريين من علمائهـا ، وخمائلها عامرة بالشادين من شعرائها وأدبائها .

(٤٧) نهّاض : نهض قام . مغدق : غدِقت العين غدَقا وأغدقت إغداقا كثر ماؤها .

(٤٨) سماحه : سمح سماحة وسماحا جاد . السديد : المصيب فى قوله وفعله . يشـيد الشاعر بمجد المجمع اللغوى الذى ابتناه فؤاد العظيم أندى الملوك يداً ، وأنهضهم إلى عمل الخير ، وأسبقهم إلى العلا . ويطمئن إلى بقاء المجمع ثابت الأركان مُوطد الدعائم ، يشد أزره شـبل فؤاد الملك فاروق الأول حفظه الله ويرفع شأنه بسماحه وعنايته ورعايته .

ذِكرى الغرب

بعض ذكريات الشاعر بعد عودته من أوربا سنة ١٩١٢

يا دارَ فاتنتي حُيِّيتِ مِنْ دَارِ ! سَيَّرْتُ فيكِ وفي مَنْ فيكِ أشعاري [١]

رَحلتُ عَنْها وللأشْجانِ ما تركَتْ في العَيْنِ والقلبِ من ماءٍ ومِنْ نارِ [٢]

كانتْ مَجَالَ صَباباتٍ لَهَوْتُ بها ومُسْتَراضَ لُباناتٍ وأوْطارِ [٣]

أسائِلُ الطَيْرَ عَنها لو تُنَبِّئُني أو تنْقُلُ الطَيرُ عنها بَعْضَ أخْبارِ ! [٤]

يَنْسَى بها كلُّ نائِي الدارِ مَوْطِنَهُ وما تَجَشَّمَ مِنْ بَيْنٍ وأسْفَارِ [٥]

يَلْقى بها أينما ألْقَى عَصَاه بِها أهلًا بأَهْلٍ ، وأَصْهارًا بأصْهارِ [٦]

---

(١) سيرت أشعارى : جعلتها سائرة ذائعة بين الناس .

(٢) الأشجان : جمع شجن (بالتحريك) وهو ما يهمك ويشغل بالك ويحزنك ، وما تركت الخ: أى أن هذه الدار خلفت للحزن والوجد عينا باكية وقلبا ملتهبا حنينا وشوقا .

(٣) المستراض : المكان الفسيح الطيب — اللبانة : الحاجة مع علو الهمة . الوطر : المطلب والمأرب .

(٤) يتمنى أن لو كان فى استطاعة الطير أن تحمل إليه بعض أخبار هذه الدار .

(٥) نائى الدار : البعيد النازح عن وطنه . وما تجشم : ما عانى ولاقى من مشاق . والبين : البعد والفرقة .

(٦) ألقى عصاه : أقام واطمأن . وأهلا بأهل الخ : أى يجد منهم أهلا وأصهاراً بمنزلة أهله وأصهاره الذين خلفهم فى دياره .

وفِتْيَةٍ كرِماحِ الخطِّ إنْ خطَرُوا ... فَدَيْتَ بالنَّفسِ منهم كلَّ خطَّار (٧)

بِيضَ الوُجُوهِ مَسامِيحَ الأَكُفِّ مَنا ... جِيدَ الصَّرِيخِ سَرَاةً غيرَ أَغْرار (٨)

لا يَنزِلِ الضَّيفُ صُبْحًا عُقرَ دارِهمُ ... إلّا ويُمْسِي عِشاءً صاحِبَ الدار (٩)

قد آمنُوا بِإلَهِ الحُبِّ وارْتَقَبُوا ... آياتِهِ بَيْنَ إجْلالٍ وإكْبار (١٠)

وصوَّرُوهُ فتًى أعْمَى إذا رَشَقَتْ ... يَدَاهُ بالنَّبْلِ أصْمَى كُلَّ جبَّار (١١)

عُرْيانَ إنْ مَسَّهُ بَرْدُ الشِتاءِ فما ... له سِوَى زَفَراتِ الوَجْدِ منْ نار (١٢)

يَغْشَى الفَتاةَ ولَمْ تَرْقُبْ زِيارَتَهُ ... وخِدْرُها بَيْنَ أَغْلاقٍ وأَسْتار (١٣)

---

(٧) الرماح : أعواد طويلة فى رءوسها حراب . ورماح الخط نسبة إلى مرفأ السفن بالبحرين لأنه مبيعها لا منبتها ، وشبههم بالرماح فى فرعهم واعتدال أجسامهم ولدونتها . وخطروا : أى مشوا فى تبختر . والخطار : من أوصاف الرماح ، وهو المضطرب منها لدونة ولينا . ولما شبههم بالرماح وصفهم بما توصف بها .

(٨) بيض الوجوه : أى وجوههم وضاحة مشرقة وهذا كناية عن كرم المنبت . ومساميح الأكف : أجواد كرماء ؛ الواحد : مسمح ومسماح بالكسر فيهما . ومناجيد الصريخ : أى يسرعون إلى المستغيث بالنجدة والاغاثة . والسراة : السادة الأشراف . والأغرار : من لا تجربة لهم بالأمور ؛ الواحد غر (بالكسر) .

(٩) عقر الدار : وسطها . ويريد أشرف موضع منها وأكرمه . يصف كثرة حفاوتهم بالضيف وعزيز محله بينهم .

(١٠) تخيل قدماء اليونان آلهة كثيرة منها إله للحب سموه « كيوبد » وصوروه طفلا أعمى عريان فى يديه قوس ونبال يرمى بها عن غير قصد وهذا مصداق لقول العرب : الحب يرمى ويصم ، ومصداق لقول المتنبي : لهوى النفوس سريرة لا تعلم . فالشاعر يقول أن هؤلاء القوم آمنوا بسيطرة الحب وقوته وترقبوا آثاره العجيبة فى خشوع وإجلال .

(١١) رشقه بالنبل : رماه به . وأصماه : رماه فقتله مكانه . والجبار : العاتى المتمرد .

(١٢) الوجد : الشوق . وزفراته : أنفاسه الحارة .

(١٣) يغشى الفتاة : يقتحم عليها مكمنها . ولم ترقب زيارته : أى لم تتوقعها ولم تنتظرها . وخدر الجارية : مكمنها ومخبؤها من بيتها . والأغلاق : الأقفال .

فَطَرْفُها خاشِعٌ من بَعْدِ زَوْرَتِهِ وقَلْبُها نَهْبُ أوْهامٍ وأفْكار(١٤)
تَشْكُو إلَى أُمِّها ضَيْفاً ألَمَّ بها والأمُّ إنْ تَسْتَطِعْ باحَتْ بأسْرارِ(١٥)
ويصْرَعُ الفارسَ المِغْوارَ إن لَعِبَتْ كَفَّاهُ بالسَّيْفِ أرْدَى كلَّ مِغْوارِ(١٦)
فلا تراهُ سِوَى شاكٍ لساجِعَةٍ أو نادِبٍ إثْرَ أطْلالٍ وآثار(١٧)
ويَطْرُقُ الشَّيْخَ في المِحْرابِ قَدْ فَنِيَتْ عِظَامُهُ، وَبَرَتْهُ خَشْيَةُ البَارِى(١٨)
فلم تَكُنْ لَمْحَةٌ إلاّ ليَفْتِلَهُ من الصَّلاةِ ومن تَرْتيلِ أذْكار(١٩)

* * *

يبرُزْنَ في اللَّيْلِ مِثْلَ الشُّهبِ ساطِعةً ما بَيْنَ سيَّارَةٍ تَجْرِي لِسَيَّار(٢٠)
مِنْ كلِّ خَمْصَانَةِ الكَشْحَيْنِ ناصِعَةٍ كأنَّها دُرَّةٌ في جَوْفِ زخَّار(٢١)

---

(١٤) الطرف : البصر . وخاشع : متكسر مطرق . أى إنها بعد ما ذاقت الحب أصبحت دائمة الإطراق واجمة مبلبلة الفكر .

(١٥) باحت : أذاعت وأفشت . أى إن أمها سواء معها فى الحب غير أن أمومتها تحول بينها وبين أن تجهر بما تكن من لواعجه .

(١٦) المغوار : الكثير الغارة . وأردى : أهلك .

(١٧) الساجعة : المغردة من الطير . ونادب ، أى باك معول . والأطلال : الشاخص من آثار الديار ، الواحد طلل (بالتحريك) . يقول فى هذا البيت والذى قبله : إن صولة الحب فوق صولة الشجعان وإذا ما أصاب أحدهم غلبه على أمره وأصبح شاكياً من كان بالأمس مشكوا ،

(١٨) يطرق الشيخ : ينزل به ليلا . والمحراب : مقام الإمام . ويريد به مقامه فى تعبده وصلاته . وخشية البارى : مخافة الخالق .

(١٩) يفتله : يصرفه . وترتيل الأذكار : إجادة تلاوتها . يصف فى هذا البيت والذى قبله سطوة الحب حتى على قلوب الزهاد الناسكين الذين طال بهم العمر فى العبادة وملأت خشية الله قلوبهم إذ سرعان ما يترك الواحدُ منهم واجب دينه ليلبي داعى حبه .

(٢٠) الشهب: الكواكب. والساطعة: اللامعة المتألقة. والسيارة والسيار: من أوصاف الكواكب وهى التى تجرى فى مداراتها . ولما جعلهم شهباً جعل مسيرهم ليلا كجرى النجوم فى أفلاكها .

(٢١) خمصانة الكشحين : أى ضامرة الخصر دقيقته . والكشح : هو ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفية. والزخار : البحر إذا طما وامتلأ . يشبه الفتاة الأوربية فى قدها المشوق وخصرها الدقيق وتألق وجهها وسط جموع الناس الكثيرة بالدرة بين مياه البحر الزاخر .

تَسْعَى إلى أغْيَدٍ ما طَرَّ شَارِبُهُ كأنّما صَفْحَتاهُ وجْهُ دِينارِ[٢٢]

* * *

أرضٌ كأنَّ إلَهَ الأرْضِ أوْدَعَها بَدائِعَ الْحُسْنِ مِنْ عُونٍ وأبْكارِ[٢٣]

ألْقَوْا خُدُودَ المَذَارَى فى حَدَائِقِها ولَقَّبُوها بأثْمَارٍ وأزْهارِ[٢٤]

وجرَّدُوا كُلَّ حُسْنٍ من قَلائِدِه فَصِرْنَ حَصْبَاءَ فى سَلْسَالِها الجارِى[٢٥]

لَوْ كانَ فى عُنْصُرِى صَلْصالُ طِينَتِها ما راعَنِى الدّهْرُ فى يومٍ بأكْدَارِ[٢٦]

أوْ كُنْتُ أظْفَرُ فِى الأخْرَى بِجَنَّتِها غَسَلْتُ بالدَمْعِ آثامى وأوْزارِى[٢٧]

(٢٢) الأغيد : الغلام مالت عنقه ولانت أعطافه . وماطر شاربه ، أى ما ظهر . ويريد بصفحتيه : خديه . وشبههما بوجه الدينار فى نضرتهما التى تحكى نضرة الدينار المضروب من الذهب .

(٢٣) العون : جمع عوان ، وهى من النساء : النصف ، لا بكر ولا مسنّة . والأبكار : جمع بكر . وهى العذراء . جعل محاسن هذه البلاد بين جديدة حديثة وأخرى مضى بها عهد، كالنساء أبكاراً وعونا .

(٢٤) شبه الثمار والأزهار بخدود العذارى نضرة وجمالا . وأسلوب هذا التشبيه عجيب .

(٢٥) القلائد : الحلى تجعل فى العنق ، الواحدة : قلادة . وسلسالها الجارى . مياه أنهارها المنسابة . أى إن الحصى فى مجارى الأنهار يشبه قلائد الحسان .

(٢٦) راعه : أفزعه ونغص عليه . يقول : لو كان فى أصل تكوينى — وأنا مخلوق من طين — شىء من طين هذه البلاد ما مسنى الدهر بالهمّ والأكدار لأنه طين خلق للجمال والمرح والسرور

(٢٧) يقول : ولو كان نصيبى فى الحياة الأخرى أن أنعم فى هذه الجنة لبادرت بالتوبة والسعى لها .

عبد العزيز جاويش

يرثى الشاعر فى هذه القصيدة أستاذه وصديقه الشيخ « عبد العزيز جاويش » ، وقد توفى فى يناير سنة ١٩٢٩ .

دُموعُ عُيونٍ أم دِماءُ قُلوبِ ... على راحلٍ نائِى المَزارِ قريبِ ؟ (١)

نعاه لنـــا الناعِى فأفْزَعَ مِثْلَما ... تُراعُ بِصَوْتٍ فى الظلامِ رهيبِ (٢)

فقلنا أبِنْ – رُحْماكَ – طارتْ عُقُولُنا ... فلم نستَمِعْ من فِيكَ غيْرَ نَعِيبِ (٣)

شككنا ، وكان الشكُّ أمْناً وراحةً ... وكم من يقينٍ فى الحياة مُرِيبِ (٤)

حنانَكَ ، إنّا أُمّةٌ هَدَّ رُكنَها ... صِراعُ ليالٍ ، واصطلاحُ خُطوبِ (٥)

إذا كَشَفَتْ عنها القميصَ بدتْ بها ... نُدُوبٌ لطعنِ الدهرِ فوقه نُدُوبِ (٦)

---

(١) نائى المزار : بعيد مكان الزيارة . يقول : أدموع عيون هذه التى نذرفها — على الراحل البعيد عنا بجثمانه ، القريب إلى أرواحنا وقلوبنا — أم دماء قلوب تفتتت بفقده .

(٢) الناعى : الذى يحمل خبر الموت . تراع : تفزع . الرهيب : الذى تملكك منه خشية .

(٣) أبن : أفصح . طارت عقولنا : أصابها الخبل والذهول . النعيب : صوت الغراب ، وهو مما يتشاءم به ويتبرم بسماعه . جعل نعى النـاعى كنعيب الغراب تنفر الأسماع منه .

(٤) المريب : الذى لا يحل فى النفوس محل اليقين . يصف إخوان الفقيد ، كيف دفعهم حبهم له ، وحرصهم على حياته إلى الشك فيما سمعوا من نبأ وفاته ، وهكذا تتعزى النفوس ، فى بعض أمورها بالشك ، وتخدع نفسها بنفسها ، لتعيش فى شبه أمن ودعة .

(٥) هد ركنها : أتى على قوتها ، وأوهن عزمتها . اصطلاح الخطوب : تتابعها . يود أن يكون الناعى رحيما به وبقومه ، ويستدر عطفه بما يظهره من ضعف أمة عاشت مع الأيام فى صراع .

(٦) ندوب الطعن : آثاره التى تبقى بعد البرء .

وإنْ أرسلتْ فى ذِمَّةِ الله عَبْرَةً ... على ابن سُرَّى حامى الذِّمارِ وَثُوبِ (٧)

دَهَتْها الليالى فى سواه ، ولا أرَى ... شَعُوباً لهذا الناس مِثْلَ شَعُوب (٨)

تَدَاوَى من الإعْوالِ بالبثِّ والبُكا ... وتَشْفِى لَهيباً للجوَى بلهيب (٩)

وتمسَحُ دمعاً كى تجودَ بِمثْلِهِ ... وتَنْسَى أريباً بادِّكارِ أريب (١٠)

فيأيُّها الناعِى ، إذا قُلْتَ فاتَّئِدْ ... فما مُخطِئٌ فى قولِه كمُصيب (١١)

حَنَانَكَ ، قُلْ ما شئتَ إلّا فَجيعةً ... بفقدِ كريمٍ أوْ فِراقِ حَبيب (١٢)

فقال : قَضَى ، قُلْنا : قَضَى حاجةَ العُلا ... فقال : مَضَى ، قُلنا : بغيرِ ضَريب (١٣)

فهزَّ اعتلاجُ الْحزنِ أضلاعَ صَدْرِهِ ... وأخْفَى نَشيجًا تحتَ طىِّ نَحيب (١٤)

وقال : قضَى عبدُ العزيزِ ولم يكُنْ ... نصيبُ امرئٍ فى الرُّزْءِ فوقَ نَصيبى (١٥)

فواحسرتا ! مات الإمامُ ولم تكُنْ ... نِهايةُ هذِى الشمسِ غيرَ مَغِيب (١٦)

---

(٧) العبرة : الدمعة . الذمار : ما يلزمك حفظه ، والدفاع عنه . الوثوب : المقدام ، الجرىء .

(٨) دهتها : أصابتها . شعوبا : مصدعا ومفرقا ، شعوب : الموت .

(٩) البث : الحزن . الجوى : حرقته .

(١٠) الأريب : ذو العقل والدهاء . الادكار : الذكر . أى إن هذه الأمة منكوبة فى عظمائها ، تبكيهم واحداً بعد واحد .

(١١) اتئد : تمهل . يطلب إلى الناعى أن يترفق بالناس ، وأن يكون واثقا مما يقول .

(١٢) يعود إلى استعطاف الناعى ويناشده ألا يفوه بفجيعة فى كريم أو حبيب .

(١٣) قضى : « الأولى » مات . قضى (الثانية) : أنجز وأتم . الضريب : النظير والمثل .

(١٤) اعتلاج الحزن : اضطرابه وثورانه . أى بلغت ثورة الحزن فى نفسه إلى حيث تهز أضلاع صدره . النشيج : البكاء يغص به الحلق . النحيب : أشد البكاء .

(١٥) الرزء : المصيبة ، يرزأ تحتها الإنسان ، ويعيا بحملها .

(١٦) الإمام : الفقيد ، جعله إماما فى هديه ، وما كان يضطلع به من رأى وعقيدة ، ثم جعله شمساً فى إنارته السبيل أمام الناس ، وكأن موته مغيب الشمس .

وغاض مَعِينٌ كان رِيًّا ورحمةً وكلُّ مَعينٍ صائرٌ لنُضُوبِ ! (١٧)

فمَنْ لِكتاب الله يلمحُ نُورَهُ بعينٍ بصيرٍ بالبَيانِ لبيبِ ؟ (١٨)

ومَنْ يدفعُ العادِي على دينِ أحمدٍ بعزمٍ كَمَسنُونِ الحِرابِ صَلِيبِ ؟ (١٩)

وقد كُنْتَ يا عبدَ العزيزِ إذا دَجَت وقد قيل «أمّا بَعْدُ» خيرَ خَطِيبِ (٢٠)

*
* *

بنفسِيَ مَن عانَى الحياةَ مُشَرّداً يَجُوبُ من الآفاقِ كلَّ مَجُوبِ (٢١)

غريباً تَقاضاه الليالى حُشاشةً ولكنّه للفضلِ غيرُ غريبِ (٢٢)

يطوفُ بأقطارِ البلادِ كأنّه خيالٌ مُلِمٌّ ، أو خيالُ أديبِ (٢٣)

ويطوى وراء البِشْرِ نفساً جَرِيحةً وأعشارَ قلبٍ بالهُمومِ خَضِيبِ (٢٤)

---

(١٧) غاض المعين : ذهب ماؤه . شبهه بالمعين يروى الناس بفيض علمه ، وعذب إرشاده . الرى : الارتواء . النضوب : الجفاف .

(١٨) يصف بصره بكتاب الله ، ووقوفه على مراميه ، وإلمامه بإحكامه .

(١٩) صليب : قوى لا يلين ، يشير إلى مواقف الفقيد المشهودة فى دفاعه عن الدين الاسلامى.

(٢٠) دجت : أظلمت ، ويريد بالإظلام أوقات الشدة . يريد بقوله : وقد قيل « أما بعد » مواقف الخطابة ، وأن الفقيد كان فيها فارس الحلبة .

(٢١) بنفسى : أفدى بنفسى . عانى الحياة : احتمل متاعب الحياة ومشاقها . مشرداً : لا يستقر فى مكان ، جوّاب آفاق . المجوب : المعمور من البلاد ، الذى يجوبه الناس ، ويرحلون إليه .

(٢٢) تقاضاه : تتقاضاه . الحشاشة : الفؤاد . يعنى أنه عاش غريباً بعيداً عن أهله ووطنه ولكنه إذا نسب للفضل لم يكن عنه غريباً .

(٢٣) يقال : ألمّ الخيال : إذا زار على عجل غير متمهل ، يذكر عدم استقراره فى البلاد ، كخيال النائم أو خيال الأديب لا يستقران .

(٢٤) الأعشار : الأجزاء . خضيب : مخضوب . كان يخفى خلف ابتساماته الطاهرة قلباً غمره الهم ، وجعله أعشاراً لاختلاف مناحى الهموم فيه .

أيشكو لئيمُ القومِ كَظًّا وبِطْنَةً ويَشْكو فتى الفتيانِ مسَّ سُغُوبِ ؟ (٢٥)

لأمرٍ غدا ما حَوْلَ مكةَ مُقْفِرًا جَديباً، وباقي الأرضِ غيرُ جَديبِ (٢٦)

***

تُقَتِّلُنا الأيامُ وهْيَ حياتُنا وتُعطِي، وما أبْصرْتُ غيرَ سَليبِ (٢٧)

فما حِيلتي إنْ كان بالماءِ غُصَّتي ودائي إذا عَزَّ الدواءُ طبيبي ؟ (٢٨)

كأنَّ حِبالَ الشمسِ كِفَّةُ حابِلٍ تُحيطُ بنا من شَمْأَلٍ وجَنوبِ (٢٩)

نَروحُ بها، والموتُ ظمآنُ ساغبٌ يلاحظُنا في جَيْئَةٍ وذُهوبِ (٣٠)

على الشَّفَقِ المُحْمرِّ مِنْ فَتَكاتِه بَقايا دَمٍ للذاهبينَ صَبيبِ (٣١)

هل الدَّهْرُ إلّا ليلةٌ طال سُهدُها تَنَفَّسُ عن يومٍ أحَمَّ عَصيبِ؟ (٣٢)

---

(٢٥) الكظ والبطنة : امتلاء البطن . السغوب : الجوع مع تعب . مس سغوب : ما يشعر الانسان به من ألم الجوع . يعجب كيف يعيش أرذال الناس فى سعة ، وشرفاؤهم فى متربة ، ويشير إلى ما لاقاه الفقيد فى حياته وأسفاره من شدة وضيق .

(٢٦) كذلك مكة — أشرف بقاع الأرض — يغدو ما حولها قفراً يباباً ، وبقاع الأرض الأخرى عامرة زاهرة ، والشيخ جاويش بين الناس كمكة بين بقاع الأرض ، يعيش فى كفاف ، والناس فى ثراء ورخاء .

(٢٧) السليب : المسلوب . أى إن كل نعمة فى هذه الحياة إلى زوال وفناء .

(٢٨) الغصة : ما تشعر به عند اعتراض شىء فى الحلق ، عز : امتنع . لا سبيل للنجاة من الموت ، والماء وفيه الحياة والرى ، قد يغص به الإنسان فيهلك .

(٢٩) الحابل : الصائد ، وكفته : حبالته التى يصيد بها .

(٣٠) الساغب : الجائع .

(٣١) صبيب : منصب . يقول : كأن احمرار الشفق أثر دم يكشف عما أريق من دماء ، وأهدر من أرواح .

(٣٢) السهد : الأرق وعدم النوم . تنفس : تتكشف وتسفر . الأحم : الشديد السواد ، يريد بشدة سواد اليوم كثرة نوائبه وهمومه . العصيب : المجهد بأعبائه . الدهر كثير النوائب كأنه ليل أرق الناس فيه لشدة أهواله ، فاذا رجوا صباحه ، كان صباحه شراً منه .

وليس ترابُ الأرضِ غَيْرَ تَرائبٍ ... وغيرَ عُقولٍ حُطِّمتْ وقلُوبِ ! (٣٣)

سَلُوا وَجَناتِ الغِيدِ فى ذِمَّةِ الثَّرَى ... أَتَزْهَى بحسنٍ أمْ تُدِلُّ بِطِيبِ؟ (٣٤)

وكانت شِبَاكًا للعُيونِ فأصبحتْ ... ولستَ تَرى فيهنَّ غيرَ شُحُوبِ (٣٥)

* * *

فَيا مَنْ رأى عبدَ العزيزِ تَنُوشُه ... نُيُوبٌ لعادى الموتِ أىُّ نُيُوبِ (٣٦)

طريحًا على أيدى الأُسَاةِ كأنّه ... حِمالةُ عَضْبٍ أو رِشاءُ قَليبِ (٣٧)

فَيا وَيْحَ للصدرِ الرَّحيبِ الّذى غدا ... بِمُزْدَحِمِ الآلامِ غيرَ رَحيبِ (٣٨)

تدِبُّ به فى مَوْطِنِ الحِلمِ علّةٌ ... لها كالصِّلالِ الرُّقْشِ شَرُّ دَبيبِ (٣٩)

تَرَى القلبَ منها واجبًا أنْ تَمَسَّهُ ... فتتركَهُ قلبًا بغيرِ وَجيبِ (٤٠)

أصَابَتْ نِظَامًا للمعالى فبدَّدَتْ ... ومقصِدَ آمالٍ ومجدَ شُعُوبِ (٤١)

---

(٣٣) الترائب : عظام الصدر . ومثل هذا المعنى قول أبى العلاء :

خفف الوطء ما أظن أديم الـ ... أرض إلا من هـذه الأجساد

(٣٤) الغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة الناعمة تزدهى بحسنها . يقول : عودوا إلى وجنات الحسان ، وقد احتواها الثرى ، وسلوها : هل بقى لها شىء مما تتيه به وتعجب ؟ .

(٣٥) شحوب اللون : اصفراره وذبوله ، أى إن هذه الخدود التى كانت تستهوى الأنظار بجمالها ونضرتها ، أصبحت بعد أن عفرها التراب ذابلة .

(٣٦) تنوشه : تتناوله تمزيقا . أىّ نيوب : أى أنياب قوية حادة لا يدانيها فى قوتها شىء .

(٣٧) الأساة : الأطباء ، واحـده آس . العضب : السيف القاطع . القليب : البئر . رشاؤه : حبله . جعله كحمالة السيف ، وحبل البئر نحولا لما ناله من ضنى .

(٣٨) الرحيب : الفسيح . يقول : إن صدر الفقيد الذى كان لا يضيق بشىء ضاق بعلته . وقد مات الفقيد بمرض القلب .

(٣٩) الصلال : الحيّات . الرُّقش : المنقطة ، ويريد بموطن الحلم : الصدر .

(٤٠) واجبا : خافقاً . الوجيب : خفقان القلب . هذه العلة التى أصابت صدره جعلت قلبه يخفق من هولها خوفا أن تمسه فتأتى عليه .

(٤١) بدّدت : فرقت .

*
* *

لقد كنتَ تُعلِى فى الحياةِ قصائدى	وتهتزُّ عُجْباً إنْ سَمِعتَ نَسيبِى (٤٢)
فهاكَ نِداءً ، إنْ يَجِدْ منكَ سامعاً	وهاكَ رِثاءً إنْ يَفُزْ بمُجيب (٤٣)
رِثاءٌ يكادُ المَيْتُ يَحيَا بلفظِهِ	ويَحْبِسُ شمسَ الأُفْقِ دونَ غُروب (٤٤)
فطارِحْ به الخَنْساءَ إن جُزْتَ دارَها	ونافِسْ به ـ إن شئتَ ـ شِعرَ حَبيب (٤٥)
تمنّيتُ لو أرسلتُ شعرى مع البُكا	بغيرِ قَوافٍ ، أو بغيرِ ضُرُوب (٤٦)
وصَيَّرْتُ أنّاتى تفاعيلَ بحرِهِ	وجِئْتُ بوَزْنٍ فى القَريضِ عجيب (٤٧)
فإنّى رأيتُ الشِّعرَ تنفِرُ طيرُهُ	إذا دُهِمَتْ من فادحٍ بهُبوبِ (٤٨)
تَهابُ القوافِى أنْ تَمَسَّ جَلالَةً	لذى شَمَمٍ ضافِى الجلالِ مَهيب (٤٩)
عليكَ سلامُ اللهِ ما ناحَ طائرٌ	على غُصُنٍ غَضِّ الإهابِ رطيب (٥٠)

---

(٤٢) تعلى : ترفع من شأنها . النسيب : التشبيب بالنساء ، وذكر محاسنهن فى الشعر .

(٤٣) يفز : يظفر .

(٤٤) يحبس : يمنع .

(٤٥) يفخر بشعره ويقول إنه يفوق شعر الخنساء وأبى تمام .

(٤٦) القوافى : جمع قافية ، وهى فى البيت الشعرى من آخر حرف فيه إلى أول ساكن يليه مع الحركة التى قبل الساكن . الضروب : جمع ضرب ، وهو عجز البيت .

(٤٧) الأنات : تحرقات القلب من الحزن وتوجعاته . التفاعيل : أجزاء البيت يتمنى لو جرى شعره بكاء لا وزن يضبطه ، ولا قافية تلزمه .

(٤٨) يقول : إن عواصف المصائب تذهل العقل وتنفر أخيلة الشعر ، فهو لهذا يتمنى أن يرسل بكاءه شعراً غير مقيد بوزن أو قافية .

(٤٩) الشمم : الإباء . ضافى الجلال : عميمه مبسوطه .

(٥٠) ما ناح طائر : ما بقيت الدنيا . رطيب : طرى .

١٩٣٩/١٠/٤٠٠٠/١

